
THE COMMANDMENTS
مكتبة
الحبر الإلكتروني
@bookkn
دراسات
Studies
الوصايا
لابن عربي

الوصايا
لابن عربي

الوصايا
لابن عربي

The Commandments of Ibn Arabi

الطبعة الأولى: بيروت - لبنان، 2017

First Edition: Beirut - Lebanon, 2017



لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون: 541980 1 961+ / 345683 1 961+

daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar.alrafidain
DAR ALRAFIDAIN@maassourati

الوصايا
لابن عربي


www.daralrafidain.com

وصية حكمية ينتفع بها المريد السالك والواصل
ومَنْ وقف عليها إن شاء الله تعالى

وصّى الإلهُ وأوصتْ رُسْلُه فلذا — كان التأسّي بهم من أفضلِ العملِ

لولا الوصيةُ كان الخلقُ في عَمَهٍ — وبالوصيةِ دام الملكُ في الدولِ

فاعْمَل عليها ولا تُهمل طريقتَها — إنّ الوصية حُكم الله في الأزلِ

ذكَّرتُ قوماً بما أوصى الإلهُ به — وليس إحداثُ أمرٍ في الوصية لي

فلم يكن غير ما قالوه أو شرعوا — من السلوك بهم في أقوم السُّبُلِ

فهَديُ أحمد عينُ الدين أجمعِهِ — وملّةُ المصطفى من أنور المِلَلِ

لم تطمِس العينَ بل قوّتها — حتى يقيم الذين فيه من المَيلِ

فخذ بسرّك عنه من مراكزه — علواً إلى القمر الأعلى إلى زحلِ

إلى الثوابت لا تنْزَل بساحتها — وانهض إلى الدرج العالي من الحمل

ومنه للقدم الكرسي ثم إلى العرش — المحيط إلى الأشكال والمُثُلِ

إلى الطبيعة للنفس النزيهة للعقل — المقيَّد بالأعراض والعلل

إلى العماء الذي ما فوقه نَفَسٌ	**منه إلى المنزل المنعوتِ بالأزلِ**
وانظر الجبل الراسي على الجبل	**وقدْ رآه فلم يَبْرح ولم تزُلِ**
لولا العلو الذي في السُّفل ما سفَلت	**وجوهُنا تطلب المرئيّ بالمُقَلِ**
لذلكمُ شرّع الله السجودَ لنا	**فنشهدُ الحق في علوٍ وفي سُفل**
هذي وصيتُنا إن كنتَ ذا نظرٍ	**وإنها حيلةٌ من أحسنِ الحيلِ**
ترى بها كلَّ معلومٍ بصورته	**على حقيقةِ ما هو لا على البدلِ**
حتى ترى المنظر الأعلى وليس له	**سواك مجلًىً فلا تبرح ولا تزلِ**
فإن دعاك إلى عينٍ تُسر بها	**فلا تُجِبْهُ وكن منه على وَجَلِ**
إنا إناثٌ لما فينا يُولّده	**فلنحمد الله ما في الكون من رجلِ**
إن الرجالَ الذين العرفُ عيّنهم	**هم الإناثُ وهم سؤلي وهم أملي**

فمن ذلك وصية:

قال الله تعالى في الوصية العامة: **{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}**[1] فأمرَ الحق سبحانه بإقامة الدين - وهو شرعُ الوقت في كل زمان وملة - وأن نجتمع عليه ولا نتفرق فيه، فإن يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب القاصية من الغنم، وهي: البعيدة التي شَردَت وانفردت عما هي الجماعة عليه. وحكمة ذلك أن الله لا يُعْقَلُ إلهاً إلا من حيث أسماؤه الحسنى لا من حيث هو معرىً عن هذه الأسماء الحسنى، فلا بد من توحيد عينه وكثرة أسمائه وبالمجموع هو الإله، فَيَدُ الله - وهي القوة - مع الجماعة.

أوصى حكيمٌ أولاده عند موته - وكانوا جماعة - فقال لهم: ائتوني بعصيّ، فجمعها وقال لهم: اكسروها - وهي مجموعة - فلم يقدروا على ذلك، ثم فرّقها فقال لهم: خذوها واحدة واحدة فاكسروها فكسروها، فقال لهم: هكذا أنتم بعدي؛ لن تُغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم فأبادكم. وكذلك القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامة الدِّين ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو، وكذلك الإنسانُ في نفسه إذا اجتمع في نفسه على إقامة دين الله لم يغلبه شيطان من الإنس ولا من الجن بما يوسوس به إليه مع مساعدة الإيمان والملَك بلَمّته له.

وصية: معالم الأرض وجوارح الإنسان تشهد عليه

إذا عصيت الله بموضع فلا تبرح من ذلك الموضع حتى تعمل فيه طاعة وتقيم فيه عبادة، فكما يُشهد عليك إذا استُشْهِدَ، يُشهد لك، وحينئذ تنتزح عنه. وكذلك ثوبك إن عصيت الله فيه فكن كما ذكَرتُه لك اعْبُدِ الله فيه، وكذلك ما يفارقك من قصِ شاربٍ وحلق عانةٍ وقص أظفارٍ وتسريح شعرٍ وتنقية وسخ، لا يفارقك شيء من ذلك من بدنك إلا وأنت على طهارةٍ وذكرٍ الله تعالى عز وجل، فإنه يُسأل عنك كيف تركك، وأقل عبادة تَقْدر عليها عند هذا كله أن تدعوَ الله في أن يتوب عليك عن أمره تعالى، حتى تكون مؤدياً واجباً في امتثالك أمرَ الله وهو قوله: **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}** فأمرَك أن تدعوه، ثم قال في هذه الآية: **{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}** يعني هنا بالعبادة الدعاءَ أي: من يستكبر عن الذِّلة والمسكنة، فإن الدعاء سمّاهُ عبادةً، والعبادةُ ذِلةٌ وخضوع ومسكنة **{سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**[2] أي أذلّاء، فإذا فعلوا ما أُمروا به جازاهم الله بدخول الجنة أعزاء. ولقد دخلتُ يوماً الحمام لغُسل طرأ عليّ سحراً، فلقيت فيه نجم الدين أبا المعالي بن اللهيب - وكان صاحبي - فاستدعى الحلاق يحلق رأسه، فصحتُ به يا أبا المعالي فقال لي من فوره قبل أن أتكلم: إني على طهارة قد فهمتُ عنك، فتعجبت من حضوره وسرعة فهمه ومراعاته للموطن وقرائن الأحوال وما يعرفه مني في ذلك، فقلت له: بارك الله فيك والله ما صحت بك إلا لتكون على طهارة وذكرٍ عند مفارقة شعرك، فدعا لي ثم حلق رأسه. ومثلُ هذا قد أغفله الناس بل يقولون: إذا عصيتَ الله في موضع فتحول عنه لأنهم يخافون عليك أن تذكّرك البقعة بالمعصية فتستحليها فتزيد ذنباً إلى ذنب، فما ذكروا ذلك إلّا شفقة ولكن فَاتَهُمْ علمٌ كبير فأطع الله فيه وحينئذ تتحول عنه فتجمع بين ما قالوه وبين ما أوصيتُك به. وكلما ذَكَرْتَ خطيئة أَتَيْتَها فتب عقيب ذكرك إياها واستغفر الله منها.

واذكر الله عندها بحسب ما كانت تلك المعصية، فإن رسول الله ﷺ يقول {أَتْبِعْ السيئة الحسنة تمحها} وقال تعالى:**{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}**[3] ولكن ليكن لك ميزان في ذلك تعرف به مناسبات السيئات والحسنات التي تزنها.

وصية: حسن الظن بالله تعالى

حسِّن الظنَّ بربك على كل حال ولا تسئ الظن فإنك لا تدري: هل أنت على آخر أنفاسك في كل نفس يخرج منك فتموت فتلقى الله على حُسن ظنٍ به لا على سوء ظن، فإنك لا تدري لعل الله يقبضُك في ذلك النّفَس الخارج منك. وَدْع عنك ما قال من قال بسوء الظن في حياتك، وحسِّن الظن بالله عند موتك. وهذا عند العلماء بالله مجهول، فإنهم مع الله بأنفاسهم، وفيه من الفائدة والعلم بالله أنك وَفَيْتَ في ذلك الحقَّ حقّهُ، فإن من حق الله عليك الإيمان بقوله: **{وَنُنْشِأَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ}**[4] فلعل الله ينشئك في النفس الذي تظن أنه يأتيك نشأةَ الموت والانقلاب إليه وأنت على سوء ظن بربك فتلقاه على ذلك، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه أنه عز وجل يقول: (أنا عند ظن عبدي بي فليظنَّ بي خيراً) وما خص وقتاً من وقت. واجعل ظنك بالله علماً بأنه يعفو ويغفر ويتجاوز، وليكن داعيَك الإلهي إلى هذا الظن قولُه تعالى:**{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}**[5] فنهاك أن تقنط، وما نهاك عنه يجبُ عليك الانتهاءُ عنه. ثم أخبَرَ - وخبره صدق لا يدخله نسخ، فإنه لو دخله نسخ لكان كذباً والكذب على الله محال - فقال: **{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ}** وما خص ذنباً من ذنب وأكدّها بقوله: {جميعاً} ثم تمَّم فقال: {إنه هو} فجاء بالضمير الذي يعود عليه {الغفور الرحيم} من كونه سبقت رحمتهُ غضَبه. وكذلك قال: {الذين أسرفوا} ولم يعيِّن إسرافاً من إسراف، وجاء بالاسم الناقص الذي يَعمّ كل مسرف، ثم أضاف العباد إليه لأنهم عباده، كما قال الحقُ عن العبد الصالح عيسى عليه السلام **{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ}**[6] فأضافهم إليه تعالى وكفى شرفاً شرفُ الإضافة إلى الله تعالى.

وصية: ذكر الله وثمراته

عليكم بذكر الله في السر والعلن وفي أنفسكم وفي الملأ، فإن الله يقول: **{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}**[7] فجعل جواب الذّكْرِ من العبد الذكرَ من الله، وأي ضرّاء على العبد أضر من الذنب؟ وكان يقول ﷺ في حال الضراء [الحمد الله على كل حال] وفي حال السراء [الحمد الله المنعم المفضل] فإنك إذا أشعرت قلبك ذكرَ الله دائماً في كل حال لا بد أن يستنير قلبك بنور الذكر، فيرزقك ذلك النور الكشف، فإنه بالنور يقع الكشف للأشياء، وإذا جاء الكشف جاء الحياء يصحبه، دليلك على ذلك استحياؤك من جارك وممن ترى له حقاً وقدراً. ولا شك أن الإيمان يعطيك تعظيم الحق عندك، وكلامنا إنما هو مع المؤمنين، ووصيتنا إنما هي لكل مسلم مؤمن بالله وبما جاء من عند الله، والله يقول في الخبر المأثور الصحيح عنه الحديث وفيه [وأنا معه - يعني مع العبد - حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منه].

وقال تعالى: **{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ}**[8] وأكبر الذكر الله على كل حال.

وصية: الاجتهاد بالطاعات والقربات

ثابِرْ على إتيان جميع القرب جهدَ الاستطاعة في كل زمان وحال بما يخاطبك به الحق بلسان ذلك الزمان ولسان ذلك الحال، فإنك إن كنت مؤمناً فلن تخلص لك معصية أبداً من غير أن تخالطها طاعة فإنك مؤمن بها أنها معصية، فإن أضفت إلى هذا التخليط استغفاراً وتوبة فطاعةٌ على طاعة وقربةٌ إلى قربة، فيقوى جزءُ الطاعة التي خُلط بها العمل السيء، والإيمانُ من أقوى القرب وأعظمِها عند الله، فإنه الأساس الذي ابتنى عليه جميع القرب. ومن الإيمان حُكمكَ على الله بما حكم به على نفسه في الخبر الذي صحّ عنه تعالى الذي ذكر فيه [وإن تقرّبَ مني شبراً تقرّبتُ منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة] وسبب هذا التضعيف من الله ولا أقل من العبد ولا أضعف، فإن العبد لا بد أن يتثبت من أجل النية بالقربة إلى الله في الفعل، وإنه مأمور بأن يزن أفعاله بميزان الشرع فلا بد من التثبط فيه، وإن أسرع ووصف بالسرعة فإنما سرعته في إقامة الميزان في فعله ذلك لا في نفس الفعل، فإن إقامة الميزان به تصح المعاملة، وقربُ الله لا يحتاج إلى ميزان فإن ميزان الحق الموضوع الذي بيده هو الميزان الذي وزنتَ أنت به ذلك الفعل الذي تطلب به القربة منه. فوصف نفسه بأنه يقرب منك في قربك منه ضعف ما قربت منه مثلاً بمثل، لأنك على الصورة خُلقت، وأول خلافة لك خلافتك على ذاتك فأنت خليفة في أرض

بدنك، ورعيتُك جوارحك وقواك الظاهرةُ والباطنة. فعين قربه منك قربكَ منهُ وزيادةً، وهي ما قال من الذراع والباع والهرولة والشبر إلى الشبر ذراع والذراع الذراع إلى باع والمشي إذا ضاعفته هرولة، فهو في الأول الذي هو قربكَ منهُ، وهو في الآخر الذي هو قربه منكَ، فهو الأول والآخر وهذا هو القرب المناسب، فإن القرب الإلهي من جميع الخلق غير هذا وهو قوله: **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}**[9] فما أريدَ هنا ذلك القرب، وإنما أريدَ القرب الذي هو جزاء قرب العبد من الله. وليس للعبد قرب من الله إلاّ بالإيمان بما جاء من عند الله بعد الإيمان بالله وبالمبلغ عن الله تعالى.

وصية: مجاهد النفس

ألزم نفسك الحديثَ بعمل الخير وإنْ لم تفعل. ومهما حدّثت نفسك بشرٍّ فاعزم على ترك ذلك لله إلا أن يغلبك القدر السابق والقضاء اللاحق، فإنّ الله إذا لم يقض عليك بإتيان ذلك الشر الذي حدّثت به نفسك كتبه لك حسنة، وقد ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه يقول: [إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها] و- ما - هنا ظرفية. فكل زمان يمر عليه في الحديث بعمل هذه الحسنة وإن لم يهملها فإن الله يكتبها له حسنة واحدة في كل زمان يصحبه الحديث بها فيه، بلغت تلك الأزمنة من العدد ما بلغت، فله بكل زمان حديثٍ حسنة ولهذا قال: [ما لم يعملها] ثم قال تعالى: [فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها] ومن هنا فرض العُشْر فيما سقت السماء إن علمت، فإن كانت من الحسنات المتعدية التي لها بقاء الأجر فإن الأجر يتجدد عليها ما بقيت إلى يوم القيامة كالصدقة الجارية مثل الأوقاف والعلم الذي يبثه في الناس والسنة الحسنة وأمثال ذلك، ثم تمم نعمه على عباده فقال تعالى: [وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها] و- ما - هنا ظرفية كما كانت في الحسنة سواء والحكم كالحكم في الحديث والجزاء بالغاً ما بلغ. ثم قال: [فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها] فجعل العدل في السيئة والفَضل في الحسنة وهو قوله: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}**[10] وهو الفضل وهو ما زاد على المثل. ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنها تقول بحكم الأصل عليها الذي أنطقها في حق أبينا آدم بقولها: **{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}** فما ذكرت إلا مساوينا وما تعرضتْ للحسن من ذلك، فإن الملأ الأعلى تغلب عليه الغيرة على جناب الله أن يهتضم، وعلمتْ من هذه النشأة العنصرية أنها لا بد أن تخالف ربها لما هي عليه من حقيقتها، وذلك عندها بالذوق من ذاتها وإنما هي في نشأتها أظهر، ولولا أن الملائكة في

نشأتها على صورة نشأتنا ما ذكر الله عنهم أنهم يختصمون، والخصامُ ما يكون إلا مع الأضداد. والذي أخبر الله عن الملائكة في حقنا أنهم يقولون: [ذاك عبدك يريد أن يعمل حسنة] فانظر قوة هذا الأصل ما أحكمَه لمن نظر.

ومن هنا تعلم فضل الإنسان إذا ذكر خيراً في أحد وسكت عن شره أين تكون درجته مع القول الجميل من الملائكة فيما ذكروه، ولكن نَبْهتُك على ما نبهتك عليه من ذلك لتعرف نشأتهم وما جُبلوا عليه، فكلٌ يعمل على شاكلته كما قال تعالى. وأخبر أن الملائكة تقول (ذاك عبدك فلان يريد أن يعمل سيئة) وهو أبصر به فقال (ارقبوه فإنْ عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنه إنما تركها من جرائي) أن من أجلي فالملائكة المذكورة هنا هم الذين قال الله لنا فيهم: **{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ}**[11] فالمرتبة والتولية أعطتهم أن يتكلموا بما تكلموا به، فلهم كتابة الحسن من غير تعريف بما يقدم الله إليهم به في ذلك، ويتكلمون في السيئة لما يعلمونه من فضل الله وتجاوزه. ولولا ما تكلموا في ذلك ما عرفنا ما هو الأمر فيه عند الله مثل ما يقولونه في مجالس الذكر في الشخص الذي يأتي إلى حاجته لا لأجل الذكر فأطلق الله للجميع المغفرة وقال: [هم القوم لا يشقى جليسهم] فلولا سؤالهم وتعريفهم بهم ما عرفنا حكم الله فيهم، فكلامهم - عليهم السلام - تعليم ورحمة، وإن كان ظاهره كما يسبق إلى الأفهام القاصرة مع الأصل الذي نبهناك عليه، وقد قال الله تعالى في الحسنة والسيئة **{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}**[12] وأزيد **{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا}** وأغفر بعد الجزاء لقوم وقبل الجزاء لقوم آخرين. فلا بد من المغفرة لكل مسرف على نفسه، وإن لم يتب.

فمن تحقق بهذه الوصية عرف النسبة بين النشأة الإنسانية والملائكية، وأن الأصل واحد كما أن ربنا واحد وله الأسماء المتقابلة فكان الوجود على صورة الأسماء.

وصية: أفضل الذّكر

ثابر على كلمة الإسلام وهي قولك: لا إله إلاّ الله فإنها أفضل الأذكار بما تحوي عليه من زيادة علم، وقال ﷺ [أفضل ما قلتُه أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله] فهي كلمة جمعت بين النفي والإثبات، والقسمة منحصرة فلا يعرف ما تحوي عليه هذه الكلمة إلا من عرف وزنها وما تزن كما ورد في الخبر الذي نذكره في الدلالة عليها.

فاعلم أنها كلمة توحيد، والتوحيد لا يماثله شيء؛ إذ لو ماثله شيء ما كان واحداً ولكن اثنين فصاعداً، وما ثمَ ما يزنه إلا المعادل والمماثل، ولا معادل، فذلك هو المانع الذي منع لا إله إلا الله أن تدخل الميزان، فإن العامة من العلماء يرون أن الشُرك الذي هو يقابل التوحيد لا يصح وجود القول به العبد مع وجود التوحيد، فالإنسان: إما مشرك وإما موحد، فلا يزن التوحيد إلا الشرك ولا يجتمعان في ميزان. وعندنا إنما لم تدخل في الميزان لما ورد في الخبر لمن فهمه واعتبره وهو خبر صحيح عن الله، يقول الله: [لو أن السموات السبع وعامرَهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفّه ولا إله إلا الله في كفه مالت بهن لا إله إلا الله] فما ذكر إلا السموات والأرض لأن الميزان ليس له موضع إلا ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة من السدرة المنتهى التي تنتهي إليها أعمال العباد، ولهذه الأعمال وُضع الميزان فلا يتعدى الميزان الموضع الذي لا تتعداه الأعمال، ثم قال: [وعامرهن غيري] وما لها عامر إلا الله فالخبير تكفيه الإشارة، وفي لسان العموم من علماء الرسوم يعني بالغير الشريكَ الذي أثبته المشرك. لو كان له اشتراك في الخلق لكانت لا إله إلا الله تميل به في الميزان لأن لا إله إلا الله الأقوى على كل حال لكون المشرك يرجح جانب الله تعالى على جانب الذي أشرك به فقال فيهم: إنهم قالوا:**{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}**[13] فإذا رفع ميزان الوجود لا ميزان التوحيد دخلت لا إله إلا الله فيه، وقد تدخل في ميزان توحيد العظمة وهو توحيد المشركين فتزنه ـ لا إله إلا الله ـ وتميل به، فإنه إذا لم يكن العامر غير الله فلا تميل. وغاية ما ذكره إنما هو الله فإلى أين تميل وما ثم إلا واحد في الكفتين؟ وأما صاحب السجلات فما مالت الكفة إلا بالبطالة لأنها هي لا إله إلا الله المكتوبة المخلوقة في النطق، ولو وضعت لكل أحد ما دخل النار من تلفظ بتوحيد، وإنما أراد الله أن يرى فضلَها أهل الموقف في صاحب السجلات ولا يراها ولا توضع إلاّ بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار، فإذا لم يبق في الموقف موّحد قد قضى الله عليه أن يدخل النار، ثم ذلك يخرج بالشفاعة أو بالعناية الإلهية عند ذلك يؤتى بصاحب السجلات ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة ممن لا حظّ له في النار وهو آخر من يوزن له من الخلق فإن لا إله إلا الله له البدء والختام. وقد يكون عين بدئها ختامَها كصاحب السجلات.

ثم اعلم أن الله ما وضع في العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها منفعة وأثقلها وزناً لأنه يقابل بها أضداداً كثيرة فلا بد أن يكون في ذلك الموضع في العامة من القوة ما يقابل به كل ضد، وهذا لا يتفطن له كل عارف من أهل الله إلا الأنبياء الذين شرعوا للناس ما شرعوا، ولا شك أنه قال ﷺ: [أفضل ما قلتُه أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله] وقد قال ما أشارت إلى فضله من أدعى

الخصوص من الذكر بكلمة الله الله أو هو هو ولا شك أنه من جملة الأقوال التي [لا إله إلا الله] أفضل منها عند العلماء بالله.

فعليك يا وليَ الله بالذكر الثابت في العموم فإنه الذكر الأقوى وله النور الأضوى والمكانة الزلفى، ولا يشعر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى أحكمه، فإن الله ما وسَع رحمته إلا للشمول وبلوغ المأمول، وما من أحد إلا وهو يطلب النجاة وإن جهل طريقها. فمن نفى بـ [لا إله] عينَه أثبت بـ [إلا الله] كونَه فتنفي عينك حكماً لا علماً وتوجب كون الحق حكماً وعلماً والإله مَنْ له جميع الأسماء وليست إلا لعين واحدة وهي مسمى الله عامرِ السموات والأرض الذي بيده ميزان الرفع والخفض، فعليك بلزوم هذا الذكر الذي قرَن الله به وبالعلم به السعادة فعم.

وصية: محبة أهل الله

وإياك ومعاداة أهلِ لا إله إلا الله فإن لها من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله، وإنْ أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً لقيهم الله بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته فقد حرمت محاربته، ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاءه في الدنيا والآخرة، وكلٌّ من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدوا. وأقلُّ أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره، فإذا تحققت أنه عدو لله - وليس إلا المشرك - فتبرأ منه كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام في حق أبيه آزر، قال الله عز وجل: **{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ}**[14] هذا ميزانك بقول الله تعالى **{لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ}**[15] كما فعل إبراهيم الخليل **{أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}**[16]

ومتى لا تعلم ذلك فلا تعادِ عباد الله بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان والذي ينبغي لك أنْ تكره فعلَه لا عينه، والعدو لله إنما تَكره عينُه. ففرّقْ بين من تكره عينه - وهو عدو الله - وبين من تكره فعله و- هو المؤمن - أو من تجهل خاتمته ممن ليس بمسلم في الوقت. واحذر قوله تعالى في الصحيح عنه: [من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب] فإنه إذا جَهِلَ أمره وعاداه فما وفى حق الحق في خلقه، فإنه ما يدري علم الله فيه، وما بيّنه الله له حتى يتبرأ منه ويتخذه عدواً، وإذا علم حاله الظاهر - وإن كان عدو الله في نفس الأمر وأنت لا تعلم - فوالِهِ لإقامة حق الله ولا تعاده، فإن الاسم الإلهي الظاهر يخاصمك عند الله فلا تجعل لله عليك حجة فتهلك فإن لله الحجّةَ البالغة، فعامل عبادَ

الله بالشفقة والرحمة كما أن الله يرزقهم على كفرهم وشركهم مع علمه بهم، وما رزقهم إلا لعلمه بأن الذي هم فيه ما هم فيه بهم بل هم فيه به لما قد ذكرنا بلسان العموم أن الله تعالى خالقُ كل شيء، وكفرهم وشركهم مخلوق فيهم، وبلسان الخصوص - ما ظهر حكمٌ في موجود إلا بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي علمه الله منه، فلله الحجةُ البالغة على كل أحد مهما وقع نزاع ومحاجّة. فسلم الأمر إليه واعلم أنك على ما كنت عليه وُعمَّ برحمتك وشفقتك جميع الحيوان والمخلوقين ولا تقل: هذا نبات وجماد ما عندهم خير، نعم عندهم أخيار، أنت ما عندك خير، فاترك الوجود على ما هو عليه وارحمه برحمةِ موجده في وجوده ولا تنظر فيه من حيث ما يقام فيه في الوقت حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين، فيتعينُ عليك عند ذلك أن تتخذهم أعداء لأمر الله لك بذلك حيث نهاك أن تتخذ عدوه ولياً تُلقي إليه بالمودة، فإن اضطرك ضعفُ يقينٍ إلى مداراتهم فدارهم من غير أن تلقي إليهم بمودة ولكن مسالمة لدفع الشر عنك ففوض الأمر إليه واعتمد في كل حال عليه إلى أن تلقاه.

وصية: الفرائض والنوافل

وعليك بملازمة ما افترضه الله عليك على الوجه الذي أمرك أن تقوم فيه، فإذا أكملت نشأة فرائضك - وإكمالُها فرض عليك - فحينئذ تتفرغ ما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت، ولا تحقر شيئاً من عمَلك فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجده، وما كلّفكَ بأمر إلا وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك في الرتبة أعظم عنده فإنك محل لوجود ما كلفك به، إذ كان التكليف لا يتعلق إلا بأفعال المكلفين فيتعلق بالمكلف من حيث فعلهُ لا من حيث عينه.

واعلم أنك إذا ثابرت على أداء الفرائض فإنك تقربت إلى الله بأحب الأمور المقربة إليه، وإذا كنت صاحب هذه الصفة كنت سمعَ الحق وبصره فلا يسمع إلا بك ولا يبصر إلا بك، فيدُ الحق يدك **{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}**[17] وأيديهم - من حيث ما هي يد الله - هي فوق أيديهم - من حيث ما هي أيديهم - فإنها المبايعة (اسم فاعل) والفاعل هو الله، فأيديهم يد الله فبأيديهم بايع تعالى وهُم المبايَعون. والأسباب كلها يد الحق التي لها الاقتدار على إيجاد المسببات، وهذه هي المحبة العظمى التي ما ورد فيها نص جلي كما ورد في النوافل، فإن المثابرة على النوافل توجب حباً إلهياً منصوصاً عليه يكون الحق سمعَ العبد وبصره كما كان الأمر بالعكس في حب أداء

الفرائض، ففي الفرض عبودية الاضطرار وهي الأصلية، وفي الفرع - وهو النفل - عبودية الاختيار، فالحق فيها سمعك وبصرك. وسمي نفلاً لأنه زائد كما أنك بالأصالة زائد في الوجود إذ كان الله ولا أنت ثم كنت فزاد الوجود الحادث فأنت نفل في وجود الحق، فلا بد لك من عمل يسمى نفلاً وهو أصلك، ولا بد من عمل يسمى فرضاً وهو أصل الوجود وهو في وجود الحق، ففي أداء الفرض أنت له وفي النفل أنت لك، وحبُه إياكَ حيثما أنت له، أعظم وأشدُّ من حبه إياك من حيث ما أنت لك، وقد ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى (ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه وما زال العبدُ يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش ورجله التي بها يمشي، ولئن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنّه وما ترددتُ في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموتَ وأنا أكره مساءته) فانظر إلى ما تنتجه محبة الله فثابر على أداء ما يصح به وجودُ هذه المحبة الإلهية، ولا يصح نفل إلا بعد الفرض، وفي النفل عينه فروض ونوافل فبما فيه من الفروض تكمل الفرائض. ورد في الصحيح أنه يقول تعالى (انظروا في صلاة عبدي أتمّها أم نقصها) فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال [انظروا هل لعبدي من تطوع] فإن كان له تطوُعٌ قال الله تعالى: [أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه] ثم تؤخذ الأعمال على ذلكم، وليست النوافل إلا ما لها أصل في الفرائض، وما لا أصل له في الفرائض، فذاك إنشاء عبادة تسميها علماء الرسوم بدعةً قال تعالى: **{وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا}**[18] وسماهَا رسول ﷺ سنةً حسنة، والذي سنَّها له أجرُها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً.

ولما لم يكن في قوّة النفل أن يسد مسد الفرض جَعَل في نفس النفل فروضاً لتجبر الفرائض من ذكرٍ وركوع وسجود مع كونها في الأصل نافلة وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها.

وصية: قمة الكلمة

وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالكن فإن أقوالك من جملة عملك ولهذا قيل: من عَدّ كلامه من عمله قلّ كلامه. واعلم أن الله راعى أقوال عباده فإن الله عند لسان كل قائل، فما نهاك الله عنه أن تتلفظ به فلا تتلفظ به وإن لم تعتقده، فإنه سائلكُ عنه. روينا أن الملَك لا يكتب على العبد ما يعمله حتى يتكلم به، قال تعالى: **{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}**[19] يريد الملَك الذي يحصى

عليك أقوالك يقول تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}[20] وأقوال من أفعالك، انظر في قوله تعالى: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ}[21] فنهاك عن القول فإنه كَذّب الله من قال مثلَ هذا القول، فإن الله قال فيهم إنهم عند ربهم يرزقون ألا تراه تعالى يقول: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ}[22] وقال {لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ}[23] وقال: {لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ}[24] وهو القول فإذا تكلمت فتكلم بميزان ما شرع الله لك أن تتكلم به، وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً.

فعليك بقول الحق الذي يُرضي الله، فما كل حق يقال يرضي الله فإن النميمة حق والغيبة حق وهي لا تُرضي الله، وقد نُهينا أن نغتاب وأن نَنُمَّ بأحدٍ. ومن مراعاة الله الأقوال ما روينا في صحيح مسلم عن الله عز وجل أنه قال: لما مطرت السماء قال تعالى: [أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فمن قال: مُطِرنا بنوءِ كذا وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكواكب] وأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب فراعى أقوال القائلين. وكان أبو هريرة إذا مطرت السماء يقول: مطرنا بنوء الفتح ثم يتلو: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا}[25] ولو كنت تعتقد أن الله هو الذي وضع الأسباب ونصبها وأجرى العادة بأنه يفعل الأشياء عندها لا بها، فمع هذا كله لا تقل ما نهاك الله عنه أن تقوله وتتلفظ به، فإنه كما نهاك عن أمور نهاك عن القول وإن كان حقاً.

وانظر ما أحكم قول الله عز وجل في قوله: [مؤمن بي كافر بالكواكب وكافر بي مؤمن بالكواكب] فإنه مهما قال بفضل الله فقد ستر الكوكب حيث لم ينطق باسمه، ومن قال: بالكواكب فقد ستر الله وإن اعتقد أنه الفاعل منزلُ المطر ولكن لم يتلفظ باسمه فجاء تعالى بلفظ الكفر الذي هو الستر، فإياك والاستمطار بالأنواء أن تتلفظ به فأحرى أن تعتقده فإن اعتقادك إن كنت مؤمناً أنّ الله إنما نصبها أدلة عادية - وكلُّ دليل عادي يجوز خرق العادة فيه - فاحذر من غوائل العادات ولا تصرفَنَّك عن حدود الله التي حَدّ لك فلا تتعداها فإن الله ما حَدّها حتى راعاها وذلك في كل شيء. ورد في الخبر الصحيح [إن الرجلَ يتكلمُ بالكلمةِ من سخط الله يظُن أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفاً، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغَ ما بلغت فيُرفع بها في عليين] فلا تنطق إلا بما يُرضي الله لا بما يسخط الله عليك، وذلك لا يتمكن لك إلا بمعرفة ما حده لك في نطقك. وهذا باب أغفله الناس قال رسول الله ﷺ: [وهل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلا

حصائدُ ألسنتهم] وقال الحكيم [لا شيء أحق بسجنٍ من لسان] وقد جعله الله خلف بابين: الشفتين والأسنان ومع هذا يكثر الفضول ويفتح الأبواب.

وصية: الصورة ذات الروح

وإياك أن تُصور صورةً بيدك من شأنها أن يكون لها روح، فإن ذلك أمر يهوّنه الناس على أنفسهم وهو عند الله عظيم، والمصورون أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة يقال للمصور يوم القيامة: أحيي ما خلقت أو انفخ فيه روحاً وليس بنافخ وقد ورد في الصحيح عن الله تعالى أنه قال: [ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة] وإن العبد إذا راعى هذا القدر وتركه لما ورد عن الله فيه ولم يزاحم الربوبية في تصوير شيء لا من الحيوان ولا من غيره فإنه يطلع على حياة كل صورة في العالم فيراه كله حيواناً ناطقاً يسبِّح بحمد الله، وإذا سامح نفسه في تصوير النبات وما ليس له روحٍ في الشاهد في نظر البصر في المعتاد فلا يطلع على مثل هذا الكشف أبداً، فإنه في نفس الأمر لكل صورة من العالم روح أخذ الله بأبصارنا عن إدراك حياة ما يقال عنه: إنه ليس بحيوان، وفي الآخرة ينكشف الأمر في العموم، ولهذا سماها بالدار الحيوان فما ترى فيها شيئاً إلا حياً ناطقاً بخلاف حالك في الدنيا كما روي في الصحيح أن الحصى سبح في كف رسول الله ﷺ فجعل الناس خرق العادة في تسبيح الحصى وأخطؤوا، وإنما خرقُ العادة في سمعِ السامعين ذلك، فإنه لم يزل مسبّحاً كما أخبر الله إلا أن يسبح بتسبيح خاص أو هيئة في النطق خاصة لم يكن الحصى قبل ذلك يسبح به ولا على تلك الكيفية فحينئذٍ يكون خرقُ العادة في الحصى لا في سمع السامع، والذي في سمع السامع كونه سَمِعَ نطقَ من لم تجر العادة أن يسمعه.

وصية: عيادة المريض

وعليك يا أخي بعيادة المرضى لما فيها من الاعتبار والذكرى، فإن الله خلق الإنسان من ضعف فينبهك النظر إليه في عيادتك على أصلك لتفتقر إلى الله في قوة يقوّيك بها على طاعته، ولأن الله عند عبده إذا مرض ألا ترى إلى المريض ما له استغاثة إلا بالله ولا ذكرى إلا لله، فلا يزال الحق بلسانه منطوقاً به وفي التجاء إليه، فالمريض لا يزال مع الله أيَّ مريض كان ولو تطبب وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها ومع ذلك فلا يغفل عن الله، وذلك لحضور الله عنده. وأن الله

يوم القيامة يقول: [يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما أنك لو عُدْتَه لوجدتني عنده؟] الحديث هو صحيح فقوله: [لوجدتني عنده] هو ذكر المريض ربَّه في سره وعلانيته، وكذلك إذا استطعمك أحد من خلق الله تعالى أو استسقاك فأطعمْه واسقِهِ إذا كنت واجداً لذلك، فإنه لو لم يكن لك من الشرف والمنزلة إلا أن هذا المستطعم والمستسقي قد أنزلك منزلة الحق الذي يطعم عباده ويسقيهم، وهذا نظر قَلَّ منْ يعتبرهُ. انظر إلى السائل إذا سأل كيف صوته يقول: يا لله أعطني فما نطّقَه الله إلا باسمه في هذا الحال، وما رفع صوته إلا ليسمعك أنت حتى تعطيه فقد سماك بالاسم الله والتجأ إليك يرفع الصوت التجاءه إلى الله، ومنْ أنزلك منزلة سيده فينبغي لك أن لا تَحرمه وتبادر إلى إعطائه ما سألك فيه، فإن هذا الحديث الذي سقناه آنفاً في مرض العبد [إن الله يقول: يا ابن آدم اسْتَطْعَمْتُك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف أُطْعِمُك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً استطعمك فلم تطعمه، أما لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندي، يا ابن آدم اسْتَسْقَيْتُك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: علمت أنَّ عبدي فلاناً استسقاك فلم تسقه، أمَّا لو سقيتَه لوجدتَ ذلك عندي] خرّج هذا الحديث مسلمُ عن محَمد بن حاتم عن بهز عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة ﵁ قال رسول الله ﷺ، فأنزل الله نفسه في هذا الخبر منزلة عبده. فالعبد الحاضر مع الله الذاكر لله في كل حال في مثل هذا الحال، يرى الحق أنه الذي استطعمه واستسقاه فيبادرُ لما طلب الحق منه، فإنه لا يدري يوم القيامة لعله يقام في حال هذا الشخص الذي استطعمه واستسقاه من الحاجة فيكافئه الله على ذلك وهو قوله: [لوجدت ذلك عندي] أي تلك الطعمة والشربة كنت أرفعها لك وأُرْبِيهْاَ حتى تجيئني يوم القيامة فأردها عليك أحسن وأطيب وأعظم مما كانت، فإن لم تكن لك همة أن ترى أن هذا الذي استسقاك قد أنزلك منزلةَ منْ بيده قضاء حاجته إذ جعلك الله خليفة عنه فلا أقلّ أن تقضي حاجة هذا السائل بنية التجارة وطلباً للربح وتضاعف الحسنة، فكيف إذا وقفتَ على مثل هذا الخبر ورأيت أن الله هو الذي سألك ما أنتَ مستخلفٌ فيه؟ فإن الكل لله وقد أمرك بالإنفاق مما استخلفك فيه فقال: **{وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}**[26] وعَظَّم لك الأجر فيه.

إذا أنفقت فلا تَردَّ سائلاً ولو بكلمة طيبة، والْقَهُ طَلْق الوجه مسروراً به فإنك إنما تلقى الله. وكان الحسين أو الحسن ﵉ إذا سأله السائل سارع إليه بالعطاء يقول: أهلاً وسهلاً بحامل زادي إلى الآخرة، لأنه رآه قد حمل عنه فكان له مثلَ الراحلة، لأن الإنسان إذا أنعم الله عليه نعمة ولم يُحمِّل

فضلها غيره فإنه يأتي بها يوم القيامة وهو حاملها حتى يُسْأل عنها، فلهذا كان الحسن يقول: إن السائل حامل زاده إلى الآخرة فيرفع عنه مؤنة الحمل.

وصية: الظلمات من الظلم والمظالم

إياكم ومظالمَ العباد فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. وظلمُ العباد أن تمنعهم حقوقهم التي أوجب الله عليك أداءَها إليهم، وقد يكون ذلك بالحال بما تراه عليه من الاضطرار وأنت قادر واجد لِسَدّ خَلته ودفع ضرورته فيتعين عليك أن تعلم أن له بحاله حقاً في مالك، فإن الله ما أطلعك عليه إلا لتدفع إليه حقه، وإلا فأنت مسؤول، فإن لم يكن لك قدرة بما تسد خَلّته فاعلم أن الله ما أطلعك على حاله سدى فاعلم أنه يريد منك أن تعينه بكلمة طيبة عند مَنْ تعلمُ أنه يسدُ خَلته، وإن لم تعمل فلا أقلَّ من دعوة تدعوها له، ولا يكون هذا إلا بعد بذل المجهود واليأس حتى لا يبقى عندك إلاّ الدعاء. ومهما غفلت عن هذا القَدْر فأنت من جملة مَنْ ظلم صاحب هذا الحال، هذا كلُّه إن مات ذلك المحتاج من تلك الحاجة، فإن لم يمت وسَدَّ خلته غيرُك من المؤمنين فقد أسقط أخوك عنك هذه المطالبة من حيث لا تشعر، فإن المؤمن أخو المؤمن لا يُسْلِمه ولا يَظْلمه، وإن لم ينوِ المعطي ذلك ولكن هكذا هو في نفس الأمر، وكذا يقبله الله. فإذا أعطيت أنت سائلاً في حال ضرورته فانوِ في ذلك أن تنوب عن أخيك المؤمن الأول الذي حَرَمه وتجعل ذلك إيثاراً منك لحنانك عليه بذلك الخير الذي أبقاه من أجلك حتى تصيبه، إذ لو أعطاه لقنع بما أعطاه ولم تكن تنال أنت ذلك الخير، فبهذه النية عطاء العارفين أصحاب الضرورات السائلين بأحوالهم وأقوالهم: **{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ}**[27] سواءٌ كان ذلك في القوت المحسوس أو المعنوي، فإن العلم والإفادة من هذا الباب، فإن الضال يطلبُ الهداية، والجائعَ يطلب الإطعام، والعاريَ يطلب الكسوة التي تقيه برد الهواء وَحره وتستر عورته، والجاني العالم بأنك قادر على مؤاخذته يطلب منك العفو عن جنايته، فاهد الحيران وأطعم الجائع واسقِ الظمآن واكْسُ العريان، واعلم أنك فقير لكل ما يُفْتَقَرُ إليك فيه، وأن الله غني عن العالمين ومع هذا يجيب دعاءهم ويقضي حوائجهم ويسألهم أن يسألوه دفع المضار عنهم وإيصال المنافع لهم، فأنت أولى أن تعامل عباد الله بمثل هذا لحاجتك إلى الله في مثل هذه الأمور. خَرّج مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن بَهْرام الدارمي عن مروان بن محّمد الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: [يا عبادي إني حَرّمتُ الظلم على نفسي وَجعلتُه بينكم مُحرماً فلا تَظَالَموا، يا عبادي

كلكم ضالّ إلاّ مَنْ هديتُه فاستهدوني أهْدِكم، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلاّ مَنْ أطْعَمتُه فاستطعموني أطْعِمْكم، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلاّ مَنْ كَسَوتُه فاسْتَكْسُوني أكْسُكُم، يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم] والحق يعطيك هذا كله من غير سؤال منك إياه فيه، ولكن مع هذا أمَرَك أن تسأله فيعطّيك إجابة لسؤالك ليريك عنايته بك حيث قَبِلَ سؤالك. وهذه منزلة أخرى زائدة على ما أعطاك. وإذا كان سؤالك عن أمره وقد علم منك أنك تسأل ولا بد من ضرورة أصل ما خلقت عليه من الحاجة والسؤال لتكون في سؤالك مؤدياً واجباً فتُجزى جزاءَ مَن امتثل أمرَ الله فتزيد خيراً إلى خير، فما أمَرَكَ إلاّ رحمة بك وإيصالَ خيرٍ إليك، ولينبهك على أنّ حاجتك إليه لا إلى غيره فإنه ما خلقك إلاّ لعبادته أي لتَذِل له.

فالذي أوصيك به الوقوفُ عند أوامر الحق ونواهيه، والفهمُ عنه في ذلك حتى تكون من العلماء بما أراده الحق منك في أمره ونهيه، فإياك أن تكون ممن لم يسأل ربه، فإنّ من لم يسأل ربه فقد بخّله، هذا في حق العموم، فإن فرطت فيما أوصيك به فلا تلومنّ إلاّ نفسك، فإنك إن كنتَ جاهلاً فقد علمتُك، وإن كنت ناسياً وغافلاً فقد نبهتك وذكّرتُك، وإن كنت مؤمناً فإن الذكرى تنفعك فإني قد امتثلتُ أمرَ الله بما ذكرتُك به، وانتفاعُك بالذكرى شاهد لك بالإيمان، قال الله عز وجل في حقي وفي حقك: **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}**[28] فإن لم تنفعك الذكرى فاتّهِم نفسك في إيمانها، فإن الله صادق وقد أخبر بأن الذكرى تنفع المؤمنين.

ومن تمام هذا الخبر الإلهي الذي أوردناه بعد قوله: [أغْفِرْ لكم] أنْ قال: [يا عبادي إنكم لَنْ تَبْلغوا ضَري فَتَضُرُّوني، ولن تبلغوا نَفْعي فَتَنْفعُوني] ومعلوم أنه سبحانه لا يتضرر ولا ينتفع فإنه الغني عن العالَمين، ولكنْ لمَّا أنزل نفسه منزلةَ عبده - فيما ذكرناه من الاستطعام والاستسقاء - نَبَهَنا بالعجز عن بلوغ الغاية في ضَرّ العباد له أو في نفعهم إياه، فمن المحال بلوغ الغاية في ذلك. ولكون الله قد قال في حق قوم إنهم اتّبَعوا ما أسخط الله وهو في الظاهر ضرر نَزّه نفسه عن ذلك، وكذلك من فعل فعلاً يرضي الله به ويفرحه كالتائب في فرح الله بتوبة عبده فكان هذا الخبر كالدواء لما يطرأ من المرض من ذلك في بعض النفوس الضعيفة في العلم بالله التي لا علم لها بما يعطيه قوله: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**[29]

ثم من تمام هذا الخبر قوله: [يا عبادي لو أن أوّلكم وآخِرَكم وإنسَكم وجنّكم كانوا على أتقى قَلبِ رجلِ واحدٍ ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً، يا عبادي لو أنَ أولكم وآخركم وإنسكم وجنَكم قاموا في

صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلّ إنسانٍ مسألته ما نَقصَ ذلك مما عندي إلاّ كما ينقص المخْيَطُ إذا دخل في البحر] هذا كله دواء لما ذكرناه من أمراض النفوس الضعيفة، فاستعمل يا وليّ هذه الأدوية، يقول الله: [إنما هي أعمالُكم أحْصِيهَا لكم ثُمَّ أوفِّيكم إياها، فمنْ وجَد خيراً فليحمد الله، وَمن وَجَد غير ذلك فلا يلومنَّ إلاّ نفسَهُ].

ومَن سأل عن حاجة فقد ذَلّ، ومن ذل لغير الله فقد ضلّ، وظلَم نفسه ولم يسلك بها طريق هداها. وهذه وصيتي إياك فالزمها ونصيحتي فاعلمها، وما زال الله تعالى يوصي عباده في كتابه وعلى ألسنة رسله، فكلُ من أوصاك بما في استعمالِهِ سعادتُكَ فهو رسول من الله إليك، فاشكره عند ربك.

وصية: حق العلماء

إذا رأيت عالماً لم يستعمله علمُه فاستعمل أنت علمه فيك في أدبك معه حتى توفي العَالِمِ حقه من حيث ما هو عالمٌ، ولا تحجب عن ذلك بحاله السيء، فإن عند الله درجة علمه فإن الإنسان يحشر يوم القيامة مع مَن أحب، ومن تأدب مع صفة إلهية كُسِيها يوم القيامة وحُشِرَ فيها. وعليك بالقيام بكل ما تعلم أن الله يحبه منك فتبادرَ إليه فإنك إذا تحليت به على طريق التحبب إلى الله أحبك، وإذا أحبك أسعدك بالعلم به وبتجليه وبدار كرامته فينَعِّمُك في بلائك. والذي يحبه تعالى أُمور كثيرة أذكُر منها ما تيسر على جهة الوصية والنصيحة، فمن ذلك التجمل لله فإنه عبادة مستقلة ولا سيما في عبادة الصلاة فإنك مأمور به قال الله تعالى: **{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}**[30] وقال في معرض الإنكار: **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**[31] وأكثر من هذا البيان في مثل هذا في القرآن فلا يكون، ولا فرق بين زينةِ الله وزينةِ الحياة الدنيا إلاّ بالقصد والنية، وإنما عَينُ الزينة (هي هي، ما هي) أمر آخر، فالنية روح الأمور، وإنما لكل امرئ ما نوى فالهجرة من حيث ما كانت هجرةً واحدة العين، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومَنْ كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه، وكذلك ورد في الصحيح في بيعة الإمام في الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وفيه [ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلاّ لدنيا فإن أعطاهُ منها وَفَى، وإن لم يعطه منها لم يَفِ] فالأعمال بالنيات وهي أحد

أركان بيت الإسلام وورد في الصحيح في مسلم أنْ رجلاً قال لرسول الله ﷺ [يا رسول الله إني أحب أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً، فقال رسول الله ﷺ إن الله جميلُ يحب الجمال] وقال: [إن الله أولى مَن يُتَجمّل له].

ومن هذا الباب: كونُ الله تعالى لم يبعث إليه جبريل في أكثر نزوله عليه إلا في صورة دحْية، وكان أجملَ أهل زمانه وبلغ من أثر جماله في الخلق أنه لما قدِمَ المدينة واستقبله الناس ما رأته امرأة حامل إلاّ ألقت ما في بطنها، فكان الحق يقول يبشر نبيه ﷺ بإنزال جبريل عليه في صورة دحية [يا محَمد ما بيني وبينك إلاّ صورة الجمال] يخبره تعالى بما له في نفسه سبحانه منه بالجمال، فمن فاته التجّمل لله كما قلناه فقد فاته من الله هذا الحب الخاص المعين، وإذا فاته هذا الحب الخاص المعين فاته من الله ما ينتجه من علمٍ وتجلٍ وكرامةٍ في دار السعادة، ومنزلةٍ في كثيب الرؤية، وشهودٍ معنوي علمي روحي في هذه الدار الدنيا في سلوكه ومشاهدِه، ولكن كما قلنا ينوي بذلك التجمل لله لا للزينة والفخر بعَرَض الدنيا والزَّهو والعجبِ والبطر على غيره.

من ذلك: الرجوع إلى الله عند الفتنة، فإن الله يحب كل مُفَتَّنٍ تواب، كذا قال رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: **{خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}**[32] والبلاء والفتنة بمعنى واحد، وليس إلاّ الاختبار لما هو الإنسان عليه من الدعوى **{إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ}** أي اختبارك [تَضِلُ بها مَن تَشاء] أي تحيّره و[تَهدي بها مَن تَشاء] أي تبين له طريق نجاته فيها.

وأعظم الفتن: النساءُ والمالُ والولد والجاه، هذه الأربعة إذا ابتلى الله بها عبداً من عباده أو بواحدة منها، وقام فيها مقام الحق في نصبها له، ورجع إلى الله فيها ولم يقف معها من حيثُ عينُها، وأخذها نعمةٌ إلهيةٌ أنعم الله عليه بها رَدَّتهُ إليه تعالى، وأقامتْه في مقام الشكر وحقِه الذي هو رؤية النعمة منه تعالى كما ذكر ابن ماجة في سُنته عن رسول الله ﷺ أنه قال: [أوحى الله لموسى عليه السلام فقال له: يا موسى اشكر لي حقَ الشكر قال موسى: يا ربُ مَن يَقدِر على ذلك؟ قال: يا موسى إذا رأيت النعمة مني فذلك حقُ الشكر] ولمّا غفر الله لنبيه محمدٍ ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبَشّره في ذلك بقوله تعالى: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}**[33] قام حتى تورمت قدماه شكراً لله تعالى على ذلك، فما فَتَر ولا جَنحَ إلى الراحة. ولمّا قيل له في ذلك، وسئل في الرفق بنفسه قال ﷺ: [أفلا أكونُ عبداً شكوراً] وذلك لمّا سمع الله تعالى يقول: **{بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}**[34] فإن لم يقم في مقام شكر المنعم فاتَه من الله هذا الحبُّ الخاص بهذا المقام الذي لا يناله من الله إلاّ الشكور، فإن

الله يقول: **{وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}**[35] وإذا فاته ما له من العلم بالله والتجلي والنعيم ومنزله الخاصُّ به في دار الكرامة وكثيب الرؤية يوم الزور الأعظم، فإنه لكل حب إلهي من صفة خاصة علمٌ وتجلٍ ونعيمٌ ومنزلةٌ لا بدّ من ذلك يمتاز بها صاحب تلك الصفة من غيره.

فأما فتنة النساء: فصورة رجوعه إلى الله في محبتهن بأن يرى أن الكل أحبَّ بعضَهُ وحنَّ إليه، فما أحبَ سوى نَفْسِه، لأن المرأة - في الأصل - خُلقَت من الرجل من ضِلعِه القصرى، فيُنزلها من نفسه منزلة الصورة التي خلق الله الإنسان الكامل عليها، وهي صورة الحق، فجعلها الحق مجلىّ له، وإذا كان الشيء مجلىً للناظر فلا يرى الناظر في تلك الصورة إلاّ نفسه، فإذا رأى في هذه المرأة نفسه بشدة حبه فيها وميله إليها رأى صورته، وقد تبين لك أن صورته صورةُ الحق التي أوجده عليها، فما رأى إلا الحق ولكن بشهوة حب والتْذاذٍ وَصِلةٍ، فَفَنيَ فيها فناء حق بحب صدق، وقابلها بذاته مقابلة المثْلية، ولذلك فني فيها لأنه ما من جزءٍ فيه إلاّ وهو فيها والمحبةُ قد سرت في جميع أجزائه فتعلقَ كلُّه بها فلذلك فنى في مثله الفناء الكلي، بخلاف حبه في غير مثله فاتحد بمحبوبه إلى أن قال:

أنا مَنْ أهوى وَمَنْ أهوى أنا:

وقال الآخرون في هذا المقام [أنا الله] فإذا أحْبَبْتَ شخصاً مثلك هذا الحبَ، ورَدَّك إلى الله شهودُك فيه هذا الرد فأنت ممن أحبه الله، وكانت هذه الفتنة فتنة أعطتك المهداة.

وأما الطريقة الأخرى: في حب النساء فإنهنَ محالُّ الانفعال والتكوينِ لظهور الأعيان والأمثال في كل نوع، ولا شك أن الله ما أحب أعيان العالم في حال عدمه إلاّ لكون تلك الأعيان محالَّ الانفعال، فلما توجه عليها من كونه مريداً قال لها: [كن] فكانت فظهر مُلكه بها في الوجود، وأعطت تلك الأعيان لله حقّه في ألوهته فكان إلهاً فعبدتْهُ تعالى بجميع الأسماء بالحال، سواءُ علمَت تلك الأسماء أم لم تعلمها، فما بقي اسمُ لله إلاّ والعبدُ قد قام فيه بصورته وحالِه وإن لم يعلم نتيجةَ ذلك الاسم، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ في دعائه بأسماء الله: [أو اسْتَأثرتَ به في علم غَيْبِكَ أو عَلّمتَه أحداً من خَلْقك] يعني من أسمائه، أي يعرف عينه حتى يفصله من غيره علماً، فإن كثيراً من الأمور في الإنسان بالصورة والحال ولا يعلم بها ويعلم الله منه أن ذلك فيه، فإذا أحبَ المرأة لِما ذكرناه فقد رَدّه حُبُّها إلى الله فكانت نعمِت الفتنةُ في حقه، فـأحبه الله برجعته إليه تعالى في حبه إياها.

وأما تعلقه بامرأة خاصة: في ذلك دون غيرها - وإن كانت هذه الحقائق التي ذكرناها ساريةً في كل امرأة - فذلك لمناسبة روحانية بين هذين الشخصين في أصل النشأة والمزاج الطبيعي والنظر الروحي، فمنه ما يجري إلى أجل مسمى، ومنه ما يجري إلى غير أجل، بل أجلُه الموت، والتعلق لا يزول كحب النبي ﷺ عائشة، وإنه كان يحبها أكثر من حبه جميعَ نسائه، وحُبِّه أبا بكر أيضاً وهو أبوها، فهذه المناسبات الثواني هي التي تعين الأشخاصَ. والسببُ الأول هو ما ذكرنا. وكذلك الحبُّ المطلق، والسماع المطلق، والرؤية التي يكون عليها بعض عباد الله، ما تختص بشخص في العالم دون شخص، فكل حاضر عنده له محبوب وبه مشغول. ومع هذا لا بدَّ من ميل خاص لبعض الأشخاص لمناسبة خاصة مع هذا الإطلاق لا بد من ذلك، فإن نشأة العالم تعطي في آحاده هذا لا بد من تقييد، والكامل مَنْ يجمع بين التقييد والإطلاق، فالإطلاق مثلُ قوله النبي ﷺ: [حُبِّبَ إليّ مِنْ دنياكن ثلاثٌ: النساءُ] وما خَصّ امرأةً من امرأة. ومثل التقييد ما رُوي من حبه عائشةَ أكثر من سائر نسائه، لنسبة إلهية روحانية قيّدته بها دون غيرها، مع كونهُ يحبُ النساء. فهذا قد ذكرنا من الركن الواحد ما فيه كفايةٌ لمن فهم.

وأما الركن الثاني: من بيت الفتن وهو: الجاه المعبّر عنه بالرياسة، يقول فيه الطائفة التي لا علم لها منهم [آخرُ ما يخرج من قلوب الصدّيقين: حبُّ الرياسة] فالعارفون من أصحاب هذا القول ما يقولون ذلك على ما تَفهَمُهُ العامة من أهل الطريق منهم، وإنما ذلك نُبَيِّنُهُ من مقصود الكمال من أهل الله بذلك، وذلك أنَ في نفس الإنسان أُموراً كثيرة خَبأها الله فيها: **{لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}**[36] أي ما ظهر منكم وما خفي مما لا تعلمونه منكم فيكم، فلا يزال الحقُ يخرج لعبده من نفسه مما أخفاه فيها ما لم يكن يعرف أن ذلك في نفسه، كالشخص الذي يرى منه الطبيب من المرض ما لا يعرفه العليل ولا يحس به من نفسه، كذلك ما خَبأه الله في نفوس الخلق ألّا تراه يقول ﷺ: [مَنْ عرف نفسه عرف ربه] وما كلُّ أحد يعرف نفسه، مع أن نفسه عينُه لا غيرُ ذلك فلا يزال الحقُ يخرج للإنسان من نفسه ما خبأه فيها، فيشهده فيعلم من نفسه عند ذلك ما لم يكن يعلمه قبل ذلك، فقالت الطائفة الكثيرة [آخرُ ما يخرج من قلوب الصدّيقين حبُ الرياسة] فيظهرُ لهم إذا خرج فيحبون الرياسة بحبٍ غير حُبّ العامة لها، فإنهم يحبونها من كونهم على ما قال فيهم إنه سمعُهم وبصرهم، وذكَرَ جميعَ قواهم وأعضائهم، فإذا كانوا بهذه المثابة فما أحبوا الرياسة إلاّ بحب الله لها، إذ له التقدم فإن الرياسة له على العالم، فما أحب الرياسة على العالم فإنهم عبيده، وما كان الرئيس إلاّ بالمرؤوس وجوداً فحبُّه للمرؤوس أشد الحب لأنه المثبت له

الرياسة، فلا أحبَّ من الْمَلِك في ملكه لأن ملكه المثبتُ له ملكاً آخر، وأبقى عليه اسم الملك، فهذا معنى [آخرُ ما يخرج من قلوب الصديقين حبُّ الرياسة] لهم فيرونه ويشهدونه ذوقاً، لا أنه يخرج من قلوبهم، فلا يحبون الرياسة فإنهم إن لم يحبوا الرياسة فما حصل لهم العلم بها ذوقاً بالصورة التي خلقهم الله عليها في قوله ﷺ: [إنّ الله خلقَ آدم على صورته] في بعض تأويلات هذا الخبر ومحتملاته فاعلم ذلك.

والجاه إمضاء الكلمة: ولا أمضى كلمةً من قوله: **{إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}**[37] فأعظم الجاه من كان جاهه بالله إذا كان الله قوّى هذا العبد، فيرى هذا العبدُ مع بقاء عينه، فيعلم عند ذلك أنه المثل الذي لا يُماثل، فإنه عبدٌ ربٌ، والله عز وجل ربٌ لا عبدٌ فله الجمعية وللحق الانفراد.

وأما الركن الثالث: وهو المال، وما سُمي المال بهذا الاسم إلا لكونه يُمال إليه طبعاً، فاختبر الله به عباده حيث جعل تيسير بعض الأمور بوجوده، وعلق قلوب الخلق بمحبة صاحب المال وتعظيمه ولو كان بخيلاً، فإن العيون تنظر إليه بعين التعظيم لتوهم النفوس باستغنائه عنهم لما عنده من المال، وربما يكون صاحبُ المال أشدَّ الناس فقراً إليهم في نفسه، ولا يجد في نفسه الاكتفاء ولا القناعة بما عنده، فهو يطلب الزيادة عما بيده. ولمّا رأى العالَمُ ميل القلوب إلى رب المال لأجل المال أحبوا المال، فطلب العارفون وجهاً إلهياً يحبون به المال، إذ ولا بدّ من حبه وهنا موضع الفتنة والابتلاء التي لها الضلالة والمهداة.

فأما العارفون: فنظروا إلى أُمورٍ إلهية منها قوله تعالى: **{وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}**[38] فما خاطب إلاّ أصحاب الجَدَة، فأحبوا المال ليكونوا من أهل هذا الخطاب فيلتذوا بسماعه حيث كانوا، فإذا أقرضوه وروا أن الصدقة تقع بيد الرحمن فحصل لهم بالمال وإعطائه مناولةُ الحق منهم، ذلك كانت وُصلةَ المناولة. وقد شرف الله آدم بقوله: **{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}**[39] فمن يُعطيه عن سؤاله القرضَ أَتَمُّ في الالتذاذ بالشرف ممن خلقه بيده، فلولا المال ما سمعوا ولا كانوا أهلاً لهذا الخطاب الإلهي، ولا حصل لهم بالقرض هذا التناولُ الرباني، فإن ذلك يعم الوُصلة مع الله، فاختبرهم الله بالمال، ثم اختبرهم بالسؤال منه، وأنزل الحقُ نفسه منزلة السائلين من عباده أهل الحاجة من أهل الثروة منهم والمال بقوله في الحديث المتقدم في هذا الباب[40] [يا عبدي اسْتَطْعَمْتُك فلم تُطْعِمني واسْتَسْقَيْتُك فلم تَسْقِني] فكان لهم بهذا النظر حبُّ المال فتنةً مهداة إلى مِثل هذا.

وأما فتنة الولد: فلكونه سِرّ أبيه وقطعةً من كبده وألصق الأشياء به، فحبُّه حبُّ الشيء نفسَه، ولا شيء أحبُّ إلى الشيء من نفسه. فاختبره الله بنفسه في صورةٍ خارجة عنه سماها ولداً ليرى: هل يحجبه النظر إليه عما كلفه الحق من إقامته الحقوق عليه؟ بقول رسول الله ﷺ في حق ابنته فاطمة ومكانتِها من قلبه المكانةَ التي لا تجهل [لو أن فاطمة بنتَ محَمدٍ سرقت قطعتُ يدها] وجلدَ عمرُ ابن الخطاب ابنه في الزنى فمات ونفسُه بذاك طيبة، وجاد ماعزٌ بنفسه والمرأةُ في إقامة الحدّ عليها الذي فيه إتلاف نفوسهما، حتى قال في توبتهما رسول الله ﷺ: [إنها لو فُرِّقتْ على الأُمة لَكَفَتْها] وأيُّ توبة أعظمُ مِن أن جادا بنفسهما، والجود بإقامة الحق المكروه على الولد أعظمُ في البلاء، يقول الله في موت الولد في حق الوالد [ما لعبدي المؤمن إذا قبضت صَفيّه من أهل الدنيا عندي جزاءٌ إلا الجنة] فمن أحكم هذه الأركان التي هي من أعظم الفتن وأكبر المحن، وآثرَ جنابَ الحق ورعاه فيها فذلك الرجلُ الذي أعظمَ منه في جنسه.

وصية: الله وتر يحب الوتر

ومن وصيتي إياك: أنك لا تنام إلاّ على وتر، لأن الإنسان إذا نام قبض الله روحه إليه في الصورة التي يرى نفسه فيها إن رأى رؤيا، فإن شاء ردّها إليه إنْ كان لم يَنْقَضِ عُمْرُهُ، وإن شاء أمسكها إن كان قد جاء أجلُه. فالاحتياط أن الإنسان الحازم لا ينام إلا على وتر، فإذا نام على وتر نام على حالة وعملٍ يحبه الله، ورد في الخبر الصحيح [إن الله وتر بحب الوتر] فما أحب إلا نفسه، وأيُّ عنايةٍ وقربٍ أعظمُ من أن أنزَلَكَ منزلةَ نفسه في حبه إياك إذا كنت من أهل الوتر في جميع أفعالك التي تطلب العدد والكمية، وقد أمرك الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ فقال: [أوتروا يا أهلَ القرآن] وأهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصتهُ، وكذلك إذا اكتحلت فاكتَحِلْ وترْاً، في كل عين واحدةً أو ثلاثةً، فإن كل عين عضوٌ مستقل بنفسه، وكذلك إذا طَعِمتَ فلا تنزع يَدك إلا عن وتر، وكذلك شربُك الماءَ في حسواتك إياه اجعله وتراً، وإذا أخذك الفُواق[41] اشرب من الماء سبع حسوات فإنه ينقطع عنك، هذا جربته بنفسي، وإذا تنفستَ في شربك فتنفس ثلاثَ مرات، وأزل القدح عن فيْكَ عند التنفس، هكذا أمرَك رسول الله ﷺ فإنه أهنأ وأمرأ وأروى، وإذا تكلمت بالكلمةِ لتُفهم السامعَ فأعدها ثلاث مرات وتراً حتى تُفهم عنك، فهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ، فإني ما أوصيك إلا بما جرت السّنة الإلهية عليه، وهذا هو عين الاتّباع الذي أمرك الله تعالى به في القرآن فقال: **{قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[42] فهذه محبة الجزاء، وأما محبته الأولى التي ليست جزاءً، فهي المحبة التي وفقك بها للأتباع، فحبك قد جعله الله بين حبين إلهيين: حبِ منةٍ، وحبِ جزاءٍ، فصارت المحبة بينك وبين الله وتراً: حبُّ المنة وهو الذي أعطاك التوفيق للأتباع، وحبُّك إياه، وحبُّه إياك جزاءً من كونك أتبعت ما شرعه لك: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}**[43] وبهذه الآية ثبتت عصمة رسول الله ﷺ، فإنه لو لم يكن معصوماً ما صح التأسّي به، فنحن نتأسى رسول الله ﷺ في جميع حركاته وسكناته وأفعالهِ وأحوالهِ وأقوالهِ، ما لم يُنهَ عن شيء من ذلك على التعيين في كتاب أو سنة، مثل نكاح الهبة خالصةً لك من دون المؤمنين، ومثل وجوب قيامِ الليل عليه والتهجد، فهو ﷺ يقومه فرضاً ونحن نقومه تأسياً وندباً، فاشتركنا في القيام. يقول أبو هريرة: [أوصاني خليلي ﷺ بثلاث] فأوْترَ في وصيته، وفيها [وأن لا أنام إلا على وترٍ] وورد في الحديث الصحيح [إن تسعةً وتسعين اسماً، مائةً إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة] فإن الله وتر يحب الوتر. وقد تقدم في هذا الكتاب في باب سؤالات الترمذي الحكيم، وهو آخر أبواب فصل المعارف في حب الله التوابين والمتطهرين والشاكرين والصابرين والمحسنين وغيرهم مما ورد أن الله يحب إتيانه، كما وردتْ أشياءُ لا يحبها الله قد ذكرناها في هذا الكتاب فأغنى عن إعادتها.

وصية: المراقبة لله في المنع والعطاء وحكمة القدر

وعليك بمراقبة الله عز وجل فيما أخذ منك وفيما أعطاك، فإنه تعالى ما أخذ منك إلا لتصبر فيحبك فإنه يحب الصابرين، وإذا أحبك عاملك معاملة المحب محبوبه، فكان لك حيث تريد إذا اقتضت إرادتك مصلحتك، وإذا لم تقتض إرادَتُك مصلحتَك فعلَ بحبه إياك معك ما تقتضيه المصلحة في حقك، وإن كنت تكره في الحال فعلَه معك، فإنك تحمد بعد ذلك عاقبة أمرك، فإن الله غيرُ متَّهم في مصالح عبده إذا أحبه. فميزانك في حبه إياك أن تنظر إلى ما رزقك من الصبر على ما أخذه منك، ورزقك فيه من مال أو أهل، أو ما كان مما يعز عليك فراقه، وما من شيء يزول عنك من المألوفات إلا ولك عوض منه عند الله قال بعضهم:

لكلِّ شيءٍ إذا فارقْته عِوَضٌ   وليس للهِ إن فارقْتَ من عوَضِ

فإنه لا مثل له، وكذلك إذا أعطاك وأنعم عليك، ومن جملة ما أنعم به عليك وأعطاك، الصبرُ على ما أخذه منك، فأعطاك لتشكر كما أخذ منك لتصبر فإنه تعالى يحب الشاكرين، وإذا أحبك حُبَّ الشاكرين غفر لك، قال رسول الله ﷺ في رجل رأى غصنَ شوكٍ في طريق الناس فَنَحَّاهُ فشكر الله فعله فغفر له: [إنّ الإيمانَ بضع وسبعون شعبةً، أدناها إماطةُ الأذى عن الطريق] وهو ما ذكرناه [وأرفعها قولُ لا إله إلا الله] فالمؤمن الموفق يبحث عن شُعب الإيمان فيأتيها كلَّها، وبحثُه عن ذلك من جملة شعب الإيمان، فذلك هو المؤمن الذي حاز الصفة وملأ يديه من الخير، وما شكرك الله بسبب أمر أتيته مما شرع لك الإتيان به إلا لتزيد في أعمال البر، كما أنك إذا شكرته على ما أعطاك وما أنعم به عليك زادك من نعمه لقوله: **{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}**[44]، ووصف نفسه بأنه يشكر عباده فهو الشكور، فزده كما زادك لشكرك. ومع هذا فاعتقد أن كل شيء عنده بمقدار، وكلَّ شيء في الدنيا يجري إلى أجلٍ مسمى عند الله، فما ثمَ شيء في العالم إلا وهو لله، فإن أخذه منك فما أخذه إلاّ إليه، وإن أعطاك فما أعطاك إلاّ منه، فالأمر كلُّه منه وإليه وكفى بك ـ إذا علمت أن الأمر على ما أعلمتك ـ أن تكون مع الله تشهده في جميع أحوالك، من أخذٍ وعطاء فإنك لن تخلو في نفسِك من أخذٍ وعطاء إلهي، أول ذلك أنفاسك التي بها حياتك. فيأخذ منك نَفَسَك الخارج بما خرج من ذكرٍ بقلب أو لسان، فإن كان خيراً ضاعف لك أجره، وإن كان غير ذلك فمن كرمه وعفوه يغفر لك ذلك، ويعطيك نَفَسك الداخل بما شاء وهو وارد وقتك، فإنْ ورد بخير فهو نعمة من الله فقابِلْها بالشكر، وإن كان غير ذلك مما لا يرضي الله فاسأله المغفرة والتجاوزَ والتوبة، فإنه ما قضى بالذنوب على عباده إلا ليستغفروه فيغفر لهم ويتوبوا إليه فيتوبَ عليهم. ورد في الحديث [لَوْ لم تُذْنِبوا لجاءَ الله بقوم يذْنبونَ وَيتوبونَ فيغفرُ الله لهم ويتوبُ عليهم] حتى لا يتعطل حكم من الأحكام الإلهية في الدنيا، وورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: [إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكلُّ شيء عِنده بأجلٍ مسمى] فإذا انتهى أجله انقضى وجاء غيره، وإنما قال رسول الله ﷺ هذا معرفاً إيانا بما هو الأمر عليه لِنُسَلِّم الأمر إليه فنُرزقَ درجة التسليم والتفويض مع بذل المجهود فيما يحبه منا أن نرجع إليه فيه بحسب الحال: إن كان في المخالفة فبالتوبة والاستغفار، وفي الموافقة بالشكر وطلب الإقامة على طاعة الله وطاعة رسول الله، ونجد عزاً في نفوسنا بمعرفة أن كل شيء عند الله في الدنيا يجري إلى أجل مسمى وللصابرين حمدٌ يخصهم وهو: الحمد لله على كل حال، وللشاكرين حمدٌ يخصهم وهو: الحمد الله المنعم المفضل، هكذا كان يحمد رسول الله ﷺ ربَّه عز وجل في حالة السراء والضراء، والتأسي برسول الله ﷺ في ذلك أولى من أن تستنبط حمداً آخر فإنه لا أعلى مما وضعه العالِم المكَمَّل الذي

شهد الله له بالعلم به وأكرمه برسالته واختصاصه وأمرنا بالاقتداء به واتّباعه، فلا تحْدِث أمراً ما استطعت فإنك إذا سننت سنةً لم يجئ مثلُها عن رسول الله ﷺ وهي حسنة فإن لك أجرَها وأجرَ مَنْ عمل بها، وإذا تركت تَسْنينهَا اتّباعاً لكون رسول الله ﷺ لم يسنها فإن أجرك في اتّباعك ذلك ـ أعني ترك التسنين ـ أعظم من أجرك من حيث ما سننت بكثير، فإنَ النبي ﷺ كان يكره كثرة التكليف على أُمته، وكان يكره لهم أن يسألوه في أشياءَ مخافةَ أن يُنزَّل عليهم في ذلك ما لا يطيقونه إلاّ بمشقة، ومن سَنّ فقد كَلَّف، وكان النبي ﷺ أولى بذلك ولكن تركه تخفيفاً، فلهذا قلنا: الاتّباعُ في الترك أعظمُ أجراً من التسنين، فاجعلْ بالك لما ذكرته لك. ولقد بلغني عن الإمام أحمد بن حنبلَ ﷺ أنه مات وما أكل البطِّيخ، فقيل له في ذلك، فقال: ما بلغني كيف كان رسول الله ﷺ يأكله، فلمّا لم تبلغه الكيفية في ذلك تركه. وبمثل هذا تقدّم علماء هذه الأُمة على علماء سائر الأُمم هكذا هكذا وإلاَ فلا لا، فهذا الإمام عَلّمَ وَتحَقّقَ معنى قوله تعالى عن نبيه ﷺ **{فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}**[45] وقوله: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}**[46] والاشتغالُ بما سَنَّ ﷺ من قولٍ وفعلٍ وحالٍ أكثرُ من أن نحيط به، فكيف أن نتفرع لنَسُنَّ؟ فلا نكلف الأُمة أكثر من ورد.

وصية: الشرك الخفي وأخطاره

عليك بأداء الأوجب من حق الله وهو: أن لا تشركَ بالله شيئاً من الشرك الخفي الذي هو: الاعتماد على الأسباب الموضوعة، والركونُ إليها بالقلب والطمأنينة بها، هي: سكونُ القلب إليها وعندها، فإنَّ ذلك من أعظم رُزْءٍ ديني في المؤمن، وهو قوله تعالى من باب الإشارة: **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ}**[47] يعني ـ والله أعلم به ـ هذا الشرك الخفي الذي يكون معه الإيمان بوجود الله، والنقض في الإيمان بتوحيد الله في الأفعال لا في الألوهة، فإن ذلك هو الشرك الجلي الذي يناقِض الإيمان بتوحيد الله في الألوهة لا الإيمان بوجود الله. ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: [أتدْرون ما حقُّ الله على العباد؟ حَقُ الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً] فأتى بلفظة [شيء] نكرةً، فدخل فيه الشركُ الجلي والخفي، ثم قال: [أتدرون ما حَقُّهم على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يُعَذبهم] فاجعل بالك من قوله: [أنْ لا يعذبهم] فإنهم إذا لم يشركوا بالله شيئاً لم يتعلق لهم خاطرُ إلا بالله إذ لم يكن لهم توجه إلا الله، وإذا أشركوا بالله الشركَ المناقض للإسلام، أو الشرك الخفي الذي هو النظرُ إلى الأسباب المعتادة، فإن الله قد عَذّبهم بالاعتماد عليها لأنها معرضة

للفقد، ففي حال وجودها يتعذبون بتوهم فقدِها وبما ينقص منها، وإذا فقدوها تعذبوا بفقدها، فهم معذبون على كلِ حالٍ في وجود الأسباب وفقدها، وإذا لم يشركوا بالله شيئاً من الأسباب استراحوا ولا يبالون بفقدها، فإنّ الذي اعتمدوا عليه - وهو الله - قادرٌ على إتيان الأُمور من حيث لا يحتسبون، كما قال تعالى **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}**[48] ولقد قال بعضهم في ذلك نظماً وهو:

وَمنْ يَتْقِ الله يجعلْ له	**كما قالَ منْ أمره مَخرَجا**
ويرْزقْه من غير حُسبانه	**وإن ضاق أمْرٌ به فَرَّجَا**

فمن علامة التّحقق بالتقوى: أن يأتي للمتقي رزقه من حيث لا يحتسب، وإذا أتاه من حيث يحتسب فما تحقق بالتقوى، ولا اعتمد على الله، فإن معنى التقوى في بعض وجوهها أن تتخذ الله وقايةً من تأثير الأسباب في قلبك باعتمادك عليها، والإنسان أبصرُ بنفسه وهو يعلم من نفسه بمن هو أوثقُ وبما تسكن إليه نفسه، ولا يقولُ: إنّ الله أمرني بالسعي على العيال، وأوجب عليَّ النفقة عليهم فلا بُدّ من الكدّ في الأسباب التي جرت العادةُ أن يرزقهم الله عندها، فهذا لا يناقض ما قلناه، فنحن إنما نهيناك عن الاعتماد عليها بقلبك، والسكون عندها، ما قلنا لك: لا تعملّ بها. ولقد نمْتُ عند تقييدي هذا الوجه، ثمّ رجعتُّ إلى نفسي وأنا أنشدُ بيتين لم كن أعرِفُهما قبل ذلك، وهما:

لا تَعتَمدْ إلاّ على الله	**فـكلُّ أمــرٍ بيــدِ الله**
وهذه الأسبابُ حجّابه	**فــلا تكــنْ إلا مــع الله**

فانظر في نفسك: فإنْ وجدت أنّ القلب سَكنَ إليها فاتّهم إيمانك واعلم أنك لست ذلك الرجلَ، وإنْ وجدتَ قلبك ساكناً مع الله واستوى عندك حالةُ فَقْدِ السبب المُعين، وحالةُ وجوده فاعلم أنك ذلك الرجلُ الذي آمن ولم يشرك بالله شيئاً، وأنك من القليل، فإن رَزَقك من حيث لا تحتسب فذلك بُشرى من الله أنك من المتقين.

ومن سر هذه الآية أن الله وإن رَزَقك من السبب المعتاد الذي في خزانتك وتحت حُكمِك وتصريفك، وأنت متقٍ، أي: قد اتخذتَ الله وقايةً لأنه الواقي فإنك مرزوقٌ من حيث لا تحتسب، فإنه

ليس في حسبانك أنّ الله يرزقك، ولا بدّ مما بيدك ومن الحاصل عندك، فما رزقك إلا من حيث لا تحتسب، وإن أكلت وارْتزقتَ من ذلك الذي بيدك. فاعلم ذلك فإنه معنى دقيق ولا يشعر به إلاّ أهل المراقبة الإلهية الذين يراقبون بواطنهم وقلوبهم، فإنّ الوقاية ليست إلا الله تمنعُ العبدَ من أن يصل إلى الأسباب بحكم الاعتماد عليها لاعتمادِهِ على الله عز وجل، وهذا معنى قوله: **{يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}**[49] فهذا مخرج التقوى في هذه الآية وهي وصيةُ الله عبده وإعلامَهُ بما هو الأمر عليه.

وصية: من تواضع لله

واحذر يا أخي أن تريد علواً في الأرض، والزم الخمولَ، وإنْ أعلى الله كلمتك فما أعلى إلاّ الحق، وإن رزقك الرفعة في قلوب الخلق فذلك إليه عز وجل، والذي يلزمك التواضعُ والذِّلةُ والانكسارُ فإنه إنما أنشأك من الأرض فلا تعلُ عليها فإنها أُمُّك، ومن تكبر على أُمه فقد عقّها، وعقوقُ الوالدين حرام. ثم إنه قد ورد في الحديث (إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلاّ وضعه) فإن كنتَ أنت ذلك الشيء فانتظر وضعَ الله إياك، وما أخاف على من هذه صفته إلا أنّ الله تعالى إذا وَضعَه في النار، وذلك إذا رفعَ ذلك الشيء نفسه لا إذا رفعه الله فذلك إليه، إلاّ أنه لا بدّ أن يراقبَ الله فيما أعطاه من الرِّفعة في الأرض بولايةٍ وتَقَدم يخْدم من أجله ويُغشى بابُه ويُلزم ركابه، فلا يبرح ناظراً في عبوديته وأصله فإنه خُلِقَ من ضَعْفٍ ومن أصلٍ موصوف بأنه ذلولٌ، ويعلم أن تلك الرفعة إنما هي للرتبة والمنصبِ لا لذاته فإنه إذا عزل عنها لم يبق له ذلك الوزنُ الذي كان يتخيله، وينتقل ذلك إلى من أقامه الله في تلك المنزلة، فالعلو للمنزلة لا لذاته. فمن أراد العلو في الأرض فقد أراد الولاية فيها، وقد قال رسول الله ﷺ في الولاية [إنها يومَ القيامةِ حسرةٌ وندامةٌ] فلا تكنْ من الجاهلين.

فالذي أوصيك به أنك لا تريد علواً في الأرض، وإن أعلاك الله لا تطلب أنت من الله إلاّ أن تكون في نفسك صاحب ذلةٍ ومسكنةٍ وخشوعٍ، فإنك لن تُحصّل ذلك إلاّ أن يكون الحقُ مشهوداً لكَ. وليس مدارُ الخلقِ والأكابر إلاّ على أن يحْصُل لهم مقامُ الشهود فإنه الوجود المطلوب.

وصية: حكم غسل الجمعة

وعليك بالاغتسال في كل يوم جمعة، واجعله قَبَل رَوَاحك إلى صلاة الجمعة، وإذا اغتسلت فانوِ فيه أنك تؤدي واجباً، فإنه قد ورد في الصحيح [أن غسلَ الجمعة واجبٌ على كل مسلم] وقد ورد عن رسول الله ﷺ: [حُقَّ على كلِ مسلمٍ أن يغتسل في كلِّ سبعة أيام] فتجمعُ بين الحديثين بغُسل الجمعة، وذلك أن الله خلقَ سبعة أيام وهي أيام الجمعة، فإذا انقضت جمعةٌ ودارت الأيام فهي الجديدة الدائرة فلا تنصرف عنك دورة إلا عن طهارة تُحدِثُها فيها إكراماً لذاتك وتقديساً وتنظيفاً، كما جاء في السواك [إنّه مطهرة للفم ومرضاةٌ للرب] وكذلك الغسلُ في الأسبوع مطهرةٌ للبدن ومرضاةٌ للرَّب، أي العبدُ فَعَلَ فعلاً يُرضي الله به من حيث إن الله أمره بذلك فامتثَلَ أمره.

وصية: المراء في الدين

وإياك والمِراءَ في شيءٍ من الدين - وهو الجدالُ - فلا تخلو من أحد أمرين: إما تكون محقاً أو مبطلاً كما يفعل فقهاءُ زماننا اليوم في مجالس مُناظراتهم، ينوون في ذلك تنقيحَ خواطرهم، فقد يلتزم المناظر في ذلك مذهباً لا يعتقده، وقولاً لا يرتضيه وهو يجادل به صاحبَ الحق الذي يعتقد فيه أنه حقّ، ثم تخدعه النفسُ في ذلك بأن يقولَ له: إنما نفعل ذلك لتنقيح الخاطر لا لإقامةِ الباطل، وما علم أن الله عند لسان كلِّ قائلٍ، وأنَّ العاميَّ إذا سمع مقالتَه بالباطِلِ وظهوره على صاحب الحق - وهو عنده أنه فقيه - عمل العاميُّ المقلدُ على ذلك الباطل لِما رأى من ظهوره على صاحب الحق وعجزِ صاحبِ الحق عن مقاومته، فلا يزال الإثمُ يتعلق به ما دام هذا السامعُ يعملُ منه، ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ الثابتِ أنه قال [أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنة لمن ترك المراءَ وإنْ كان محِقاً، وببيتٍ في وسَط الجنةِ لمنْ تركَ الكذبَ وإن كان مازحاً] ومنه المراءُ في الباطل، وكان رسول الله ﷺ يمزح ولكن لا يقول إلاّ حقاً.

وصية: مكارم الأخلاق

وعليك بحُسن الأخلاق، وإتيان مكارمها، وَتجَنُّبِ سَفْسَافِها، فإذا النبي ﷺ يقول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وإنه ﷺ قد ضمن بيتاً في أعلى الجنة لمن حَسّنَ خلُقه. ولما كانت الأخلاق الحسنة عبارة عن أن تفعل مع المتخلّقِ معه بتصرَّفِ أخلاقك معه في معاملتك إياه - وعلمت أنّ أغراضَ الخلقِ متباينةٌ، وأنه أرضى زيداً أسخط عدوّه عمراً، لا بُدَّ من ذلك - فمن المحال أن تكونَ

في خُلُق كريم يُرضي جميعَ الخلائق، ولمّا رأينا أن الأمر على هذا الحدّ، وأدخل الله نفسَه مع عِبَاره في الصحبة - كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لربه: [أنتَ الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل] وقال: **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}**[50] وقال: **{إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}**[51] وقال: **{إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}**[52] قلنا فلا تصرفْ مكارمَ الأخلاق إلاَّ في صحبة الله خاصة. فكلُّ ما يرضي الله تأتيه، وكلُّ ما لا يرضيه تجتنبه، وسواءٌ كانتِ المعاملة والخُلُق مما يخصُّ جانبَ الحق، أو يتعدى إلى الغير، وأنها وإنْ تعدت إلى الغير فإنها مما يرضي الله، وسواءُ عندك سَخِط ذلك الغير أو رضي، فإنه: إنْ كان مؤمناً رضي بما يُرضي الله، وإنْ كان عدواً لله فلا اعتبار له عندنا، فإن الله يقول: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**[53] وقال: **{لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}**[54] فحسنُ الخلق إنما هو فيما يرضي الله، فلا تصرفه إلا مع الله سواء كان ذلك في الخلق، أو فيما يختص بجناب الله. فمن راعى جناب الله انتفع به جميعُ المؤمنين وأهل الذمة، فإن لله حقاً على كل مؤمنٍ في معاملة كلِّ أحدٍ من خلق الله على الإطلاق من كل صنف من مَلَكٍ وجان وإنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ ومعدنٍ وجمادٍ ومؤمنٍ وغيرِ مؤمن. وقد ذكرنا ذلك في رسالة الأخلاق لنا كتبنا بها إلى بعض إخواننا [سنة إحدى وتسعين وخمسمائة] وهي جزءٌ لطيف غريبٌ في معناه، فيه معاملة جمع الخلْق بالخلُق الحسن الذي يليق به. وحُسْنُ الخلق بحسب أحوال من تصْرِفُها فيه ومعه، هذا أمر عام، والتفصيلُ فيه لك بالواقع، فانظر فيه فإنه أكثر من أن تُحصى آحادُه، لما في ذلك من التطويل، والله الموفقُ لا رَبّ غيرهُ. وكذلك تجنب سَفْسَافَ الأخلاق، ولا تَعْرِفُ مكارمَ الأخلاق مِنْ سَفْسَافِها إلاّ حتى تعرف مصارفَها، فإذا عرفتَ مصارفَها علمت مكارمها وسفسافها. وهو علمٌ شريفٌ خفي، فلا يَفُوتَنَّك علمُ مصارف الأخلاق فإن ذلك يختلف باختلاف الوجوه.

وصية: الهجرة من الإيمان

وعليك بالهجرة ولا تَقُم بين أظْهُر الكفار، فإن في ذلك إهانةَ دين الإسلام وإعلاءَ كلمةِ الكفرِ على كلمةِ الله، فإنّ الله أمرَ بالقتال إلاّ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الذين كفروا هي السفلى. وإياك والإقامة أو الدخولَ تحت ذمةِ كافرٍ ما استطعت، واعلم أن المقيمَ بين أظْهُرِ الكفار - مع تمكُّنه من الخروجِ من بينَ ظهْرَانيهم - لا حَظَّ له في الإسلام، فإن النبي ﷺ قد تبرأ منه، ولا يتبرأ رسولُ الله ﷺ من مسلم. وقد ثبت عنه أنه ﷺ قال: [أنا بريءٌ من مسلم يُقِيمُ بين أظْهُرِ المشركين] فما اعتبر

له كلمةَ الإسلام. وقال الله تعالى فيمن مات وهو بين أظهر المشركين: {**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**}[55] فلهذا حجَّرْنا في هذا الزمان على الناس زيارةَ بيتِ المقدس والإقامةَ فيه، لكونه بيَدِ الكفار، فالولايةُ لهم والتحكُم في المسلمين، والمسلمون معهم على أسوأ حالٍ - نعوذ بالله من تَحَكُّم الأهواء - فالزائرون اليومَ لبيت المقدس، والمقيمون فيه من المسلمين هم الذين قال الله فيهم: {**ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**}[56] وكذلك فلتهاجر عن كل خلقٍ مذمومٍ شرعاً قد ذمّه الحقُّ في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ.

وصية: العمل بمقتضى العلم

وعليك باستعمالِ العلم في جميع حركاتك وسكناتك، فإن السخي الكاملَ السخاءِ من سَخيَ بنفسه على العلم، فكان بحكم ما شرعَ الله له فَعَلِمَ وَعمِل وعلّمَ مَنْ لم يعلم. وقد أثنى رسولُ الله ﷺ على مَنْ قَبِل العلَم وعمِل به وعلَّمه، وذَمّ نقيضَ ذلك. فثبت عنه ﷺ أنه قال [مَثلُ ما بعثني الله به من الهدى والعِلم كَمَثَل غيثٍ أصاب أرضاً فكانت منها طائفةٌ قَبِلتِ الماءَ فأنْبتَتِ الكَلَأ والعشبَ الكثيرَ، وكان منها أجادبُ أمسكتِ الماءَ فنفع الله به الناسَ فشربوا منها وَسقَوا وزرعوا، وأصابَ منها طائفةٌ إنما هي قيعَان لا تُمْسك ماءً ولا تُنْبت كلأ فكَذلك مَنْ فَقُه في دين الله، ونَفَعه الله بما بعثني به فَعَلِم وعمِل وعَلَّم. وَمَثَلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأساً مَثلُ القِيعان التي لم تمسكْ ماءً ولا أنبتتْ كلأً] فكنْ يا أخي ممن عَلِمَ وعَمِل، ولا تكن ممن عَلِمَ وتركَ العمل، فتكون كالسراجٍ أو الشمعة تضيء للناس وتحرقُ نفسك، فإنك إذا علمتَ جعل الله لك فرقاناً ونوراً وورّثك ذلك العمل علماً آخر لم تكن تعلمُه من العلم بالله وبما لك فيه منفعة عند الله في آخرتك، فاجْهَدْ أن تكون من العلماء العاملين المرشدين.

وصية: التودد لعباد الله المؤمنين

وعليك بالتودد لعبادِ الله من المؤمنين بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والسعي في قضاء حوائجهم. واعلم أن المؤمنين أجْمَعَهُم جسدٌ واحد كإنسان واحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تَداعى له سائرُ الجسد بالحمى، كذلك المؤمنُ إذا أصيب أخوه المؤمنُ بمصيبةٍ فكأنه أصيبَ بها، فيتألمُ لتألمه. ومتى

لم يفعل ذلك المؤمنُ مع المؤمنين فما ثبتت أخوةُ الإيمان بينه وبينهم، فإن الله قد آخى بين المؤمنين كما آخى بين أعضاء جسدِ الإنسان، وبهذا وقع المَثَل من النبي ﷺ في الحديث الثابت، وهو قوله ﷺ: [مَثَلُ المؤمنين في توَادّهم وتعاطفِهم وتراحمِهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسدِ بالحمى والسهرِ] واعلم أنّ المؤمنَ كثيرٌ بأخيه، وأنّ [المؤمن] لما كان من أسماء الله مع ما ينضاف إلى ذلك من خَلْقِهِ على الصورة ثَبَتَ النسب، والمؤمنُ أخو المؤمن لا يُسْلِمُهُ ولا يخْذله، فمن كان مؤمناً بالله ـ من حيث ما هو المؤمنْ ـ فإنّه يصدّقه في فعله وقوله وحاله وهذه هي العصمة فإنّ الله من كونه مؤمناً يصدقه في ذلك، ولا يصدّق الله إلاّ الصادقَ، فإنّ تصديقَ الكاذب على الله محالُ فإن الكذبَ عليه محال، وتصديقُ الكاذب كذبٌ بلا شك، فمن ثبت إيمانهُ بالله ـ من كون الله مؤمناً ـ فإن هذا العبدَ لا شكّ أنه من الصادقين في جميع أُموره مع الله، لأنه مؤمن بأن الله مؤمن به أيضاً. فَتَنَبَّهْ لما دَلَلْتُكَ عليه ووصيْتُكَ به في الإيمان بالله من كونه مؤمناً تَنْتفع، فإني قد أريتُك الطريق الموصلَ إلى نيل ذلك، واعتصمْ بالله **{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**[57] فإن الله على صراط مستقيم، وليس إلاّ ما شرعه لعباده.

وصية: عند نزول الرزايا

لا تكْتَرثْ لما يُصيبُك الله به من الرزايا في مَالِكَ ومَنْ يَعِزُّ عليك من أهلك مما يُسمى في العرف رزيةً ومُصاباً، وقل **{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}**[58] عند نزولها بك، وقلْ فيها كما قال عمرُ بنُ الخطاب ﷺ ما أصابتني مصيبة إلاّ رأيتُ أن لله عليّ فيها ثلاثَ نعمٍ:

والنعمة الواحدة: حيث لم تكن المصيبة في ديني.

والنعمة الثانية: حيث لم يكن ما هو أكبرُ منها، فدفع الله بها ما هو أعظمُ منها.

والنعمة الثالثة: ما جَعَلَ الله لي فيها من الأجر بالكفارة لِمَا كنّا نتوقاه من سيئَات أعمالنا.

واعلم أنّ المؤمن في الدنيا كثيرُ الرزايا، لأن الله يُحب أن يُطهره حتى ينقلب إليه طاهراً مطهراً من دنس المخالفات التي كتب الله عليه في الدنيا أن يُقام فيها، فلا يزال المؤمنُ مُرْزأً في عموم أحواله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك: [مَثَلُ المؤمنِ كَمَثَلِ الخامةِ مِن الزرعِ، تصرَعُها الريحُ مرة، وَتَعْدِلُها أخرى حتى تَهِيْجَ].[59]

وصية: التحلي بالقرآن وتلاوته

وعليك بتلاوةِ القرآن وَتَدّبرِه، وانظرْ في تلاوتك إلى ما حُمد فيه من النعوت والصفات التي وَصَف الله بها مَنْ أحَبّه من عباده فاتّصفْ بها، وما ذَمّ الله في القرآن من النعوتِ والصفات التي اتّصفَ بها مَنْ مَقَتَهُ الله فاجْتَنِبْها، فإن الله ما ذكرها لك وأنزلها في كتابه عليك وعَرّفك بها إلاّ لتعمل بذلك، فإذا قرأت القرآن فكن أنتَ بالقرآن لما في القرآن، واجتهد أن تحفظَه بالعَمل كما حفظْتَه بالتلاوة فإنه لا أحدَ أشدُّ عذاباً يومَ القيامة من شخصٍ حَفِظ آيةً من كتاب الله ثم نَسِيَهَا، كذلك مَنْ حفظ آية ثم ترك العملَ بها كانت عليه شاهدةً يوم القيامة وحسرةً، وإنه قد ثبت عن رسول ﷺ في أحوال من يقرأُ القرآن، ومن لا يَقْرؤه من مؤمن ومنافقٍ فقال ﷺ: [مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأترُجَّةِ ريحُها طيّب] يعني بها التلاوةَ والقرآن فإنها أنفاسٌ تخرج، فَشَبّهها بالروائح التي تعطيها الأنفاس [وَطَعْمُها طَيْبٌ] يعني بها الإيمان، ولذلك قال [ذَاقَ طعَم الإيمانِ مَنْ رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحّمدٍ ﷺ نَبيَاً] فنسب الطعم للإيمان، ثم قال: [وَمَثَلُ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كَمَثَلِ التمرةِ طَعْمُها طَيّبٌ] من حيث إنه مؤمن ذو إيمان [ولا ريحَ لها] من حيث إنه غيرُ تالٍ في الحال التي لا يكون فيها تالياً وإن كان من حُفّاظ القرآن، ثم قال: [وَمَثَلُ المنافقِ الذي يقرأُ كمَثَلِ الرَّيْحَانةِ ريحُها طَيّبٌ] لأن القرآن طيب، وليس سوى أنفاس التالي والقارئ في وقت تلاوته وحال قراءته [وَطَعْمُها مُرٌ] لأن النفاق كفرُ الباطن، لأن الحلاوة للإيمان لأنها مستلذة، ثم قال: [وَمَثَلُ المنافقِ الذي لا يقرأ القرآن كَمَثَلُ الحنّظَلَة طَعْمُها مُرٌ ولا ريحَ لها] لأنه غيرُ قارئ في الحال. وعلى هذا المساق كلُّ كلام طيب فيه رضا الله، صورتهُ من المؤمن والمنافق صورةُ القرآن في التمثيل، غير أن القرآن منزلتُه لا تخفى، فإنّ كلام الله لا يُضاهيه شيء من كلِّ كلام مقربٍ إلى الله فينبغي للذاكر إذا ذكر الله متى ذكره أن يُحضِر في ذكره ذلك ذكراً من الأذكار الواردة في القرآن فيذكر الله به، ليكون قارئاً في الذكر، وإذا كان قارئاً فيكون حاكماً للذكر الذي ذكر الله به نفسَه، وإذا كان كذلك فقد أنزل نفسه فيه منزلةَ ربه منه وهو قوله: **{فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ}**[60] وقوله: [إنّ الله قال على لسان عبده: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِده] ويُقال للقارئ يوم القيامة [اقْرَأ وَارْقَ] وَرُقيُه في الدنيا في أيام التكليف في قرآنه أن يرقى من تلاوته إلى تلاوته، بأن يكون الحقُ هو الذي يتلو على لسان عبده، كما يكون سَمْعَه الذي به يسمع، وَبَصَره الذي به يُبصر، ويديه اللتين بهمَا يَبْطش، ورجليه اللتين بهما يسعى، كذلك هو لسانُه الذي به ينطقُ ويتكلمُ، فلا يحمد الله ولا يسبحه ولا يهلله إلا بما ورد في

القرآن عن استحضارٍ منه لذلك، فيرقى من قراءته بنفسه إلى قراءته بربه، فيكونُ الحقُّ هو الذي يتلو كتابَه، فيرتقعُ يومَ القيامة في الآية التي ينتهي إليها في قرآنه، ويقف عندها إلى الدرجة التي بتلك الآية، التي يكون الحقُّ هو التاليَ لها بلسان هذا العبد عن حضورٍ من العبد التالي لذلك، فإن أفضلَّ الكلام كلامُ الله الخاصُّ المعروفُ.

وصية: مجالسة أهل الذِّكر وصحبتهم

وعليك بمجالسةِ مَنْ تنتفعُ بمجالسته في دينك من علمٍ تستفيده منه، أو عمل يكون فيه، أو خُلُقٍ حَسنٍ يكون عليه، فإنّ الإنسان إذا جالسَ مَنْ تُذَكِّره مجالستُه الآخرة فلا بدّ أن يتحلى منها بقدْر ما يوفقه الله لذلك، وإذا كان الجليس له هذا التعدي فاتخذ الله جليساً بالذكر، والذكرُ القرآنُ وهو أعظم الذكر، قال تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ}**[61] أي القرآنَ، وقال (أنا جليسُ مَنْ ذكرني) وقال ﷺ (أهل القرآنِ هم أهلُ الله وخاصّتُه) وخاصة المَلِكِ جلساؤه في أغلب أحوالهم، والله له الأخلاق - وهي الأسماءُ الحسنى الإلهية - فمن كان الحق جليسَه فهو أنيسه، فلا بد أن ينال من مكارم أخلاقه على قدْر مُدة مجالسته. ومَنْ جلس إلى قومٍ يذكرون الله فإن الله يُدخله معهم في رحمته، فهم القوم الذين لا يشقى جليسُهم، فكيف مَنْ كان الحق جليسَه؟ وقد ورد في الحديث الثابت [إنّ الجليسَ الصالحَ كصاحب المسك: إنْ لم يُصبْك منه أصابك من ريحِه، والجليسُ السوء كصاحب الكير إنْ لم يُصبْك من شرره أصابك من دُخانِه) وهو أنه من خالط أصحاب الرِّيَبِ فيه، وذلك لِما غلب على الناس من سوء الظن بالناس لخبث بواطنهم. وهنا فائدةٌ أُنبهك عليها أغفلها الناس، وهي تدعو إلى حسن الظن بالناس ليكون محلك طاهراً من السوء، وذلك أنك إذا رأيت من يعاشر الأشرار وهو خَيْرٌ عندك فلا تسئ الظنَ به لصحبته الأشرار، بل وحَسّنِ الظنَ بالأشرار لصحبتهم ذلك الخيّر، واجعلْ المناسبة في الخَيْر لا في الشر، فإن الله ما سأل أحداً قطُّ يوم القيامة عن حسن الظن بالخلق، ويسأله عن سوء الظن بالخلق. ويكفيك هذا نصحاً إن قبلت، ووصيةً إن عملت بها. والذاكرُ ربَّه حياتهُ متصلةٌ دائماً لا تنقطع بالموت، فهو حي - وإنْ مات - بحياةٍ هي خيرٌ وأتمُ من حياة المقتول في سبيل الله، إلاّ أن يكون المقتولُ في سبيل الله من الذاكرين فله حياةُ الشهيد وحياةُ الذاكر، فالذاكر حيّ وإن مات، والذي لا يذكرُ الله ميت وإن كان في الدنيا من الأحياء، فإنه حيٌّ بالحياة الحيوانية، وجميعُ العالم حيٌّ بحياة الذكر، فَمَثَلُ الذي يذكر ربَّه، والذي لا يذكر ربه مَثَلُ الحي والميت، كذا مثّله رسول الله ﷺ، وأما ما ادّعيتُه في وصيتي لك بالذكر أنّ الذاكرَ أفضلُ من الشهيد الذي لا يذكر الله فلما صح عن رسول الله ﷺ في قوله: [ألا أنبّئُكم] أو قال: [بخَيْرٍ لكمَ مِن أن تلقَوا عدوَّكم فيضرِبوا رِقابكم وتضرَبوا رقابَهم؟ ذكرُ الله] فذكرَ ضربَ الرِّقابَ وهو الشهادة، فذكْرُ العبدِ ربَّه أفضلُ من الشهيد. وثبت عنه أن الذاكرَ حيٌّ، فخرج من ذلك أن حياة الذاكر خيرٌ من حياة الشهيد إذا لم يكن ذاكراً ربَّه عزّ وجلّ.

وصية: القيام بحدود الله

وعليك بإقامة حدود الله في نفسك وفيمن تملكه، فإنك مسؤولٌ من الله عن ذلك. فإنْ كنت ذا سلطان تَعَيّنَ عليك إقامة حدود الله فيمن ولاّك الله عليه، وكلّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، وليس سوى إقامة حدود الله فيهم، وأقلُّ الولاياتِ ولايتُك في نفسك وجوارِحك فأقم فيها حدود الله إلى الخلافة الكبرى، فإنك نائبُ الله على كل حال في نفسك فما فوقها. وقد ورد الحديث الثابت في القائم بحدود الله والواقع فيها فمثَّلهما رسول الله ﷺ [بقومٍ استهمّوا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم فقالوا: إنا نخرق في نصيبنا لا نؤذي من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً] فإذا خطر لك يا وليّ خاطرٌ يأمرك بالخير فذلك لمَّةُ المَلَك، ثم يأتي بعد ذلك خاطرٌ ينهاك عن ذلك الخير أن تفعله فذلك لمَّةُ الشيطان، ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع، وإذا خطر لك خاطرٌ يأمرك بفعل الشر فذلك لمَّةُ الشيطان فإذا أعقبه خاطر ينهاك عن فعل ذلك الشر فذلك لمَّةُ الملك، وأنت السفينة إن انحرفتْ هلكتَ وهلك جميع من فيك. فعليك بعلمِ الشريعة فإنك لن تعلم حدود الله حتى تقوم بها وتعرفَ من يقع فيها ممن قام بها، إلا أن تعلم علم الشريعة، فتعيَّن عليك طلبُ علم الشريعة لإقامة حدود الله.

وصية: الرزق مقسوم

وعليك بالصدقة فإنَّ الله قد ذكر المتصدقين والمتصدقات، وهي: فرض، ونفل، فالفرض منها يسمى زكاة والنفل منها يسمى تطوّعاً، وبالفرض منها يزول عنك اسم البخل، وبصدقة التطوع منها تنال الدرجات العلى، وتتصف بصفة الكرم والجود والإيثار والسخاء. وإياك والبخل، ثم إنه عليك في مالك حق زائد على الزكاة المفروضة، وهو إذا رأيت أخاك المؤمن على حالة الهلاك بحيث إنك إذا لم تعطه من فضل مالك شيئاً هلك هو وعائلته - إن كانت له عائلة أو هو في نفسه - فيتعيّن عليك أن تواسيه من مالك: إما بالهبة، أو بالقرض فلا بد من العطاء، وذلك العطاء صدقة، حتى إني سمعت بعض علمائنا بإشبيلية يقول في حديث [هل على غيرها]؟ يعني في الزكاة المفروضة [قال: إلا أن تطوّع] قال لي ذلك الفقيه: فيجب عليك، فاسْتحسنتُ ذلك منه رحمه الله. وإنما سمّى الله الإنسان متصدقاً وسمى ذلك العطاء صدقةً، فرضاً كان أو نفلاً - لأنه أعطى ذلك عن شدة وقهر

لنفسه، فإنه في جبلَّته وأصل نشأته خلقه الله هلوعاً إذا مسه الشرُ جزوعاً، وإذا مَسَّه الخير مَنُوْعاً لكونه مجبولاً على البخل، فإن الله يقول فيه: **{وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}**[62] فقال ﷺ في فضل الصدقة وزمانها [أنْ تَصدّق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخاف الفقر وتأمُل الحياة والغنى] يقول الله تعالى **{وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[6463] أي الناجون، لأن الإنسان إذا كان له مال ويأملُ الحياة فإنه يخاف أن يفتقر ويذهب ما بيده من المال بطول حياته لنوائب الزمان وأمله بطول حياته، فيؤديه ذلك إلى البخل بما عنده من المال، والإمساك عن الصدقة والتوسعةِ على المحتاجين مما آتاه الله من الخير، فهو يَكنزه، ولا ينفقه ولا يؤدي زكاته حتى يُكوى به جنبه وجبنيه وظهره كما قال تعالى فيهم: **{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ}**[65] إذا منع الحق الواجب عليه من الزكاة والقرض، فلهذا العطاء عن شدة سمّيت صدقةً، يقال: رمع صَدْقٌ أي صُلب، وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً في البخيل والمتصدق فقال ﷺ: [مثلُ البخيل والمتصدِّق كمثل رجلين عليهما جُبّتانِ من حديد وقد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما] فجعل المتصدق كلمّا تصدق بصدقة انبسطت عليه حتى تجُنّ بنانه وتعفوَ أثرهُ، وجعل البخيل كلما هَمّ بصدقةٍ قلصتْ وأخذتْ كلُّ حلْقةٍ مكانها. فإياك والبخيل فإنه يُرديك ويُوردُك الموارد المهلكة في الدنيا والآخرة، ولا يجعلك تتكرم وتتصدق إلا استعمالُ العلم، فإنك إذا علمت أن رزقك لا يأكله ولا يقتات به ولا يحيا به غيرُك، ولو اجتمع أهلُ السموات والأرض على أن يُحولوا بينك وبين رزقك ما أطاقوا، وإذا علمت أنّ رزق غيرك فيما أنت مالكُه لا بدّ أن يصل إليه حتى يتغذى به ويحيا، وأنّ أهل السموات والأرض لو اجتمعوا على أن يحولوا بينه وبين رزقه الذي هو في ملكك ما أطاقوا فادفع إليه ماله إذا خطر لك خاطرُ الصدقة تتصف بالكرم والثناء الجميل، وأنت ما أعطَيتُه إلا ما هو له بحق في نفس الأمر عند الله محمودٌ. فإذا علمت هذا هان عليك إخراجُ ما بيدك وأُلحقت بأهل الكرم وكتبت في المتصدقين، وإن أخرجت ذلك عن ترددٍ ومكابدةٍ وأتبعَته نفسك ورأيتَ بذلك أنّ لك فضلاً على مَنْ أوصلتَه تلك الراحة، فإياك أن تجهل على أحدٍ كما تحب ألا يُجهل عليك. وقد كان رسول الله ﷺ يقول في تعوّذاته: [وأعوذُ بك أنْ أجْهَل أو يُجْهَل عليّ] فمن حكم فيك بالعلم فقد أنصفك.

وصية: مجاهدة النفس والهوى

وعليك بالجهاد الأكبر، وهو جهادُ هواك فإنه أكبر أعدائك، وهو أقربُ الأعداء إليك الذين يلونك، فإنه بين جنبيك، والله يقول سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ}**[66] ولا أكفر عندك من نفسك فإنها في كل نَفسٍ تكفر نعمةَ الله عليها من بعد ما جاءتها، فإنك إذا جاهدت نفسك هذا الجهادَ خَلَص لك الجهادُ الآخرُ في الأعداء، الذي إن قُتِلتَ فيه كنتَ من الشهداء الأحياء الذين عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهُم الله من فضله وَيستَبْشِرون بالذين لم يَلحَقوا بهم مِنْ خَلفِهم. وقد علمت فضلَ المجاهد في سبيل الله في حال جهاده حتى يرجع إلى أهله، بما اكتسبه من أجرٍ أو غنيمةٍ أنه كالصائم القائم القانتِ بآياتِ الله لا يَفْتر من صلاةٍ ولا من صيامٍ حتى يرجعَ المجاهد، وقد علمت بالحديث الصحيح أنّ الصومَ لا مِثْلَ له، وقد قام الجهاد مقامه ومقام الصلاة، وثبت هذا عن رسول الله ﷺ، وهذا في الجهاد الفرض الذي تعيّن ويعصي الإنسان بتركه لا بدّ من ذلك، ولا يزال العبد العالمُ الناصحُ نفسَه المستبرئُ لدينه في جهادٍ أبداً لأنه مجبولٌ على خلافِ ما دعاه الحق إليه، فإنه بالأصالة متّبعٌ هواه الذي هو بمنزلة الإرادة في حق الحق، فيفعلُ الحقُّ ما يريده فإننا كلنا عبيده ولا تحجيرَ عليه، ويريد الإنسانُ أن يفعل ما يهوى وعليه التحجير، فما هو مطلّقُ الإرادة. فهذا هو السبب الموجب في كونه لا يزال مجاهداً أبداً، ولذلك طلب أصحابُ الهمم أن يَلحقوا بدرجات العارفين بالله حتى تكون إرادتهم إرادةَ الحق، أي يريدون جميع ما يريده الحق، وهو: ما هم الخلقُ عليه، فيريدونه من حيث إن الله أراد إيجاده، ويكرهون منه بكراهة الحق ما كرهة الحقُّ ووصفَ بأنه لا يرضاه فهو يريده ولا يرضاه، ويريده وكرهه في عين إرادته إن أراد أن يكون مؤمناً، وإلا فقد انسلخ من الإيمان نعوذ بالله من ذلك فإنه غاية الحرمان، وهذا هو الحق الممقوت، كما تقول في الغيبة: إنها الحقُّ المنهي عنه.

وصية: رافع الدرجات ماحي الخطايا

وعليك بإسباغ الوضوء على المكاره وذلك في زمان البرد، واحذر من الالتذاذ باستعمال الماء البارد في زمان الحر فتسبغ الوضوء لالتذاذك به في زمان الحر، فتتخيل أنك ممن أسبغ الوضوء عبادةً، وأنت ما أسبغته إلاّ لوجود الالتذاذ لما أعطاه الحالُ والزمانُ من شدة الحر، فإذا أسبغته في شدة البرد صار لك عادةً، وقال رسول الله ﷺ [الخَيْرُ عادةٌ] فاصحبْ تلك النية في زمان الحر، فإن غلبتك النفسُ على الإسباغ بما تجده من اللذة المحسوسةِ في ذلك فاعلم أنّ الالتذاذ هنا إنما وقع بدفع ألم الحر وإزالته، فانوِ في ذلك دفع الألم عن نفسك، فإنك مأجورٌ في دفع المضار عنك، ألا

ترى قاتلَ نفسه كيف حرم الله عليه الجنة، فحقُّ النفس على صاحبها أعظمُ من حق الغير عليه، وكذلك يؤجر في دفع الألم عن نفسه. وإن الله يرفع بإسباغ الوضوء على المكاره درجةَ العبد ويمحو الله به الخطايا، قال ﷺ [ألا أنبئُكم بما يَمْحو الله به الخطايا، ويَرْفَعُ به الدرجات؟ إسْباغُ الوضوء على المكاره] فهذا محو الخطايا، فإنه تنظيفٌ وتطهير، ثم قال [وَكَثْرةُ الخُطا إلى المساجد] فهذا رفعُ درجات فإنه سلوك في صعود ومشي، ثم قال تمامَ الحديث وهو [وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاة، فذلِكُمُ الرِّباطُ، فذلِكُمُ الرِّباطُ، فذلِكُمُ الرِّباطُ] والرباط: الملازمة من رَبَطْتُ الشيء، وبالانتظار قد ألزم نفسه فربط الصلاة بالصلاة المنتظرة بمراقبة دخول وقتها ليؤديها في وقتها، وأيُّ لزوم أعظمُ من هذا؟ فإنه يومٌ واحد مقسم على خمس صلوات ما منها صلاة يؤديها فيفرغُ منها إلا وقد ألزم نفسه مراقبة دخول وقت الأخرى إلى أن يفرغ اليوم ويأتي يوم آخر فلا يزال كذلك، فما ثمَّ زمان لا يكون فيه مراقباً لوقتِ أداء صلاة، لذلك أكده ﷺ بقوله ثلاث مرات. فانظر إلى علْم رسول الله ﷺ بالأمور حتى أنزل كلّ عملٍ في الدنيا منزلته في الآخرة وعيّن حكمه وأعطاه حقه، فذكر وضوءاً ومشياً وانتظاراً، وذكر محواً ورفع درجة ورباطاً ثلاثاً لثلاث، هذا يدلك على شهوده مواضع الحكم؛ فمن هنا وأمثاله قال عن نفسه إنّه [أوتي جوامع الكَلِمْ]. أاافذكر وضوءاً

وصية: حقوق المسلم

وعليك بمراعاة كلّ مسلم من حيث هو مسلمٌ، وساوِ بينهم كما سوّى الإسلام بينهم في أعيانهم، ولا تقل: هذا ذو سلطان وجاهٍ ومالٍ وكبير، وهذا صغيرٌ وفقير وحقير، ولا تُخفر[67] صغيراً ولا كبيراً في ذمته، واجعل الإسلامَ كلَّه كالشخص الواحد، والمسلمينَ كالأعضاء لذلك الشخص، وكذلك هو الأمر فإن الإسلام ما له وجودٌ إلاّ بالمسلمين، كما أن الإنسان ما له وجودٌ إلاّ بأعضائه وجميعِ قواه الظاهرة والباطنة. وهذا الذي ذكرنا هو الذي راعاه رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه من قوله في ذلك [المسلمون تتكافؤُ دِماؤُهم[68] ويسعى بذِمّتهم أدناهم، وهم يدٌ واحدةٌ على مَنْ سِواهم] وقال ﷺ: [المسلمون كرجلٍ واحدٍ إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله] ومع هذا التمثيل فأنزِل كلّ واحد منزلته، كما أنك تعامل كلّ عضو منك بما يليق به وما خلق له، فتغُضُ بصرك عن أمر لا يعطيه السمع، وتفتح سمعك لشيء لا يعطيه البصر، وتصرف يدك في أمر لا يكون لرجْلِك، وهكذا جميعُ قُواك، فتنزل كلَّ عضوٍ منك فيما خلق له كذلك. وإن اشترك المسلمون في الإسلام وساويت بينهم فأعطِ العالم حقه من التعظيم والإصغاء إلى ما يأتي به، وأعطِ الجاهل

حقه من تذكيرك إياه وتنبيهه على طلبِ العلم والسعادة، وأعطِ الغافل حقه بأن توقظه من غفلته بالتذكر لِما غفل عنه مما هو عالم به غيرُ مستعملٍ علمه فيه، وكذلك الطائع والمخالف، وأعط السلطان حقه من السمع والطاعة فيما هو مباحٌ لك فعلهُ وتركه. فيجب عليك بأمره ونهيه أن تسمع له وتطيع، نأأاافيعود لأمر السلطان ونهيه ما كان مباحاً قبل ذلك واجباً أو محظوراً بالحكم المشروع من الله قوله: **{وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}**[69] وأعطِ الصغير حقه من الرفق به والرحمة له والشفقة عليه، وأعطِ الكبير حقه من الشرف والتوقير، فإن من السنة رحمة الصغير وتوقير الكبير ومعرفة شرفه. ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال [ليس مِنا مَنْ لم يَرْحَم صَغيرنَا ويعرفْ شرفَ كبيرنا] وفي حديث [ويوقرُ كَبِيرنا] وعليك برحمة الخلق أجمعَ ومراعاتهم كانوا ما كانوا، فإنهم عبيدُ الله وخلقُ الله وإنّ عَصَوْا، وإنْ فَضَل بعضُهم بعضاً، فإنك إذا فعلت ذلك أُجرْت فإنّهُ ﷺ قد ذكر أنه: [في كلِّ ذي كبدٍ رطبة أجر] ألا ترى إلى الحديث الوارد في الْبَغيَّ أن بغياً من بغايا بني إسرائيل [وهي الزانية] مرت على كلب قد خرج لسانه من العطش وهو على رأس بئر فلما نظرت إلى حاله نزعت خفها وملأته بالماء من البئر، وسقت الكلب، فشكر الله فعلها فغفر لها بكلب. وأخبرني الحسنُ الوجيهُ المدرّس بملطية الفارسيُّ عن والي بخارى [وكان ظالماً مسرفاً على نفسه] فرأى كلباً أجرب في يوم شديد البرد وهو ينتفض من البرد، فأمر بعض شاكريّته فاحتُمل الكلب إلى بيته وجعله في موضوع حار، وأطعمه وسقاه وَدَفِئَ الكلب، فرأى في النوم أو سمع هاتفاً [الشك مني] يقول له: يا فلان كنتَ كلباً فوهبناك لكلب، فما بقي إلا أياماً يسيرة ومات، فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب. وأين المسلم من الكلب؟ فافعل الخير ولا تبالِ فيمن تفعله تكنْ أنت أهلاً له، ولتأتِ كل صفة محمودة من حيث ما هي مكارم الأخلاق تتحلى بها، وكن محلاً لها لشرفها عند الله وثناء الحق عليها، فاطلب الفضائل لأعيانها، واجتنب الرذائل لأعيانها، واجعل الناس تبعاً لا تقف مع ذَمّهم ولا حمدهم، إلا أنك تقدم الأوّلى فالأولى إن أردت أن تكون مع الحكماء المتأدبين بآداب الله التي شرعها للمؤمنين على ألسنة الرسل عليهم السلام. واعلم أن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يَشُدُّ بعضُه بعضاً، فما في العالم إلاّ مَنْ هو ساجد لله إلا بعض الثقلين من الجن والإنس فإن في الإنسان الواحد منهم كثيراً من يسبح الله ويسجد لله، وفيه مَن لا يسجد لله وهو الذي حُقّ عليه العذاب، انظر في قوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا}**[70] فسماهم مؤمنين وأمرهم بالإيمان.

فالأول: عمومُ الإيمان فإن الله قال في حق قوم: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ}**[71]

والثاني: خصوص الإيمان وهو المأمور به، والأول إقرار منهم من غير أن يقترن به تكليف بل ذلك عن علم، وأيسره في بني آدم إيمانهم حين أشهدهم على أنفسهم كما قال: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ}**[72] بالإيمان في دار الميثاق فخاطبهم بالمؤمنين حين أيّهُ بهم، ثم أمرهم بالإيمان في هذه الحالة الأخرى، وما تعرض للتوحيد المطلق رحمة بهم، فإنه القائل: **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ}**[73] الشرك الخفي وقد ذكرناه[74] فلذلك قال لهم (آمِنُوا بالله) ولم يقل بتوحيد الله، فمن آمن بوجود الله فقد آمن، ومن آمن بتوحيده فما أشرك، فالإيمان إثباتٌ، والتوحيد نفيُ شريك، ومن أسماء الله [المؤمن] وهو يَشُدّ من المؤمن المخلوق، قال ﷺ: [يَرْحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديد] وهو الاسم المؤمن، فالمؤمن يشد من المؤمن، فافهم.

وصية: كنْ عُمَرياً

كن عُمرَيّ الفعل فإن عمر بن الخطاب ﵁ يقول: [مَنْ خَدَعَنَا في الله انخَدَعْنَا له] فاحذر يا أخي إذا رأيت أحداً يخدعُك في الله وأنت تعلم بخداعه إياك، فمن كرم الأخلاق أن تنخدع له ولا توجده أنك عرفتَ خداعه، وَتبَالَه حتى يغلِبَ على ظنه أنه قد أثّر فيك بخداعه، ولا يدري أنك تعلم بذلك، لأنك إذا قمت في مثل هذه الصفة فقد وفيت الأمر حقه، فإنك ما عاملت إلاّ الصفة التي ظهر لك بها، والإنسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لأعيانهم، ألا تراه لو كان صادقاً غيرَ مخادِع لوجب عليك أن تعامله بما ظهر لك منه، وهو ما يَسْعَد إلاّ بصدقه، كما أنه يشقى بخداعه ونفاقه، فإن المخادع منافق فلا تفضحه في خداعه وتجاهلْ له وانصبغ باللون الذي أراده منك أن تنصبغ له به، وادع له وارحمه عسى الله أن ينفعه بك ويجيبَ فيه صالحَ دعائك، فإنك إذا فعلت هذا كنت مؤمناً حقاً، فإن المؤمنِ غِرٌّ[75] كريم، لأن خُلُق الإيمان يعطي المعاملة بالظاهر، والمنافق خِبٌّ[76] لئيم أي على نفسه حيث لم يسلك بها طريق نجاتها وسعادتها، كُنْ رداءً وقميصاً لأخيك المؤمن، وحُطْه من ورائه، واحفظه في نفسه وعرضه وأهله وولده، فإنك أخوه بِنَصّ الكتاب العزيز، واجعله مرآةً ترى فيها نفسك، فكما تُزيل عنك كلّ أذى تكشفه لك المرآة في وجهك كذلك فلتُزِلْ عن أخيك المؤمن كل أذى يتأذى به في نفسه فإن نفس الشيء وجهُه وحقيقته.

وصية: حق الجوار وقصة الجراد

واحفظ حق الجار والجوار، وقدّم الأقرب داراً إليك فالأقربَ، وتفقد جيرانك بما أنعم الله عليك فإنك مسؤول عنهم، وادفع عنهم ما يتضررون به كان الجيران ما كانوا، وما سُميت جاراً له وسمي جاراً لك إلاّ لميلك إليه بالإحسان ودفع الضرر، وميله إليك بالإحسان ودفع الضرر، مشتقٌ مِن جارَ إذا مالَ، فإن الجور الميلُ فَمن جعله من الجور الذي هو الميل إلى الباطل والظلم في العرف فهو كمن يسمي اللديغَ سليماً في النقيض، وفي هذا تغليبُ حقِ الجوار كان الجار ما كان، كأنه يقول: وإن كان الجار من أهل الجور أي الميل إلى الباطل بشرك أو كفرٍ فلا يمنعْك ذلك منه عن مراعاة حقه، فكيف بالمؤمنين؟ فحق الجار إنما هو على الجار. وأعجب ما رويت في ذلك عن بعض شيوخنا فذكر من مناقب بعض الأعراب أنّ جراداً نزل بِفناء بيته، فخرجت الأعراب إليه بالعُدة ليقتلوه ويأكلوه، وصاحب البيت ما عنده خبر بما يريدون، فخرج إليهم من خبائه فسألهم: ما تبتغون؟ فقالوا: نبتغي قتلَ جارك [يريدون الجراد] فقال لهم: بعد أن سميتموه جاري فوالله لا أترك لكم سبيلاً إليه وجرّد سيفه يذب عنه مراعاةً لحق الجوار، فهذا كما سئل مالك بن أنس عن أكل خنزير البحر فقال: فقيل له إنه سمكٌ من حيوان البحر الذي أحلّ الله أكله لنا، فقال لهم مالك: أنتم سميتموه خنزيراً، ما قلتم: ما تقول في سمك البحر؟ فاهجر ما نهاك الله عنه وقد نهاك عن أذى الجار فاهجر أذاه و **{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}**[77] وفيما روينا من الأخبار في سبب نزول هذه الآية أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ من المشركين من فصحاء الأعراب، وقد سمع أن الله قد أنزل عليه قرآناً عجز عن معارضته فصحاءُ العرب، فقال له: يا رسول الله هل فيما أنزل عليك ربُّك مِثْلُ ما قلتُه؟ فقال له رسول الله ﷺ: [وما قلتَ]؟ فقال الأعرابي: قلت:

وَحَيّ ذوي الأضْغَان تسبي عقولَهم	**تحيتَك القُربى فقد يَدْفَعُ النَّغلْ**[78]
وإنْ جَهَروا بالقولِ فاعْفُ تكرماً	**وإن ستروا عنك الملامة لم تُبَلْ**[79]
فإنّ الذي يُؤْذِيكَ منه استِماعُه	**وإنّ الذي قد قيل خَلْفك لم يُقَلْ**

فأنزل الله تعالى: **{وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}**[80] فقال

الأعرابي: هذا والله هو السحر الحلالُ، والله ما تخيلتُ ولا كان في علمي أنه يُزاد أو يؤتى بأحسنَ مما قلتُه، أشهد أنك رسول الله، والله ما خرج هذا إلاّ مِنْ ذي إلّ[81]. فمثل هؤلاء عرفوا إعجاز القرآن، أتُرى يا وليّ أن يكون هذا الأعرابي فيما وصف به نفسه بأكرَمَ من الله في هذا الخلق في تحملِ الأذى، وإظهار البِشْر، والتغاضي عن العقوبة، والعفو مع القدرة، وتهوين ما يقبح على النفس، والتغافل عمن أراد التستر عنك بما يشينه لو ظهر به، بل والله الله أكرمُ منه وأكثر تجاوزاً وعفواً وحلماً وأصدق قيلاً، فإن هذا القول من العربي وإن كان حسناً فما يُدرى عند وقوع الفعل ما يكون منه، والحق صادق القول بالدليل العقلي فما يأمر بمكرُمة إلا وهي صفته التي يعامل بها عباده، ولا ينهى عن صفةٍ مذمومة لئيمة إلا وهو أنزه عنها لا إلاّ هو العزيز الحكيم الغفور الرحيم.

وصية: نصرة المسلم وتكريمه

أُنْصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فنصرة الظالم من حيث ما هو مظلوم فإنّ الشيطان ظلمه بما وسْوَس إليه به في صدره من ظلم غيره، فتنصُره بأن تعينه على دفع ما ألقى الشيطانُ عنده من تزيينه ظلمَ الغير حتى تَسمى بظالم، فما نصرتَه إلاّ لكونه مظلوماً لمن وسوس في صدره وحال بينه وبين الهدى الذي هو له مُلك، فابتاعه منه الشيطان بالضلالة فاشترى الضلالة بالهدى فسمي ظالماً فإذا أبَنْت له أنت بنصحك وأفتيته أن هذا البيع مفسوخ لا يجوز شرعاً فلا ينعقد، وأنّ صفقته خاسرة وتجارته بائرة، فقد نصرته مع كونه ظالماً فرجع عن ظلمه وتاب وذلك هو فسخ البيع، يقول الله في مثل هؤلاء: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}**[82] فإياك أن تخذُل من استنصر بك وقد قال الله تعالى مع غناه عنك: **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}**[83] فطلب منكم أن تنصروه وما هو إلاّ هذا، ولا تظلمه فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ومن كان سعيهُ في ظلمة لا يدري متى يقع في مهواةٍ وما يؤذيه في طريقه من هَوَامَّ يكون في أذاها هلاكه، وأُوصيك أن لا تحقر أحداً من خلق الله فإن الله ما احتقره حين خلقه:

لا تَحْقِرَنّ عبادَ الله إنّ لهم ... قدراً ولو جُمعَتْ لك المقالاتُ

فلا يكونُ الله يظهر العناية بإيجاد مَنْ أوجده من عدمٍ وتحقره أنت، فإن في ذلك تسفيهَ مَنْ أوجده واحتقاره، نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين، فهذا من أكبر الكبائر فالكلُّ نِعَم الله يتغذى بها

عباد الله كانوا ما كانوا، قال ﷺ: [لا تَحْقِرِنَّ إحداكنَّ ما تُهْديه لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة][84] فإنّ الاحتقار جهلٌ محض، ولا تكن لعّاناً ولا سباباً ولا سخاباً، فإنّ لعن المؤمن مثلُ قتله سواء. لقي عيسى عليه السلام خنزيراً فقال له: انج بسلام، فقيل له في ذلك فقال ﷺ ما أريد أن أعُوّد لساني إلا قولَ الخير، كن حديثاً حسناً وفي ذلك قلت:

إنما الناسُ حديثٌ كلُّهمُ	**فلتكنْ خيرَ حديثٍ يُسمعُ**
وإذا شاكَتْكَ مِنْهُم شَوكةٌ	**فَلْتَكُن أقوى مِجَنّ يَدفعُ**
وإذا ما كنتَ فيهم هكذا	**أنتَ والله إمامٌ يَنْفَعُ**
إنما الشمعةُ تؤذي نفْسها	**وهي للناظر نورٌ يَسْطَعُ**
إنما اللؤمُ الذي تَعْرِفه	**نعمَةٌ في يدِ شخص يَمْنعُ**

وصية: إياك والكِبْر

إياك والخيلاءَ وارفع ثوبك فوق كعبك أو إلى نصف ساقك، روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: [إزْرَةُ المؤمن إلى نصفِ ساقه] أو كما قال، ولعلي بن أبي طالب القيرواني في ذلك:

تَقْصِيرك الثوب حقًّا	**أنْقـــى وأبْقـــى وأتْقـــى**

فأما قوله: [أنقى] فلارتفاعه عن القاذورات والنجاسات التي تكون في الطرق، وأما قوله: [أبقى] فإن الثوب إذا طال حَك في الأرض بالمشي فيسارع إليه التقطيع فَيَقِلُ عمر الثوب فإنه يَخلُق بالعجلة إذا طال بما يصيب الأرض منه وأما قوله أتقى فإنه مشروع أعني تقصير الثوب إلى نصف الساق، والمتقي من جعل الشرع له وقاية وجنة يتقْي بها ما يؤذيه من شياطين الإنس الجن، وإن الله لا ينظر لمن يَجرُّ ثوبه خيلاء، وإياك أن تسأل الناس تكثراً وعندك ما يغنيك في حال سؤالك، فإن المسألة خُدُوش أو خُموش في وجهك يوم القيامة، فإذا اضطررت ولم تقدر على شغل فاسأل قُوْتَك لا تتعداه إذا لم يرزقك الله يقيناً وثقة به.

وكفارة ذلك: عدم تكثرك واقتصارك في المسألة على بُلْغةِ وقتك، فإن السائل تكثراً يأتي يوم القيامة ومسألته خُدوش وخموش وقروح في وجهه، ومسألة المؤمن حَرَق النار[85]. ومعنى ذلك: أن المؤمن يجد عند سؤاله مخلوقاً مثله في دفع ضرورته مثلَ حَرَق النار في قلبه من الحياء في ذلك حيث لم يُنزل مسألته ودفع ضرورته بربه الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يُسخّر له هذا المسؤول منه حتى يعطيه. ومن وجد عند ذلك تعززاً وتكبراً حيث التجأ إلى مخلوق مثله فذلك من شرف همته من حيث لا يشعر، وشرف الهمة أحسن من دناءة الهمة فإن العبد يتعزز على عبد مثله كما أن فخره وشرفه في فقره إلى سيده وسؤاله في دفع ضروراته ومُلماته وقضاء مهماته.

وصية: حب أنصار دين الله

إذا رأيت أنصارياً أو أنصاريةً - وإنْ كان عدواً لك - فلتُحِبَّه الحبَّ الشديد، واحذر أن تبغضه فتخرج من الإيمان، فإن النبي ﷺ لقي امرأة من الأنصار في طريقه فقال لها (إنكم لَمِنْ أَحبّ خَلْقِ الله إليّ) وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق بغضُ الأنصار) واعلم أن كل من نصر دين الله في أي زمان كان فهو من الأنصار وهو داخل في حكم هذا الحديث، واعلم أن الأنصار لدين الله رجلان: الواحدَ نَصَر دينَ الله ابتداءً من نفسه دون أن يعرف وجوب ذلك عليه، ورجل عرف وجوب نصرة الدين عليه بقوله **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ}**[86] فأمرهم بنصرة الله فأدّى واجباً في نصرته فله أجر النصرة وأجرُ أداء الواجب بما نواه من امتثال أمر الله في ذلك وتعيّن عليه، ولو كفاه غيره مؤنة ذلك، فلا تتأخر عن أمر الله ونصرة الله، قد تكون بما يُعطى من العلم المُظهِر للحق الدافع للباطل فهو جهاد معنوي محسوس، فكونه معنوياً لأن الباطن يقبله فإن العلم متعلَّقُه النفس، وأما كونه محسوساً فما يتعلق بذلك من العبارة عنه باللسان أو الكتابة فيحصل للسامع أو الناظر بطريق السمع من المتكلم، أو بطريق النظر من الكتابة، وجهادُ العدو نصرةٌ محسوسة ما هي معنوية فإنه ما نال العدو من المقاتل له شيئاً في الباطن يَرده عن اعتقاده كما ناله من العالِم إذا علّمه وأضحى إليه ووفقه الله للقبول وفتح عين فهمه لما يُورده عليه العالِم في تعليمه، وهي أعظم نصرةٍ وهو أعظم أنصاريّ لله، يقول النبي ﷺ (لأنْ يهدِيَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طَلَعتْ عليه الشمسُ) وقد طلعت الشمس على كل عالِمٍ عامل بخير، فأنت خيرٌ منه إذا نَصَرتَ بتعلم العلم دينَ الله في نفس هذا المخاطب.

وصية: من أخلاق المؤمن صِدْقُ الحديث

وعليك بصدق الحديث وأداء الأمانة وصدق الوعد، واجتنب الكذب والخيانة وخُلفَ الوعد، وإذا خاصمتَ أحداً فلا تفجُر عليه، فإن علامة المنافق وآيته: إذا حَدّث كذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا أُتمن خان، وإذا خاصم فَجَر.

وأعظم الخيانة: أن تحدّث أخاك بحديث يرى أنك صادق فيه وأنت على غير ذلك، وإن الإنسان إذا كَذَب الكذبة تباعد منه الملكُ ثلاثين ميلاً من نتن ما جاء به، وكذلك الشيطانُ إذا أمر ابنَ آدم بالمعصية فعصى تبرأ منه الشيطان خوفاً من الله تعالى، فاعمل على ذوق هذه الروائح المعنوية واستنشاقها فإن له حُجُباً على أنفك تمنعك من إدراك نتن ذلك، فلا يكن الشيطان مع كفرة أدركَ للأُمور وأخوفَ من الله منك، واعتبر في تَبَرُّئه من ذلك فإنها خميرة من الله في قلبه إلى زمان ما يظهر حكمها فيه، مع كونه مجبولاً على الإغواء كما هو مجبول على التبري والخوف من الله أخبر الله عنه أنه يقول للإنسان: أُكْفُر فإذا كفر يقول الشيطان إني بريء منك إني أخافُ الله ربَّ العالمين، فما أُخِذ الشيطانُ قط بعلمه لشرف علمه، وإنما يؤخذ لصدق الحق فيما قال فيما شرعه فيمن سَنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزرُ مَن عمل بها، فإن الشيطان يوم القيامة يَحْمل أثقالَ غيره، فإنه في كل إغواءٍ يتوب عقيبه، ثم يشرع في إغواء آخر، فيؤخذ بعمل غيره لأنه من وسوسته، والإنسان الذي لا يتوب إذا سَنّ سنة سيئة يحمل ثقلها وأثقال من عمل بها فيكون الشيطان أسعدَ حالاً منه بكثير.

وإياك أن تُخْلف وعدك: ولتُخْلف إيعادك، ولكن سَمّ إخلاف إيعادك تجاوزاً حتى لا تتسمى بأنك مخلفٌ ما أوعدت به من الشر، وهذه شبهة المعتزلة وغاب عنها قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ}**[87] ومما تواطأت عليه الأعراب إذا أوْعَدتْ أو وَعَدَت بالشر التجاوز عنه، وجعلت ذلك من مكارم الأخلاق فعاملهم الحق بما تواطؤا عليه، فَزَلت هنا المعتزلة زلةً عظيمة أوقعها في ذلك استحالةُ الكذب على الله تعالى في خبره، وما علمتْ أنّ مثل هذا لا يسمى كذباً في العرف الذي نزل به الشرع، فحجبهم دليل عقل عن علم وضعٍ حكمي. وهذا من قصور بعض العقول ووقوفها في كل موطن مع أدلتها، ولا ينبغي لها ذلك ولتنظرْ إلى المقاصد الشرعية في الخطاب، ومَن خاطب، وبأي لسان خاطب، وبأي عُرف أوقع المعاملة في تلك الأُمة المخصوصة. يقول بعضُ الأعراب في كرم خُلُقِه:

وإني إذا أوْعدْتُه أوْ وَعَدْتُه   لَمُخْلِفُ إيعادي وَمُنْجِزٌ مَوْعِدي

لكن لا ينبغي أن يقال له: مُخْلف بل ينبغي أن يقال: إنه عفوٌ متجاوِزٌ عن عبده.

وصية: زوال النعم

وعليك بالبَذاذة فإنها من الإيمان وهي: عدم الترفه في الدنيا، وقد ورد قوله: (اخْشَوْشِنُوا) وهي من صفات الحاج وصفة أهل يوم القيامة، فإنهم شُعثٌ غبُرٌ حفاةٌ فإن ذلك كله أنفى للكبر وأبعدُ من العجب والزهو والخُيلاء والصَّلَف، وهي أُمور ذمّها الشرع وكرِهَها وهي مذمومة في العرف عند الناس وعند الله، ولذلك جعل النبي ﷺ البذاذة من الإيمان، وألحقها بشُعَبِه، فإن النبي ﷺ يقول: [الإيمان بِضْعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها: لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق] ولا شك أن الزهو والعُجبَ والكِبَر أذى في طريق سعادة المؤمن، ولا يُماط هذا الأذى إلا بالبذاذة، فلهذا جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان.

وصية: الحياء من الله

وعليك بالحياء فإن الله حَييٌّ، والحياء من الإيمان، والحياءُ خيرٌ كله، وإن الله يستحيي من ذي الشيبة يوم القيامة، فإن العبد إذا اتّصف بالحياء من الله تركَ كلّ ما لا يرضى الله وما يَشينه عند الله تعالى وعند رسول الله ﷺ والحياءُ معناه الترك قال الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي}** يقول إن الله لا يترك: **{أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}**[88] في الصغر لقول مَنْ ضل بهذا المثل من المشركين الذين تكلموا فيه فإن الله تعالى قال: **{يُضِلُّ بِهِ}** أي بهذا المثل **{كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ}**[89] فإنهم حاروا فيه - والضلالة الحيرة - ورأوا عزةَ الله وجلاله وكبرياءه وحقارةَ البعوضة في المخلوقات فاستعظموا جلال الله أن يَنْزِل في ضرب المثل لعباده هذا النزولَ، وذلك لجهلهم بالأمور فإنه لا فرقَ بين أعظم المخلوقات - وهو العرش المحيط - وبين الذرة في الخلق والبعوضة وإخراجها من العدم إلى الوجود، فما هي حقيرة إلاّ من صِغَر جسمها إذا أضفته إلى ذي الجسم الكبير، بل الحكمة في البعوضة أتمُّ، والقدرة أنفذ، فإن البعوضة على صغرها خلقها الله على صورة الفيل على عظمته، فخلقُ البعوضة أعظمُ في الدلالة على قدرة خالقها من الفيل لأهل النظر

والاعتبار، ولهذا لم يصف الله نفسه بالحياء في ذلك لما فيها من الدلالة على تعظيم الحق. ثم إن مواطن الحياء التي في الإنسان كثيرة فإن الحياء صفة يَسْري نفعها بمَن قامت به في أكثر الأشياء ولهذا قال: [الحياء خيرٌ كله] والحياءُ لا يأتي إلاّ بخير وهو: ألا يفعل الإنسان ما يخجل فيه إذا عُرف بأنه فَعَله، وقد علم المؤمن أن الله يعلم ويرى كلما يتحرك فيه العبد، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك ولإيمانه بأنه لا بدّ أن يقرره يوم القيامة على ما عَمله فَيُخْجِله فيؤديه ذلك إلى ترك ما يخجل فيه وذلك هو الحياء، فمن هنا لا يأتي إلاّ بخير، والله أحقُّ أن يستحيا منه.

وصية: أداء النصيحة والتحقيق فيها

وعليك بالنصيحة على الإطلاق فإنها من الدين، خَرّج مسلم في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: [الدين النّصِيْحَة] قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: [لله ولرسوله ولأئمةِ المسلمين وعامّتهم]. واعلم أن النصاح: الخيطُ، والمنصحة: الإبرة، والناصح: الخائط، والخائط هو الذي يؤلف أجزاء الثوب حتى يصير قميصاً أو ما كان فينتفع به بتألفيه إياه، وما ألّفه إلاّ بنصحه، والناصح في دين الله هو الذي يؤلف بين عباد الله وبين ما فيه سعادتهم عند الله، وبين الله، وبين خلقه وهو قوله: [النصيحة لله] وفيه تنبيه في الشفاعة عند الله إذا رأى العبدُ الناصح أن الله يريد مؤاخذة العبد على جريمته فيقول لله: يا رب إنك ندبت إلى العفو عبادَك، وجعلتَ ذلك من مكارم الأخلاق، وإنه أولى من جزاء المسيء بما يسوؤه وذكرتَ للعبد أن أجر العافين عن الناس فيما أساؤوا فيه مما توجهتْ عليهم به الحقوق على الله، فأنت أحق بهذه الصفة لِما أنت عليه من والكرم والامتنان ولا مُكره لك، فأنت أهل العفو والتكرم بالتجاوز عن هذا العبد المسيء المتعدي حدودَك عن إساءته وإسبال ذيل الكرم عليه. واتصافُ الحق بالجود والعفوِ عن الجاني أعظمُ من المؤاخذة على الإساءة، فإن المؤاخذة والعقوبة جزاء، وما في الجزاء على الشر فضل، إلاّ إذا كان في الدنيا لما في إقامة الحدود من دفع المضرة العامة، وما في ذلك من المصالح التي تعود على الناس مثل قوله عزّ وجل: **{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ}**[90] وأما في الآخرة فما ثمّ ما يندفع بجزاء المسيء ما يندفع به في الدنيا، فكان العبد إذا قال هذا يوم القيامة، أو حيث قاله لله بطريق الشفاعة كأنه ناصح للمقام الإلهي في أن يثنى عليه إذا عفا عن المسيء بالكرم والطوْل والفضل، فإنّ في ذلك عينَ الامتنان، فهذا معنى قوله: [الدينُ النصيحةُ لله] أي في حق الله فإنه يسعى في أن يثنى على الله إذا عفا بما يكون ثناء حسناً، ولا سيما وقد ورد في الحديث الثابت أنه لا شيء أحبُّ إلى الله من أن يمدح، فكما أنه مُدح في الدنيا بما

نَصب من الحدود التي درأ بها المضار عن عباده إذا أقامها أئمة المسلمين على المسيئين، كذلك يُمدح بالعفو والتجاوز في الدار الآخرة لأنه هنالك ما تمشي هذه المصلحة التي نُصِبت من أجلها إقامةُ الحدود التي لا تمكن الشفاعة فيها، كحدّ السارق والزاني، وحقوقِ الله على الإطلاق، وأما ما هو حقٌ للعبد فإن الله قد ندب فيه إلى العفو والتجاوزِ كالعفو من ولي الدم، أو قبول الديةِ فإن المظلوم هو المقتول، وقد مات فالطالب قد تقدم كالشاكي الذي يمشي إلى السلطان رافعاً على مَن ظلمه، فجعل الديّةَ كالإحسان لولي الدم لعل ذلك الشاكيَ إذا بلغه إحسانهُ لذوي رَحِمِه يسكت عنه ولا يطالبه عند الله الحكَم العدل بشيء من دمه.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ففي زمانه إذا رأى منه الصاحبُ أمراً قد قرر خلافه ـ والإنسانُ صاحبُ غفلات ـ فينبّه الصاحبُ رسولَ الله ﷺ على ذلك حتى يرى: هل فَعَله بالقصد فيكون حُكماً مشروعاً، أو فعله عن نسيان فيرجع عنه، فهذا من النصح لرسول الله ﷺ، مثْل سهوهِ في الصلاة فالواجب عليه في الرباعية أن يصليها أربعاً فسلّم من اثنتين فقيل له في ذلك، فهذه نصيحة لرسول الله ﷺ، فرجع وأتمَّ صلَاته وسجد سجدتي السهو. وكان ما قد رُوي في ذلك وأمثالِ هذا، ولهذا أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يُوحَ إليه فيه، فإذا شاورهم تعيّن عليهم أن ينصحوه فيما شاورهم فيه على قدْر علمهم وما يقتضيه نظرهم في ذلك أنه مصلحة فينصحونه في ذلك، كنزوله يوم بدر على غير ماء فنصحوه وأمروه أن يكون الماءُ في حَيّزِه ﷺ ففعل وَنصَحه عمر بن الخطاب ﷺ في قتل أُسرى بدر حين أشار بذلك، وأما بعد رسول الله ﷺ فلم تبق له نصيحة، ولكن إن كانت هذه اللاّم لامَ الأجلية بقيت النصيحة. فهذا قد بينا في نصيحة رسول الله ﷺ أن المشير الناصح قد جمع بين حديث رسول الله ﷺ وبين الرأي الذي فيه المصلحة، كما يجمع الناصحُ الذي هو الخائط بالخياطة بينن قطعة الكم والبدن في الثوب.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهم ولاة الأُمور منا القائمون بمصالح عباده، والحكامُ وأهل الفتاوى في الدين من العلماء يدخلون في أئمة المسلمين أيضاً، فإن كان الحاكم عالماً كان، وإن لم يكن من العلماء بتلك المسألة سأل مَن يعلم عن الحكم فيها فيتعيّن على المفتي أن ينصح ويفتيَه بما يراه أنه حق عنده ويذكر له دليله على ما أفتاه به فيخلصه عند الله، فهذه هي النصيحة لأئمة المسلمين. ولمّا لم تُفرض العصمة لأئمة المسلمين، وعُلم أنهم قد يخطئون ويتبعون أهواءهم في عباد الله تعيّن على أهل الدين من العلماء بالدين أن ينصحوا أئمة المسلمين ويردوهم عن اتّباع أهوائهم في

الناس فيؤلفون بينهم وبين ما هو الدين عليه. فمثل هذا هو النصح لأئمة المسلمين فيعود على الناس نفع ذلك.

وأما النصيحة لعامّتهم فمعلومة وهي أن يشير عليهم بما لهم فيه المصلحةُ التي لا تضرهم في دينهم ولا دنياهم، فإن كان ولا بد من ضررٍ يقوم من ذلك إما في الدنيا فيرجّحون في النصيحة ضررَ الدنيا على ضررَ الدين فيشيرون عليهم بما يَسْلم لهم فيه دينهم وإن أَضرّ بدنياهم، ومهما قَدَروا على دفع الضرر في الدين والدنيا جميعاً بوجهٍ من الوجوه وعرفوه تعين عليهم في الدنيا أن ينصحوه في ذلك ويبيّنوه، والمستفتي بالخيار في ذلك بحسب ما يوفقه الله إليه، والذي أقول به: إن النصيحة تَعُمّ إذ هي عين الدين، وهي صفة الناصح فتسري منفعتها في جميع العالم كله من الناصح الذي يستبرئ لدينه ويطلب معاليَ الأُمور فيرى حيواناً قد أضرّ بِه العطش وهو يطلب الماء، وقد حاد ذلك الحيوان عن طريق الماء فيتعين عليه أن يَردّه إلى طريق الماء ويسقيه إن قَدر على ذلك، فهذا من النصيحة الدينية، وكذلك لو رأى مَن ليس على مِلّة الإسلام يفعل فعلاً من سَفْسَاف الأخلاق تعيّن على الناصح أنْ يرده عن ذلك مهما قدر إلى مكارم الأخلاق، وإن لم يقدر عليه تعيّن عليه أن يبين له عيبَ ذلك فربما انتفع بتلك النصيحة ذلك الشخصُ بما له في ذلك من الثناء الحسن، وينتفع بتلك النصيحة مَن اندفع عنه ضرر هذا الذي أراد أن يضره، وإن لم يكن مسلماً ذلك المدفوعُ عنه. فيتعين على صاحب الدين نصح عباد الله مطلقاً، ولهذا يتعين على السلطان أن يدعو عدوه الكافر إلى الإسلام قبل قتاله فإن أجاب فَبِها، وإلاّ دعاه إلى الجزية إن كان من أهل الكتاب، فإن أجاب، وإلّا دعاه إلى الصلح بما شرط عليه إن طلب العدوُ منه ذلك إبقاءً على المسلمين إن كانت المنفعةُ للمسلمين في ذلك، فإن أبَوْا إلا القتال قاتلَهم وأمر المسلمين بقتالهم على أن تكون كلمةُ الله هي العليا خاصةً، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، إلاّ أنه مَنِ التزم النصحَ قلَّ أولياؤهُ، فإن الغالبَ على الناس اتّباع الأهواء، ولذلك يقول رسول الله ﷺ: [ما تَرَكَ الحقُّ لِعُمَرَ مِنْ صَدِيقٍ] وكذلك قال أُوَيْس القَرَني [وإنّ قولك الحقَ لم يتركْ لك صديقاً] ولنا في ذلك:

لمّا التزمتُ النصْحَ والتَحْقِيقَا   لم يَترُكا لي في الوجودِ صَديقَا

ويحتاج الناصح إلى علم كثير فإنه يحتاج أولاً إلى علم الشريعة لأنه العلم العام الذي يَعُم جميع أحوال الناس، وعلم زمانه ومكانه وما تمّ إلا الحالُ والزمان والمكان، وبقي للناصح علم الترجيح إذا تقابلت هذه الأُمور، فيكون ما يُصلح الزمان يُفْسِد الحال أو المكان، وكذلك لكل واحد

منها فينظر في الترجيح فيفعل بحسب ما يترجح عنده، وذلك على قَدْر إيمانه، مثال ذلك: أن يعلم أن الزمان قد أعطى بحاله في أمرين هما صالحان في حق شخص، وضاق الزمان عن فعلهما معاً فيعدل إلى أولاهِما فيشيرُ به على المستشير، وكذلك إذا عرف من حال شخصٍ المخالفةَ واللَّجاج وأنه دَلّه على أمرٍ فيه مصلحة يفعل بخلافه فمن النصيحة أنه لا ينصحه بل يشير عليه بخلاف ذلك إذا علم أن الأمر فيه محصور: بين أن يفعل ذلك، أو هذا الذي فيه المصلحة، وشأنهُ المخالفة واللُجاج، فيشير عليه بفعل ما لا ينبغي فيخالفه فيفعل ما ينبغي، والأولى عندي تركه. ولقد جرى لي مثلُ هذا مع أشخاص أظْهرنا لهم أن في فعلهم ذلك الخيرَ الذي نريده منهم نكايَتَنا وهم يريدون نكايتنا، فأشرنا عليهم أن لا يفعلوا ذلك ولهم في فعله الخير العظيم لهم، فلم يفعلوا وفعلوا ما نهيتهم عنه أن يفعلوه نكاية لنا. فهذه نصيحة خفية لا يشعر بها كلُ أحد، وهذا يسمى علم السياسة فإنه يَسُوسُ بذلك النفوسَ الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها، فلذلك قلنا: إن الناصح في دين الله يحتاج إلى كثير وعقلٍ وفكرٍ صحيح ورَويّة حسنةٍ واعتدالِ مزاج وتؤدةٍ، وإن لم تكفيه هذه الخصالُ كان الخطأ أسرعَ إليه من الإصابة، وما في مكارم الأخلاق أدقّ ولا أخفى ولا أعظمُ من النصيحة، ولنا فيه جزء وسميناه كتابَ النصائح ذَكَرْنا فيه ما لا يُعَوَّل عليه وما يُعَوَّل عليه، ولكن أكثره فيما لا يعول عليه مما يعوِّل الناس عليه ولكن لا يعلمون.

وصية: اغتنام الفرص في الأعمال الصالحة

وعليك بمراعاةِ حالك في الزمان بين الصلاتين، وأنت لا تخلو أبداً أن تكون بين صلاتين، فإن الأمر دَوْرٌ، والزمان الذي بين الظهر والعصر زمانٌ بين صلاتين، وكذلك بين العصر والمغرب، وبين المغرب والعشاء، وبين العشاء والصبح، وبين الصبح والظهر، ودار الدور وجاء الكَور، وإذا خرج وقت صلاة الظهر بخروج وقت صلاة الصبح بلا خلاف، وكذلك العتمة والصبح بخلاف، إلا أنه لا يدخل وقت الظهر إلاّ بعد خروج وقت الصبح لا بد من ذلك، فلا يدخل وقت صلاة حتى يخرج وقت التي قبلها، فالداخلة أبداً على إثْر الخارجة، وقد يمتد إلى ما بعد طلوع الشمس وقتُ أداء الصبح إلى أن تزول الشمس فيدخل وقت الظهر، وذلك أن الإنسان قد يصلي الركعة الأولى من الصبح بوجه مثلاً قبل طلوع الشمس، ويقول الشارع فيه: إنه أدرك الصبح فتطلع الشمس عليه، وقد شرع في الركعة الثانية من الصبح فلو أطالها إلى حَدّ الزوال لجاز، وذلك وقتُها وهو مؤدٍ لها فما خرج وقت صلاة الصبح في حق هذا المصلي حتى دخل وقت الظهر، وهكذا في

جميعِ الصلاة، فإن أوقات هذه الصلاة فيها خلاف بين العلماء فلهذا ذكرناها تنبيهاً على أن فيها خلافاً فيجوز على هذا أن تكون صلاةٌ على إثْر صلاة، ولا لغو بينهما، فقد جُعل أن بين الصلاتين زماناً لا صلاة فيه، ذلك الزمان هو زمان اللغو أو تركه، وإنما قلنا: زمان اللغو أو تركه للحديث الثابت: [صلاةٌ على إثْر صلاةِ لا لغوَ بينهما كتابٌ في عِلّيين] ويدخل في هذا الحديث صلاةُ النافلة، والنافلة بعد الفريضة، والفريضة بعد النافلة، والفريضة بعد الفريضة. واللغوُ من الكلام: هو الساقط الذي لا دخول له في كفة الميزان وهو المباح، فيقول رسول الله ﷺ في الرجل يصلي الصلاةَ ثم يُتْبِعها بصلاة أخرى ولم يفعل بين هاتين الصلاتين - في الزمان الذي لا يكون فيه مصلياً - فعلاً مباحاً من قولٍ وعملٍ بل كان مشتغلاً بما يَدخل الميزانَ من أمرٍ مندوبٍ إليه من ذكرٍ أو غير ذكر ثم يصلي الصلاةَ الأخرى فإن ذلك كتابٌ في عليين، بأنه لم يفعل بين الصلاتين لغواً أصلاً. وهذا عزيز الوقوع فإن أحدَ أحوال الناس اليوم مَن يتصرف في المباح فلا عليه ولا له، والغالب من أحوال الناس التصرفُ في المكروه والمحظور، فلهذا أوصيتك بمراعاة الزمان الذي بين الصلاتين، وما رأيتُ أحداً نبّه عليه إلاّ إن كان وما وصل إلينا إلاّ رسول الله ﷺ ومنه أخذنا ذلك.

وصية: صلاة الجماعة

وعليك بالصلاة المكتوبة حينُ ينادَى بها مع الجماعة، فإن المساجد ما اتخذت إلاّ لإقامة الصلاة المكتوبة فيها، وما يُنادى إلاّ إلى الإتيان إليها، فإن ذلك سنة رسول الله ﷺ. والمراد بذلك: الإجماعُ على إقامة الدين وأن لا يتفرق فيه، ولهذا اختلفت الناس في صلاة الفذ المكتوبة إذا قدر على الجماعة هل تجزيه أم لا؟، ومن ترك سنة رسول الله ﷺ ضَلّ بلا شك لأنه ﷺ ما سَنّ إلاّ ما هو المَهْداة، وماذا بعد الحق إلاّ الضلال فـأنّى تصرفون؟ فحافظ على المكتوبة في الجماعات، والأرضُ كلُّها مسجد فحيثما قامتِ الجماعة من الأرض فما قامت إلاّ في مسجد، ولهذا ينبغي لمن صلى في جماعة في مسجد بيته أن يُؤذّن لها وإن كانت الإقامة أذاناً، وإنما سميت إقامةً لقيام المصلي إلى الصلاة عند الأذان الخاص، فَفُرّقَ في الأذان الثاني بين الأذانين باسم الإقامة. والأذان معناه: الإعلام، وأبقَوْا اسم الأذان على الأول المُعْلم بدخول الوقت، فالأذان الأول للإعلام بدخول الوقت، والأذان الثاني الذي هو الإقامة للإعلام بالقيام إلى الصلاة فزاد على الأذان بقوله [قد قامت الصلاة].

وصية: صلاة الأوابين

وعليك بالمحافظة على صلاة الأوابِيْن، وهي: الصلاة في الأوقات المغفولِ عنها في العامة، وهي: ما بين الضحى إلى الاستواء، وما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء الأخير، وعلى التهجد وهو: أن ينام من أول الليل بعد صلاةِ العشاء الأخيرة، ثم يقومَ إلى الصلاة، ثم ينام، ثم يقوم إلى الصلاة إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر فاركع ركعتي الفجر، ثم اضطجع على شِقّك الأيمنِ من غير نوم، ثمَ قُم إلى صلاة الصبح. واجعل وِتْرك ثلاث عشرةَ ركعةٌ في تهجدك، فإن هذا كان وترَ رسول الله ﷺ وأطلِ الركعتين الأوليين من التهجد، ثم اللتين بعدهما أقلّ منها في الطول، هكذا تنْقُص من طول المتأخرة إلى أن توتر بركعة، والركعةُ الأولى من كل ركعتين على قَدْر الثانية من اللتين قبلهما، والركعةُ الثانية من كل ركعتين على النصف من الركعة الأولى منهما، ذلك إلى أن توتر بركعة واحدة إن شئت أن لا تجلس إلا في آخر ركعة من وتْر صلاتك، وهي الإحدى عشرَ، وإن شئتَ جلستَ في ركعتين ولا تسلّم إلا في آخر ركعة مفردةٍ، وإن شئتَ خمّستَ وسبّعت وتسّعْتَ، كلُّ ذلك مباحٌ لك. واجتنب أن تُشبّه وِترَك بصلاة المغرب، وقد ورد في النهي عن ذلك خبرٌ. وكذلك في الركعة الواحدة وتسمى البتيراءَ، فاجتنب مواقعَ الخلاف ما استطعتَ، واهرُب إلى محل الإجماع، مع أنه ثبت أنه إنْ أوتر بثلاث فلا يجلس إلاّ في آخرها، ويسلم حتى يَفِرّ من الشّبَه بينها وبين المغرب، وإذا قمتَ إلى الصلاة بالليل وتوضأتَ فاركع ركعتين خفيفتين، ثم بعدَهما اشرع في صلاة الليل كما وسّعتُ لك، وعند قيامِك للتهجد امسحْ عينيك من النوم بيديك، ثم اتلُ: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ}**[91] الآياتِ بكمالها، ثم قم فتوضأ واستفتحْ صلاتك بركعتين خفيفتين، ثم اشرع في قيام الليل على ما وصفتُه لك في باب الصلاة من هذا الكتاب وأذكاره فانظره فيه، وانظر اعتباره إن شاء الله. وقد ثبت أنّ صلاة الأوابين حينَ ترْمَضُ الفصال[92]، واجتنب الصلاةَ عند الاستواء، وبعدَ العصر حتى تغْرُب الشمس، وبعد الصبح حتى تطْلُع الشمس، وحافظْ على الصلاة في جماعة فإنها تزيد على صلاة الفَذّ بسبع وعشرين درجة، وحافظ على أربع ركعاتٍ في أول النهار عند الإشراق كما قال: **{يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ}**[93] والسُبحة: صلاة النافلة، يقول عبدُ الله بن عمر (وهو عربي) في النافلة في السفر: لو كنتُ مسبحاً أتممتُ. ثم صلاة الضحى ثمانِ ركعاتٍ بعد صلاة الإشراق، ثم أربعِ ركعاتٍ قبل الظهر وبعد الزوال، ثم أربعِ ركعات بعد صلاة الظهر، ثم أربع ركعات قبل صلاة العصر، ثم ستِ ركعات بعد المغرب، ثم ثلاث عشرةَ ركعة وترك من الليل فيها ركعتا الفجر، وتبقى إحدى عشرةَ ركعة هي

صلاة الليل. هذا لا بدّ منه لمن يريد السنة والاقتداءَ، وفي رواية: ركعتين قبل المغرب، ثم إن زدتَ على هذا وذاك، فإن الصلاة خير موضوع، فمن شاء فَلْيَسْتقِل، ومن شاء فليَستكثِر فإنه يناجي ربه، والحديثُ مع الله والاستكثارُ منه أشرف الأحوال، وأما الوصية بالصدقةِ والصومِ فقد تقدمت في باب الزكاة وباب الصوم وكذلك الحجُ من هذا الكتاب.

وصية: الورع اجتناب الشبهات والاقتداء بسنن الأنبياء

وعليك بالورع في النطق كما تتورعُ في المأكل والمشرب. والورع عبارة عن اجتناب الحرام والشبهات، أما الشبهةُ فما حاك في صدرك، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: [الإثمُ ما حاكَ في صدْرك] قال بعض العلماء من أهل الله: ما رأيتُ أسهلَ عليّ من الورع، كلّما حاكَ لي في نفسي شيءٌ تركتُه. وقد ورد في الخبر [دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يريبك] وورد أيضاً [استَفْتِ قلبَك وإن أفتاك المفتون] يعني بالحِل، وتجدُ أنت في نفسك وقفةً في ذلك فاجتنبه، فهو أولى بك ولا تُحرّمه.

وعليك بالهدى الصالح وهو: هديُ الأنبياء، وهو: اتّباع آثارهم الذي أُمِر رسول الله ﷺ بإتّباعهم في قوله: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}**[94] وكذلك السمتُ الصلح والاقتصادُ في أُمورك كلها، فإنّ النبي ﷺ قد ثبتَ عنه أن الهديَ الصالحَ والسمتَ الصالح والاقتصاد جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوة، وَتحَفّظْ من العجلة إلاّ في المواطن التي أمرك رسول الله ﷺ بالعجلة فيها والمسارعة إليها، مثلُ الصلاةِ لأول ميقاتها، وإكرامُ الضيف، وتجهيز الميت، والبكر إذا أدركت، بل وكلُّ عمل للآخرة فالمسارعةُ إليه أولى من التؤدة فيه، واجعل التسويفَ والتؤدةَ في أُمور الدنيا، فإنه ما فاتك من الدنيا ما تندم عليه بل تفرح بفوته، وما فاتك من أُمور الآخرة فإنك تندم عليه، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: [التُّؤَدةُ في كل شيء إلاّ في عمل الآخرة] وقد ذكر مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال للأشَجّ - أشج عبدِ القيس: [إنّ فيك لخصلتين يُحبُّهمَا الله ورسوله] قال: وما هما يا رسول الله؟ قال [الحِلْمُ والأناة] أرادَ الحلمَ عمن جنى عليك، والأناةَ في أُمور الدنيا وأغراض النفس. وإن كان لك عائلة فكُدَّ عليهم فإن الساعيَ على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكن خيرَ الرعاة في كل ما استرعاك الله فيه على الإطلاق فالسلطان: راعٍ وكلُّ راعٍ مسؤول عن رعيته ما فعل فيهم؟ هل اتقى الله فيهم أم لم يتق؟ والرجلُ راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعيةٌ على بيت زوجها وولدِه، والعبدُ راع على مال سيده ولا تَغْفُل عن الصلاة على رسول الله ﷺ إذا ذكرته أو

ذُكِر عندك تأمنْ من البخل، فإنه ثبت عنه ﷺ أنه قال: [البخيلُ مَنْ ذُكِرتُ عِنْده فلمْ يُصَلِّ عليّ] ولو لم يكن في ذلك إلاّ إطلاق البخل عليك ـ وهو من أذمّ الصفات وأرْداها ـ ومعنى البخيل هنا: بخلهُ على نفسه، فإنه قد ثبت فيمن صلّى على النبي ﷺ مرةً ﷺ بها عشراً، فمن ترك الصلاة على النبي ﷺ فقد بَخِل على نفسه حيث حرمها صلاةَ الله عليه عشراً إذا صلى هو مرةً واحدة فما زاد.

وصية: وفاء وأمانة بالعهد والقول والصلة

الله الله أن تعود في شيء خرجتَ عنه لله تعالى، ولا تعقِد مع الله عقداً ولا عهداً ثم تنقُضه بعد ذلك وتحُلّه ولا تفي به، ولو تركته لما هو خير منه فإن ذلك من خاطر الشيطان فافعله، وافعل الخيرَ الآخر الذي أخطره لك الشيطان حتى لا تفي بالأول، فإنّ غرضه أن توصف بوصف الذينَ ينقُضون عهد الله من بعد ميثاقه.

وعليك بصلة الرحم فإنها شِجْنة من الرحمن[95] وبها وقع النسب بيننا وبين الله، فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله، وإذا استُشِرتَ في أمرٍ فقد أمِنَك المستشير فلا تَخُنه، فإن كان في نكاح فإن شئت أن تذكر ما تعرَفه فيمن سئلتَ عنه مما يكرهه لو سمعه، فإن ذلك الذكر ليس بغْيبة يتعلق بها ذم، فإن كنت من أهل الورع الأشداء فيه، ويحوك في نفسك شيء من هذا الذكر فلا تذكرْ ما تعرف فيه من القبيح، وقل كلاماً مجملاً، مثل أن تقول: ما تصلحُ لكم مصاهرتُه، من غير تعيين، ويكفي هذا القدر من الكلام، فإن كنتَ تعلم من قرائن الأحوالِ أنّ هذا الأمر الذي تذمه به في نظرك لا يقدح عند القوم الذين يطلبون نكاحه فما خُنتهم إذا لم تذكر لهم ما يقبح عندك فإنه ليس بقبيح عندهم، وهم مُقدِمون عليه، وهذا موقوف على معرفةِ أحوال الناس: ومثلُ هذا الكلام في الأسانيد في حديثِ رسول الله ﷺ، كان أحمدُ بن حنبل يقول ليحيى بن معين: تعالَ نغْتب في الله ـ والمستشارُ مؤتمن. وإياك والأكل والشربَ في أواني الذهب والفضة، وإياك والجلوس على مائدةٍ يُدار عليها الخمر أو ما هو حرامٌ أصلاً، واجتنب لباسَ الحرير والذهب إن كنت رجلاً وهو حلال للمرأة، وإذا رأيت رؤيا تحْزِنُك واستيقظتَ فاتفُلْ عن يسارك ثلاثَ مرات وقل: أعوذ بالله من شَرّ ما رأيتُ، وتَحوّل عن جنبك الذي كنتَ عليه في حال رؤياك إلى الجنب الآخر، ولا تُحدّث بما رأيتَ فإنها لا تضرك أصلاً، وحافظْ على مِثل هذا تَرَ برهانه، فإن كثيراً من الناس وإن استعاذوا يتحدثون بما رأوه، وقد ورد أنّ الرؤيا معلقةٌ برِجْل طائر، فإذا قالها سقطت لما قيلت له.

وعليك باستعمال الطِّيْب فإنه سنة، واستعمل منه - إن كنت ذَكَراً - ما ظهر ريحُه وخفي لونه، وإن كنتَ امرأةً فاستعمل منه ما ظهر لونه وخفي ريحه، فإن الحديث النبوي بهذا ورد.

وعليك بالسواك لكل صلاة وعند كل وضوء، وعند دخولك إلى بيتك، فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب. وقد ورد [إن صلاةً بسواك تفْضُل سبعينَ صلاةً بغير سواك] ذكره ابن زنجويه في كتاب الترغيب في فضائل الأعمال. وإياك واليمينَ الغموس فإنها تغمس صاحبها في الإثم، فإن الناس اختلفوا في كفارتها: فمنهم من ألحقها في الكفارة بالأيمان، ومنهم من قال: إنها لا كفارةَ فيها، وهي: اليمين التي تَقْطَع بها حقاً للغير وجب عليك، وفي هذا فقه عجيب دقيق لمن نظر وتفقّه في وجوب الحق، متى يكون؟ وبأي صفة يكون؟ وما منعني أن أبيّنه للناس إلاّ سداً للذريعة حتى لا يتأوّلَ فيه الجاهلُ فيتجاوزَ القدْر الذي نذكره فيقعَ في الإثم وهو لا يشعر، فإن الفقهاء أغفلوا هذا الوجهَ الذي أومأنا إليه وما ذكروه. وإياك والمراء في القرآن فإنه كفر بنص الحديث، وهو: الخوض فيه بأنه مُحْدث، أو قديم، أو هل هو هذا المكتوب في المصاحف، والمتلو المتلفظُ به عين كلام الله، أو ما هو عين كلام الله، فالكلام في مثل هذا، والخوضُ فيه هو الخوض في آيات الله، وهذا هو المراء والجدال في القرآن الداخل في قوله تعالى: **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}**[96] فسمّاه حديثاً وليس إلاّ القرآن، فلو أراد آياتٍ غير القرآن لقال فيها بضمير الآية أو الآيات، للذُكورية هنا دخولٌ إلاّ إذا أراد آيات القرآن، والقرآن خبر الله والخبر عين الحديث، وقال تعالى: **{مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ}**[97] **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ}**[98] والذكر الحديث.

وصية: آداب عامة وتنبيهات

أُكْظُم التثاؤب ما استطعت فإنه من الشيطان، وإياك أن تُصَوّتَ فيه، فإن ذلك صوتُ الشيطان، والعطاس في الصلاة من الشيطان أيضاً، وفي غير الصلاة العطاسُ ليس من الشيطان، وإياك والطرق وهو: الضرب بالحصى، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما تدري الضّوارِبُ بالحصَى ... ولا زاجِراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ

وكذلك العيافةُ وهي: زجرُ الطير والطيرة. وعليك بالفأل، والطيرة شرك، وإياك والبصاقَ في المسجد فإن غفلتَ فادْفِنها فذلك كفارتها، وإياك أن تستقبل القبلة ببصاقك ولا بخلائك، ولا تستدبرها أيضاً ببولٍ ولا غائط فإن ذلك من آداب النبوة، وإذا أردتَ أن تأكل فاغسل يديك قبل الأكل وبعده وزد المضمضة منه في الغَسل بعده، وعليك بالإحسان لمن ملكت يمينُك من جاريةٍ وغلام، ولا تكلفهما فوق طاقتهما، وإن كلفتهما فأعنهما فإنهما من إخوانكم، وإنما الله ملّككم رقابّهم، فالكلُّ بنو آدم فهم إخواننا، فراع الله فيهم، واعلم أنك مسؤول عنهم يوم القيامة، وإذا عاقبت أحدهم على جنايةٍ فاعلم أن الله يومَ القيامة يوقف العبد وسيده بين يديه ويحاسبه على جنايته وعلى عقوبته على ذلك، فإن خرجتْ رأساً برأس كان، وإن كانت العقوبة أكثر من الجناية اقتصّ للعبد من السيد فتحفّظ ولا تزدْ في العقوبة على ثلاثةِ أسواط، فإن كثُرت فإلى عشرة، ولا تزد إلاّ في إقامة حَدّ من حدود الله، فذلك حد الله لا تتعداه، فإن عفوت عن العبد في جنايته فهو أولى بك وأحوط لك، وإذا جئت إلى بيت قوم فاستأذن ثلاث مرات، فإن أُذن لك وإلاّ فارجع ولا تنظر في بيت أخيك من حيث لا يعرف بك، فإنك إذا نظرت فقد دخلت، وإنما جعل الإذن من أجْل البصر قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا}**[99] وقال: **{فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا}**[100] وثبت في الحديث [الاستئذانُ ثلاثٌ: فإن أذِن لك وإلاّ فارجع] وإياك أن تتخذ الجرسَ في عنق دابتك، فإن الملائكة تنفر منه، وقد ورد بذلك الحديثُ النبوي. وكان بمكة رجل من أهل الكشف يقال له ابن الأسعد من أصحاب الشيخ أبي مدين صحبة ببجاية، فكان يوماً بالطّواف وهو يشاهد الملائكة تطوف مع الناس، فنظر إليهم وإذا هم قد تركوا الطوافَ وخرجوا من المسجد سِراعاً، فلم يَدْر ما سببُ ذلك حتى بقيتِ الكعبة ما عندها مَلك، وإذا بالجمال بالأجراس في أعناقها قد دخلتْ المسجدَ بالرَوَايا تسقي الناس، فلما خرجوا رجعتِ الملائكة، وقد ثبت أن الجرس مزاميرُ الشيطان.

والذي أوصيك به أن تحافظ على أنْ تشتري نفسك من الله بعتق رقبتك من النار بأن تقول: لا إله إلا الله سبعين ألف مرة فإن الله يُعتق رقبتك بها من النار، أو رقبةَ مَنْ تقولُها عنه من الناس، ورد في ذلك خبرٌ نبوي. ولقد أخبرني أبو العباس أحمدُ بنُ علي بنِ ميمون بنِ آب التوزري المعروف بالقسطلاني بمصر قال في هذا الأمر: إن الشيخ الربيع الكفيفَ المالقي كان على مائدةِ طعام، وكان قد ذكرَ هذا الذكر وما وهبه لأحد، وكان معهم على المائدة شابٌ صغير من أهل الكشف من الصالحين، فعندما مَدّ يده إلى الطعام بكى، فقال له الحاضرون: ما شأنك تبكي؟ فقال: هذه جهنم

أراها، وأرى أمي فيها، وامتنع من الطعام وأخذ في البكاء، قال الشيخ أبو الربيع: فقلتُ في نفسي: اللهم إنك تعلم أني قد هَلّلْت هذه السبعين ألفاً، وقد جعلتها عتقَ أم هذا الصبي من النار، هذا كله في نفسي، فقال الصبي: الحمد الله أرى أمي قد خرجت من النار، وما أدري ما سببُ خروجها، وجعل الصبي يبتهجُ سروراً. وأكل مع الجماعة، قال أبو الربيع: فصحّ عندي هذا الخبر النبوي، وصحّ عندي كشفُ هذا الصبي الذي كان يزعم. وقد عملت أنا على هذا الحديث ورأيتُ له بركة في زوجتي لمّا ماتت.

وعليك بإصلاح ذات البين وهو: الفراق فإن الإصلاح بين الناس من الخير المعيّن في الكتاب، وإذا كان الله قد رغَب بل أمر مَنْ أمر من المسلمين إذا جنح الكفار إلى السَلم أن يجنحوا لها، فأحرى الصلحُ بين المتهاجرين من المسلمين. وإياك وإفسادَ ذاتِ البين فإنها الحالقة، والبين هنا: هو الوصل، ومعنى قول النبي ﷺ [الحالقة] أنها تَحْلق الحسناتِ كما يحلق الحلاقُ الشعر من الرأس، قال الله تعالى **{لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ}**[101] بالرفع يعني الوصل، والبين في اللسان من الأضداد كالجوْن[102] يا وليّ أطعم عبدَك مما تأكل وألبسه مما تلبس، وراع قدْره وانظر فيما ثبت فيهم من رسول الله ﷺ بقوله: [إخوَانكم خوَلكم[103] جعلهم الله تحتَ أيديكم، فمن كان أخوه تحتَ يده فليُطعِمه مِمّا يأكل، ولْيُلْبِسْه مما يَلبس] واغتنم صحة البدن والفراغ من شُغَل الدنيا، واستعن بهاتين النعمتين اللتين أنعم الله عليك بهما على طاعة الله، فإنه ما أصَحّ بدنك ولا فرّغك من هموم الدنيا إلاّ لطاعته والقيام بحدوده، وإلاّ كانت الحجّة عليك لله، فاحذر أن يكون الله خصمك، ولتقل في كل يوم عند كل صباح مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فإن هذا الذكر لا يبقي عليك ذنباً.

وصية: التقوى في حفظ الجوارح عن الحرام

وعليك بحفظِ جوارحك فإنه من أرسل جوارحَه أتعبَ قلبه، وذلك أن الإنسان لا يزال في راحةٍ حتى يُرسل جوارحه، فربما نظر إلى صورة حسنة تعلق قلبُه بها، ويكون صاحب تلك الصورة من المنعة بحيث لا يقدر هذا الناظرُ على الوصول إليها، فلا يزال في تعبٍ من حُبّها يسهر الليلَ ولا يهنأ له عيش، هذا إذا كان حلالاً، فكيف به إن كان أرسله فيما لا يَحل له النظر إليه؟ فلهذا أمرنا بتقييد الجوارح فإن زنى العيون: النظرُ، وزنى اللسان: النطقُ بما حُرّم عليه، وزنى الأذن: الاستماع إلى ما حُجر عليها، وزنى اليد: اللمس، وزنى الرِجل: السعي، وكل جارحة تصرفتْ فيما

حرم عليها التصرف فيه فذلك التصريف منها على هذا الوجه الحرام هو زناها، فاللسان يقول: هو الذي أوردني الموارد المهلكة. وقال ﷺ: (وهَل يكُبّ الناسَ على مناخرهم في النار إلاّ حصائدُ ألسنتهم) قال الله تعالى: **{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**[104] يعني بها فتقول اليد: بطش بي في كذا، يعني في غير حق فيما حرم عليه البطش فيه، وتقول الرجل كذلك واللسانُ والبصرُ وجميعِ الجوارح كذلك: **{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}**[105] خرّج مسلم عن محُمد بن ابي عمر عن سفيانَ عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله: [هل نرى ربّنا يوم القيامة] قال فيقول: ألم أكرِمك وأسوّدْك وأزوجْك واسخرْ لك الخيلَ والإبل وأذَرْكَ تَرأسُ وتربع؟] فيقول (بلى يا رب) فيقول: [أفظَنْنتَ أنك ملاقيّ؟] فيقول: آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليتُ وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول: [ههنا إذنْ] قال: ثم يقال له: [الآن نبعثُ شاهداً عليك] ويتفكر في نفسه: مَنْ ذا الذي يشهد عليّ؟ فيُختم على فِيْهِ ويُقال لفَخِذه: [أنطق] فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليُعْذِر من نفسِه وذلك المنافق، وذلك الذي سخط الله عليه. وقد ورد في الحديث الثابت في أمر الدنيا: [إن الساعة لا تقوم حتى تُكَلّم الرجلَ بما فعل أهلُه: فخذه وعذبةُ سوطه]، وقد قيل في التفسير: إن الميت الذي أحياه الله في بني إسرائيل في حديث البقرة في قوله: **{اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا}**[106] قال ضُرب بفخذها، وإن الله ما عيّن ذلك البعض، فاتفق أن ضربوه بالفخذ. يا أخي يومَ تشهد فيه عليك الجلودُ والجوارحُ وأنصف من نفسك، وعاملْ جوارحك بما تشكرك به عندك الله. ولقد رأينا ذلك عِياناً في الدنيا في زمان الأحوال التي كنا فيها - أعني نطق الجوارح - إذا أراد العبد أن يصرفها فيما لا يجوز شرعاً تقول له الجارحة: يا هذا لا تفعل، لا تجبرني على فعلت ما حُجر عليك فعلُه، فإني شهيد عليك يوم القيامة فاجعلني شاهداً لك لا عليك، واصحبني بالمعروف، وهو في غفلة لا يسمع، فإذا وقع منه الفعل تقول الجارحة: يا رب قد نهيتُه فلم يسمع، اللهم إني أبرأ إليك مما وصل إليه من مخالفتِك بي. وعلى كل حال فإرسالُ الجوارح يؤدي إلى تعب القلب، فإن الله خلقك لك واصطفى منك لنفسه قلبَك، وذكر أنه يسعُه إذا كان مؤمناً تقياً ذا وَرَعٍ فإذا اشتغلتَه بما تصرفت فيه جوارحك كنتَ ممن غضب الحقُ عليه فيما ذَكَر أَنه له منك. وأيُّ ظلمٍ أعظمُ من ظلم الحق، فلا تجعل الحقَ خصمك فإن لله الحجّةَ البالغَة كما ذكر عن نفسه، وبكل وجه أشهدني الله حجتَه على خلقه، كيف تقوم وذلك في أن العلم يتبع المعلوم إنْ فهمتَ، فأَكثرُ من هذا التصريح ما يكون.

وصية: الأذان والإقامة

وعليك بالأذان لكل صلاةٍ، أو تقول ما يقول المؤذن إذا أذّن، وإذا أَذنتَ فارفع صوتك فإن المؤذن يَشهدُ له يوم القيامة مدى صوته من رطْب ويابسٍ، ولو علم الإنسان ما له في الأذان ما تركه، قال ﷺ (لو يعلمُ الناسُ ما في النداء والصفِ الأول، ثُمْ لم يجدوا إلاّ أن يَسْتهِمُوا عليه لاسْتَهْموا عليه، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حَبْواً) فإن لم يؤذن وسمعَ الأذان فليقل مثلَ ما يقول المؤذن سواء، وإن قال ذلك عند كل كلمة إذا فرغ المؤذن منها قالها هذا السامع بحضور وخشوع. ولقد أذّنْتُ يوماً فكلّما ذكرت كلمةً من الأذان كشف الله عن بصري، فرأيت ما لها مَدّ البصر من الخير فعاينت خيراً عظيماً لو رآه الناس العقلاء لذهِلوا لكل كلمة، وقيل لي: هذا الذي رأيتَ ثوابُ الأذان. وإنما ارتضينا ووصّينا أن يقول السامع مثلَ ما يقول المؤذن عند فراغ كل كلمة لما رويناه من حديث الترمذي عن ابن وكيع، عن إسماعيل بن محّمد بن جحادة يبلغ به النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: عن إسماعيل بن محّمد بن جحادة يبلغ به النبيّ ﷺ قال: [مَنْ قال لا إله إلاّ الله والله أكبر صَدّقه ربَه وقال: لا إله إلاّ أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلاّ الله وحده، يقول: لا إله إلاّ أنا وأنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، قال الله: لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلاّ الله له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلاّ أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله، قال الله: لا إله إلاّ أنا ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بي] قال: وكان يقول: [مَنْ قالها في مرضه لم تَطعَمْه النار] ويكفي العاقلَ في الأمر بالأذان أمرُ النبي ﷺ مَنْ سَمعَ المؤذنَ يُؤذن أن يقول مثلَ قوله فهو أذان فما رغبه فيه إلاّ وله أجره، فإنه مُعْلم لذلك نفسَه وذاكرٌ ربَّه كصورة الأذان، فما أمره إلاّ بما له فيه خير كثير، وليؤذن على أكمل الروايات وأكثرها ذكراً فإن الأجر يكثر بكثرة الذكر قال تعالى **{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ}**[107] وقال: **{اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا}**[108] وقد ورد أنّ الإنسان إذا كان بأرضٍ فلاةٍ فدخل الوقتُ وليس معه أحد قام فأذن، فإذا أذن صلَى خلفه مِنَ الملائكة كأمثال الجبال، ومن كانت جماعتُه مثلَ أولئك يُؤمِّنون على دعائه كيف يشقى؟ وإنما وصّينا بمثل هذا لغفلةِ الناس عن مثله، فالعاقل مَنْ لا يغفل عن فعل ما له فيه الخير الباقي عند الله عز وجل، فإن ذلك من رحمتك بنفسك فإن الله جعل رحمتك بنفسك أعظمَ من رحمتك بغيرك، كما جعل أذاك نفسَك أعظمَ في الوزر من أذاك غيرَّك، قال في قاتل الغير إذا لم يُقْتل به: أمره إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذه. وقال في القاتل نفسَه: [حَرّمتُ عليه الجنة] وقال النبي ﷺ: [الراحمون يَرحمَهم الرحمنُ] فَمَنُ رَحِم نفسه يسلكُ بها سبيل

هداها ويحول بينها وبين هواها، فرَحِمه الله رحمةً خاصة خارجةً عن الحدّ والمقدار، فإنه رحم أقربَ جار إليه وهي نفسه، ورحم صورةً خلقها الله على صورته، فجمع بين الحُسْنَيَيْن: مراعاةِ قرب الجوار، ومراعاةِ الصورة. وأيُّ جارٍ سوى نفسِه فهو أبعد منها، ولذلك أمر الداعيَ إذا دعا أن يبدأ بنفسه أولاً مراعاةً لحقها، والسر الآخر أن الداعي لغيره يحصل في نفسه افتقارُ غيره إليه، ويَذْهَل عن افتقاره فربما يَدْخله زُهو وعُجْبُ بنفسه لذلك، وهو داءٌ عظيم فأمره رسول الله ﷺ أن يبدأ بنفسه في الدعاء فتحصل له صفة الافتقار في حق نفسه، فتزيل عنه صفةُ الافتقار صفةَ العجر والمنة على الغير، وفي إثر ذلك يدعو للغير على افتقار وطهارة، فلهذا ينبغي للعبد أن يبدأ بنفسه في الدعاء، ثم يدعو لغيره، وإنه أقرب إلى الإجابة، لأنه أخلص في الاضطرار والعبودية. ومثلُ هذا النظر مغفول عنه لا أحدَ أعظمُ من الوالدين ولا أكبر بعد الرسل حقاً منهما على المؤمن، ومع هذا أُمِر الداعي أن يُقدم في الدعاء نفسَه على والديه، فقال نوح عليه السلام: {**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**}[109] وقال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في دعائه: {**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ**}[110] فبدأ بنفسه ثم ببنيه، وقال: {**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**}[111] فبدأ بنفسه، وقال: {**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**}[112] وإنما أوصيتك بالأذان لما فيه عند الله من المنزلة يومَ القيامة، فإن المؤذنين أطولُ أعناقاً في ذلك اليوم يقول تمتد أعناقهم دون الناس لينظروا ما أثابهم الله به، وما أعطاهم من الجزاء على أذانهم، هذا إن كان من الطول، فإن كان من الطَول - الذي هو الفضل، والعُنُق الجماعةُ - فهم أفضل الناس جماعةً، ومَنْ رواه بكسر الهمزة منهم أفضلهم سيراً لما يرونه من الخير الذي لهم على الأذان فإن المؤذن يحافظ على الأوقات فهو يسرع إلى الإعلام بدخول وقت الصلاة فإنّه مراعٍ ذلك، فبكلِ وجهٍ تأويلهم أطول الناس أعناقاً جماعةً وسيراً وامتداد عُنُقٍ لرؤية.

وصية: القضاء بالحق

وإن كنت والياً فاقضِ بالحق بين الناس ولا تتبعِ الهوى فيضِلَّك عن سبيل الله، إن الذين يَضلّون عن سبيل الله - وسبيلُ الله هو ما شرعه لعباده في كتبه وعلى ألسنةِ رسله - لهم عذاب شديد بما نسُوا يوم الحساب، يعني به - والله أعلم - يومَ الدنيا، حيث لم يحاسبوا نفوسَهم فيه، فإن النسيانَ التركُ، يقول رسول الله ﷺ: (حاسبوا أنفسكم قبل أنْ تُحاسَبوا) ولقد أشهدني الله في هذا مشهداً عظيماً

بإشبيلية سنة ستٍ وثمانين وخمسمئة. ويومُ الدنيا أيضاً هو يوم الدين أي يومُ الجزاء لما فيه من إقامة الحدود، قال تعالى: **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}**[113] وهو جزاء **{بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** وهذا عينُ الجزاء، وهو أحسنُ في حق العبد المذنب من جزاء الآخرة، لأن جزاءَ الدنيا مُذَكِّر وهو يومُ عمل، والمُذكِّرُ فيه إذا رجع إلى الله قُبِلَ، والآخرةُ ليست كذلك، ولهذا قال في الدنيا: (لَعَلَّهم يَرْجعون) إلى الله بالتوبة، فيومُ الجزاء أيضاً يومُ الدنيا كما هو يوم الآخرة، وهو في يوم الدنيا أنفعُ، فاقضِ بالحق فإنَّ الله تعالى قد قضى في الدنيا بالحقِ بما شرعه لعباده، وفي الآخرة بما قال، فإن القضاة في الدنيا ثلاثة: واحدٌ في الجنة واثنان في النار.

والذي أوصيك به إذا فتح الله عينَ بصيرتك ورَزَقكَ الرجوعَ إليه، المسَمَى توبةً، فانظر أيَّ حالةٍ أنت عليها من الخير لا تَزُلْ عنها: فإنْ كنتَ والياً أَثْبُتْ على ولايتك، وإن كنتَ عَزباً أثبت على ذلك وإن كنت ذا زوجةٍ فلا تُطَلّق، وأثبت على ذلك مع أهلك، واشرعْ في العمل بتقوى الله في الحالة التي أنت عليها من الخير كانت ما كانت، فإن لله في كل حال بابَ قربةٍ إليه تعالى، فاقرعْ ذلك البابَ يفتحْ لك ولا تَحْرِمْ نفسك خَيره. وأقلُّ الأحوال أنك في الحال التي كنت عليها في زمان مخالفتك، إذا ثَبَتَّ عليها عند توبتك تَحمدُك تلك الحالةُ عند الله، فإن فارقتها كان عليكَ لا لك، فإنها ما رأتْ منك خيراً، وهذا معنى دقيقٌ لطيفٌ لا يتنبه له كلُّ أحد، فإنهاو لا تشهد لك إلاّ بما رأته منك، فإذا رأتْ منك خيراً شهدت لك به، ولا يَفُتْكَ ما ذكرتهُ لك من نيل ما فيها من الخير المشروع - وأعني بذلك كلّ حالٍ أنت عليها من المباحات - فإنّ توبتك إنما كانت رجوعَكَ عن المخالفات، وإياك أن تتحرك بحركةٍ إلاّ تنوي بها قربةً إلى الله تعالى حتى المباحِ، إذا كنت في أمر مباحٍ فانوِ فيه القربةَ إلى الله من حيث إيمانُك به أنه مباحٌ، ولذلك أتيتَه فتؤجرُ فيه ذلك ولا بدّ، حتى المعصيةُ إذا أتيتها انوِ فيها أنها معصيةٌ فتؤجر على الإيمان بها أنها معصية، ولذلك لا تَخْلُص معصيةٌ لمؤمن أبداً من غير أن يُخالطها عملٌ صالح - وهو الإيمانُ بكونها معصيةٌ - وُهُم الذين قال الله فيهم: **{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا}**[114] فهذا معنى المخالطة، فالعمل الصالح هنا: الإيمان بالعمل الآخَر السيء أنه سيءُ و[عسى] من الله واجبةٌ فيرجعُ عليهم بالرحمة فيغفرُ لهم تلك المعصيةَ بالإيمان الذي خُلطَ بها، فَمُتعلَّقُ [عسى] هنا رجوعُه سبحانه عليهم بالرحمة، لا رجوعهم إليه، فإنه ما ذكر لهم توبةً، كما قال في موضع آخر: **{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}**[115] وهنا جاء بحكم آخر، ما فيه ذكرُ توبتهم بل فيه توبةُ الله تعالى عليهم.

والذي أوصيك به أنك لا تَنْقُلْ مجلساً ولا تبلّغ ذا سلطان حديثاً إلاّ خيراً، خَرّج الترمذي حديثاً عن حذيفة أو غيره - أنا الشاك - أنّ رجلاً مَرّ عليه، فقيل له عنه: إن هذا يبلغ الأمراءَ الحديث فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: [لا يدخلُ الجنة قَتّاتٌ] قال أبو عيسى[116]: والقتّاتُ النمامُ. وإذا حدّثك إنسانٌ وتراه يلتفتُ يميناً وشمالاً يحذر أن يسمع حديثه أحدٌ فاعلم أنّ ذلك الحديث أمانةٌ أودعك إياها، فاحذر أن تخونه في أمانته بأن تُحدّثَ ذلك عند أحدٍ فتكونَ ممن أدّى الأمانة إلى غير أهلها فتكون من الظالمين، وقد ثبتَ أنّ المجالسَ بالأمانة. وأما وصيتي لك أن لا تبلّغ ذا سلطان حديثاً بشرٍ فإن ذلك نميمةٌ قال الله تعالى في ذمة: **{مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}**[117] ذمه بذلك.

وصية: فعل الخيرات وترك المنكرات

الحذرَ الحذر من الطعن في الأنساب فلا تَحُل بين شخص وبين أبيه صاحبِ الفراش، فإن ذلك كفر بنص الشارع، وعليك بمراعاة الأوقات في الدعاء مثل الدعاء عند الأذان، وعند الحرب، وعند افتتاح الصلاة، فإن المطلوب من الدعاء إنما هو الإجابة فيما وقع السؤالُ فيه من الله، وأسبابُ القبول كثيرة، وتنحصر في الزمان، والمكان، والحال، ونفس الكلمة التي تذكر الله بها من الذكر حين تدعوه في مسألته، فإنه إذا اقترن واحد من هذه الأربعة بالدعاء أجيب الدعاء، وأقوى هذه الأربعة: الاسم ثم الحال. وعليك بمراعاة حقِ الله وحقِ الخلق إذا توجه لهم عليك حق، فإن الله يؤتيك أجرك مرتين من حيث ما أديته من حقه، ومن حيث أديت من حق مَنْ تعيّن عليك له حقٌ من خلق الله، وإن كانت لك جارية فأدّبتها وأحسنت أدبها فإن لك في ذلك أجراً عظيماً، ثم إن أعتقتها فلك في العتق الأجرُ العظيم العام لذاتك، فإن تزوجت بها فلك في ذلك أجرٌ آخر أعظم من أنك لو تزوجت بغيرها، وإذا رأيت عازباً فأعِنْه بطائفةٍ من مالك، وكذلك المكاتب، وكذلك الناكح يريد بنكاحه عصمة دينه والعفاف، فإنك إذا فعلت ذلك وأعنتهم فإنك نائب الله في عونهم، فإن عون هؤلاء حقٌ على الله بنص الخبر، فمن أعانهم فقد أدّى عن الله ما أوجبه الله على نفسه لهم، فيكون الله يتولى كرامته بنفسه، فما دام المجاهد في سبيل الله مجاهداً بما أعنته عليك فإنك شريكه في الأجر، ولا يُنقصه شيء، وكذلك إعانة الناكح حتى إنه لو وُلد له ولد وكان صالحاً فإن لك في ولده وفي عقبه أجراً وافراً تجده يوم القيامة عند الله وهو أعظمُ من المكاتب والمجاهد، فإن النكاح أفضلُ نوافل الخيرات وأقربه نسبةً إلى الفضل الإلهي في إيجاد العالَم، ويَعْظُم الأجر بعِظَم النسب. واعلم أن الإنسان مجبولٌ على الفاقة والحاجة، فهو مجبول على السؤال، فإن رزقك الله يقيناً فلا تسأل إلاّ الله تعالى في طلب نفعٍ يعود

عليك، أو دفعِ ضررٍ نزل بك، فإذا سألك أحد بالله لا بقرابة ولا بشيء غير الله عز وجل فأعطه مسألته بحيث لا يعلم بذلك أحدٌ إلاّ هو خاصة، فلا بدّ لك في مثل هذه الأعطية أن تُعَرِّفها له فإنه ينجبر في نفسه ما انكسر منها عند سؤاله، فإذا لم يعلم أن سؤاله نفعَ انكسر، فلا بد أن تجيبه إلى مسألته على علم منه، فإن علمت بحاله من غير سؤال منه فمِثْلُ هذا تعمّل أن تعطيه مسألته بالحال من غير أن يعلم أنك أعطيته، فإنه يخجل بلا شك، ولا سيما إنْ كان من أهل المروءات والبيوت، وممن لم تتقدم له عادةٌ بذلك، وفرّق بين الحالتين فإن الفرق بينهما دقيقٌ، فإن السائل الأول يخجل إذا لم يعلم أنك أعطيته، والثاني يخجل إذا علم أنك أعطيته، والمقصودُ رفع الخجل عن صاحب الفاقة.

وعليك بذكر الله بين الغافلين عن الله بحيث لا يعلمون بك، فتلك خلوةُ العارف بربه وهو كالمصلي بين النائمين. وإياك ومنعَ فضل الماء من ذي الحاجة إليه، واحذر من المنِّ في العطاء فإنّ المن في العطاء يُؤذن بجهل المعطي من وجوه منها:

أولاً: رؤيته نفسه بأنه ربُّ النعمة التي أعطى، والنعمة إنما هي لله خلقاً وإيجاداً.

والثاني: نسيانه مِنَةَ الله عليه فيما أعطاه وملّكه من نعمِه، وأحوج هذا الآخر لما في يده.

والثالث: نسيانه أن الصدقةَ التي أعطاها إنما تقع بيد الرحمن لا بيد الآخذ.

والرابع: ما يعود عليه من الخير في ذلك فلنفسه أحسنَ ولنفسه سعى، فكيف له بالمنة على ذلك الآخذ؟

الخامس: أنه ما وصل إليه إلاّ ما هو له، إذ كان له ذلك، ومِنْ رِزْقِه ما أوصله إليه فهو مؤدٍ أمانةً من حيث لا يشعر، فجهله بهذه الأمور كلِّها جعله يمتنُّ بالعطاء على مَنْ أوصل إليه راحة وأبطل عمله، فإن الله يقول: **{لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى}**[118] وقال الله تعالى: **{يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}**[119] وإياك أن تتقدم قوماً وهم يكرهون تقَدُّمَك عليهم في صلاة. وفي غيرها، غيرَ أن هنا دقيقة وهي: أن تنظرَ ما يكرهون منك، فإن كرهوا منك ما كره الشرعُ منك فهو ذاك، وإن كرهوا منك ما أحبّه الشرع منك فلا تبالِ بكراهتهم، فإنهم إذا كرهوا ما أحبَه الشرعُ فليسوا بمؤمنين، وإذا لم يكونوا مؤمنين فلا مراعاة لهم، ولْتقدمْ عليهم شاؤوا أو أبوْا، فمن ذلك الصلاة إذا كنت أقرأ القوم فأنت أحقُ بالإمامة بهم، أو ذا سلطان فإن الله قدّمك عليهم، ومع هذا فينبغي للناصح نفسَه ألا يتصف بصفة

يُكره منها تقدمُه في أمر ديني، وليسعَ في إزالة تلك الصفة عن نفسه ما استطاع. وحافظْ على أداء الصلاة لأول ميقاتها، ولا تؤخرْها حتى يخرج وقتها، وإياك أن تتعبد حراً أو تسترقه بشبهةٍ ولا تَرَ أن لك فضلاً على أحد، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وتعبُّدُ الحرِ على نوعين: إما أن تعتق عبداً ولا تمكنه من نفسه وتتصرف فيه تصرفَ السيد في عبده، وليس لك ذلك إلاّ بإذنه أو إجازته، فإني رأيتُ كثيراً من الناس مَنْ يُعتق المملوكَ ولا يمكّنه من كتابِ عتقه، ويستعبده مع حريته، والسيدُ إذا أعتق عبده مَا لَهُ عليه حكمٌ إلاّ الوَلاء، فإذا أعتقتَ عبداً فلا تستخدمْه إلاّ كما تستخدم الحُرَّ: إمّا برضاه، وإمّا بالإجارة كالحر سواءً فإنه حر، ثبت عن رسول الله ﷺ الوعيدُ الشديد فيمن تَعَبّدَ محرَّره، وفيمن اعتَبد حراً، وفيمن باع حراً فأكل ثمنَه، والذي أوصيك به إذا استأجرت أجيراً واستوفيتَ منه فأعطه حقَه ولا تؤخره.

وصية: شعب الإيمان

إذا كنت جُنُباً ولم تغتسل فتوضأ إن كان لك ماء، وإلاّ فتيمم، وإذا أردت أن تعاود فتوضأ بينهما وضوءاً، أو إذا أردتَ أن تنام وأنتَ جُنُبٌ فتوضأ، وإن لم تكن جنباً فلا تنم إلاّ على طهارة، وإن أردت أن تأكل أو تشرب وأنت جنب فتوضأ، وإياك والتّضَمُّخَ بالخَلُوق، فإن الله لا يقبل صلاةَ أحدٍ وعلى جسده شيء من خَلُوق، وثبت أن الملائكة لا تقربه ولا تَقْرب الجنبَ إلاّ أن يتوضأ، كما أنه قد ثبت أنّ الملائكة لا تقربُ جيفةَ الكافرِ، فإياك أن تُنْزل نفسك بتركِ الوضوء في الجنابة منزلةَ جيفة الكافر في بُعْدِ المَلَك منه، فإنهم المطهرون بشهادة الله في قوله تعالى: {**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**}[120]

يعني بالكتاب المكنون الذي هو صُحفٌ مكرمةٌ مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررَة. وإياك والغدرَ وهو: أن تعطيَ أحداً عهداً ثم تغدر به، فإن رسولَ الله ﷺ قَبِلَ إسلامَ المغيرةِ وَمَا قَبِلَ غدرتَه بصاحبه، مع كون صاحبه كافراً، فكيف حالُ مَنْ يَغْدر بمؤمن؟ فإنّ الله تعالى قد أوعَد على ذلك الوعيدَ الشديدَ، وليس من مكارم الأخلاق ولا مما أباحته الشريعة. وإياك وعقوقَ الوالدين إن أدركْتَهما، فأشقى الناس من أدرك أحدَ والديه ودخل النار، قال سبحانه: {**فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**}[121] وقال في الوالدين إذا كانا كافرَينَ {**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**}[122] وقال: {**أَنِ**

اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ}[123] وارحم الأُمّ وقدِّمها في الإحسان والبر على أبيك، ثبت أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ مَنْ أبرُّ؟ قال له: [أُمك]، ثم قال: مَنْ أبر؟ قال [أُمك] ثلاثَ مرات ثم قال في الرابعة: مَنْ أبر؟ قال له: [أُمك ثم أباك] فقدمَ الأُم على الأب في البر وهو الإحسان، كما قدّم الجارَ الأقرب على الأبعد، ولكلٍ حق. وإن لم يكن لك أم وكانت لك خالة فبرّها بمنزلة الأُم، فإن النبي ﷺ أوصى ببر الخالة، يا أخي وما أوصيتُك في هذه الوصية بشيء استنبطتُه من نفسي، فإني لا أحكم على الله بأمر في حق أحد، فما أوصيتك في هذه الوصية إلاّ بما أوصاك به الله تعالى أو رسوله ﷺ إما مُعَيّناً فأذكره على التعيين، وإما مجملاً فأفصّله لك، غيرَ ذلك ما أقول به. وإياك يا أخي أن تزكي على الله أحداً، فإنه قد نهاك عن ذلك في قوله: **{فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ}** أي أمثالكم: **{هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}**[124] ولكن قُلْ: أحْسِبه كذا أو أظنه كذا كما أمرك به رسولُ الله ﷺ قال (ولا أزكى على الله أحداً) فإنه مِن الأدب مع الله تعالى عدمُ التحكم عليه في خلقه إلاّ بتعريفه وإعلامه، وما هذا من قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}**[125] فإن ذلك تخليةُ النفس وتطهيرُها من مذام الأخلاق وإتيان مكارمها. واعلم أن الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، أدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، وأعلاها: لا إله إلاّ الله، وما بينهما هو على قسمين: عملٍ، وترك أي مأمورٍ به، ومنهيٍ عنه، فالمنهي عنه هو الذي يتعلق به الترك وهو قوله: لا تفعل، والمأمور به هو الذي يتعلق به العمل وهو قوله: افعل: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}**[126] وقال ﷺ: (ما نهيتكم عنه فانتهوا) وأطلق ولم يقيد وقال في الأمر [وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم] فهذا من رحمته ﷺ بأمّته، وهو لا ينطق عن الهوى. فهذا من رحمة الله تعالى بعباده. وأمرهُ بما وجب به الإيمان على نوعين: فرضٍ، ومندوبٍ، والنهي على قسمين: نهي حظرٍ، ونهي كراهةٍ، والفرضُ على نوعين: فرضِ كفاية، وفرضِ عين، وكذلك الواجبُ أقول: فيه واجب موسع، وواجب مضيق، فالواجب الموسع موّسعٌ بالزمان، وموسعٌ بالتخيير وهو الواجب المخّير مثلُ كفارةِ المتَمَتّع[127] فإتيانُ ما يؤتى من هذا كلّه، وترك ما يترك من هذا كله هو الإيمان الذي فيه سعادة العباد، فالبضع والسبعون من الإيمان هو الفرضُ منه مِنْ عملٍ وتركٍ، وأما غيرُ الفرض - كالمندوبات والمكروهات - فيكاد لا ينحصر عندَ حد، فابحثْ عليها في الكتاب والسنة.

فمن شعب الإيمان: الشهادةُ بالتوحيد وبالرسالةِ، والصلاةُ، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والوضوء، والغُسْل من الجنابة، والغُسل يوم الجمعة، والصبر، والشكر، والورع، والحياء، والأمان، والنصيحة، وطاعة أولي الأمر، والذكر، وكفُّ الأذى، وأداءُ الأمانة، ونصرة المظلوم، وترك الظلم، وتركُ الاحتقار، وترك الغيْبة، وترك النميمة، وترك التجسس، والاستئذان، وغض

البصر، والاعتبار، وسماع الأحسن من القول، واتّباعُه، والدفع بالتي هي أحسن، وترك الجهر بالسوء من القول إلاّ من ظلم، والكلمةُ الطيبة، وحفظ الفرج، وحفظ اللسان، والتوبةُ، والتوكل، والخشوع، وتركُ اللغو، والاشتغال بما يعني وترك ما لا يعني، وحفظ العهد، والوفاء بالعُقود، والتعاونُ على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان، والتقوى، والبر، والقنوت، والصدق، وترك الكذب، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين، وترك إفساد ذات البين، وخفضُ الجناح، واللين، وبر الوالدين، وترك العقوق، والدعاء، والرحمة بالخلق، وتوقيرُ الكبير، ومعرفة شرفه، ورحمةُ الصغير، والقيامُ بحدود الله، وترك دعوى الجاهلية، فإنّ النبي ﷺ يقول: [دَعُوها فإنها مُنْتِنة] والتوددُ إلى الخلق، والحبُّ في الله، والبغضُ في الله تعالى، والتؤدة، والحلم، والعفاف، والبذاذة وترك التدابر[128]، وترك التحاسد، وترك التباغض، وترك التناجش[129]، وترك شهادة الزور، وترك قول الزور، وتركُ الهمز واللمز[130]، وشهود الجماعات، وإفشاء السلام، والتهادي، وحسن الخلق، والسمت الصالح، وحسن العهد، وحفظ السر، والنكاح والإنكاح، وحب الفال، وحب أهل البيت، وترك الطيرة، وحب النساء، وحب الطيب، وحب الأنصار، وتعظيم الشعائر، وتعظيم حرمات الله، وترك الغش، وترك حمل السلاح على المؤمن، وتجهيز الميت، والصلاةُ على الجنائز، وعيادة المريض، وإماطة الأذى، وأن تحبّ لكل مؤمن ما تحبُّ لنفسك، وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليك مما سواهما، وأن تكره أن تعود في الكفر، وأن تؤمن بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وبكل ما جاءت به الرسل من عند الله إلى ما لا يحصى كثرة ويأتي إن شاء الله من ذلك في هذه الوصية ما يذكرني الله به ويجريه على خاطري وقلبي، ومَنْ تتبع كتابَ الله وحديثَ رسول الله ﷺ يجدُ ما ذكرناه وزيادةً مما لم نذكره، وكلٌّ ما ورد فله أوقاتٌ تخصه، وأمكنة ومَحالّ وأحوال، والجامعُ للخير كله في ذلك أن تنوي في جميع ما تعمله أو تتركه القربة إلى الله بذلك العمل أو الترك، وإن فاتتك النيةُ فاتك الخير كله، فكثيرٌ ما بين تاركٍ بنية القربة إلى الله من حيث إن الله أمره بترك ذلك، وبين تاركٍ له بغير هذه النية، وكذلك في العمل: **{وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ}**[131].

والإخلاص هو: النية، والعبادةُ عمل وترك، والإخلاص مأمور به شرعاً.

وصية: التخصيص في الدعاء

إذا كنتَ إمام قوم فدعوتَ فلا تَخُصّ نفسك بالدعاء دونهم، فإنك إن فعلت ذلك فقد خُنْتَهم، وفيه من مَذام الأخلاق تبخيلُ الحق، وتحجيرُ الرحمة التي وسعتْ كلَّ شيء، وإيثار نفسك على غيرك، فإن الله ما مدح في القرآن إلاّ مَن آثر على نفسه، سمع رسولُ الله ﷺ رجلاً من الأعراب يقول: [اللهم ارحمني ومحّمداً ولا ترحم معنا أحداً] فقال رسول الله ﷺ [لقد حَجَر هذا واسعاً] يريد قوله تعالى: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}**[132] والذي أوصيك به: إياك أن تصلي وأنت حاقن حتى تخفف، وإذا حضر الطعامُ وأقيمت الصلاةُ فابدأ بالطعام ثم تصلي بعد ذلك إن كنت ممن يتناوله قبل الصلاة فحينئذٍ تفعل ذلك، وارغب في دعاءِ الوالدين ودعاء المسافر، واتّق دعوَة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ، وعليك بالاستحداد وهو: حلق العانة، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، ورد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي. وعليك بالعدل في أمورك كلها، والمحافظةِ على عبادة الله، وكسر الشهوتين، وتعاهدِ المساجد للصلاة، والبكاء من خشية الله، والاعتصام بحبل الله، وعليك بمحابِّ الله ومراضيه فاتّبعها ومنها: تعاهدُ المساجد، وعليك بصيام داود عليه السلام فهو أحبُّ الصيام إلى الله وأفضله وأعدله وهو: صيامُ يومٍ وفِطْرُ يومٍ، وقد ذكرناه ما يختص من الأسرار والفوائد بالصوم في باب الصوم من هذا الكتاب[133] وكذلك في الطهارة والصلاةِ والزكاةِ والحج فلتنظر هناك. وأحب الصلاة إلى الله تعالى بالليل صلاةُ داود كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وذلك هو التهجد. وإن كان لك ولد فَسَمّه عبدَ الله أو عبدَ الرحمنِ وكَنَهِ أبا محّمد أو كنه بأبي عبد الله أو بأبي عبد الرحمن، وإذا عملت عملاً من الخير فداومْ عليه، وإن قَلّ فهو أفضل، فإن الله لا يمل حتى تملوا، فإن في قطع العمل وعدم المداومة عليه قطعَ الوصل مع الله، فإن العبد لا يعمل عملاً إلاّ بنية القربة إلى الله، وحينئذٍ يكون عملاً مشروعاً فمتى تركه فقد ترك القربة إلى الله، ومن أراد أنه لا يزال في حال قربة من الله دائماً فعليه بالحضور الدائم مع الله في جميع أفعاله وتروكه، فلا يعمل عملاً إلاّ وهو به مؤمن بما لله فيه من الحِكَم، ولا يترك عملاً إلاّ وهو مؤمن بما في تركه من الحكم لله، فإذا كان هذا حاله فلا يزال في كل نَفَس مع الله وهو الذي يحرّم ما حَرّم الله ويُحلُّ ما أحل الله ويكْره ما كره الله ويبيح ما أباح الله، فهو مع الله في كل حال. واحذر من الإلحاد في آيات الله، ومن الإلحاد في حَرَم الله إن كنت فيه، والإلحادُ: الميلُ عن الحق شرعاً ولذلك قال: **{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ}**[134] فذكر الظلم. وعليك بأفضل الصدقات، وأفضل الصدقات ما كان عن

ظهر غنىً، أي تستغني بالله عن ذلك الذي تعطيه وتتصدق به وإنْ كنت محتاجاً إليه، فإن الله مدح قوماً فقال: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}**[135] وذلك أنهم لم يؤثروا على أنفسهم مع الخصاصة حتى استغنَوْا بالله، فإن نزلتَ عن هذه الدرجة فلتكن صدقتُك بحيث أن لا تتبعَها نفسك فلتُغْنِ أولاً نفسك بأن تطعمها، فإذا استغنيتَ عن الفاضل فتصدقْ بالفضل، فإنك ما تصدقت إلاّ بما استغنيت عنه، وتلك هي الصدقة عن ظهر غنى في حق هذا، والأول أفضل. وعليك بصيام رجبَ وشعبان فإن قدرت على صومهما على التمام فافعل فإنه ورد [أفضلُ الصيام بعد شهر رمضان صيامُ شهر الله المحرم وهو رجب] وإنه يقال له: شهرُ الله، وهذا الاسم له دون الأشهر كلها، وكان رسول الله ﷺ يُكثر صيام شعبان يقول الراوي: ربما صامه كلَّه. وحافظ على صوم سَرَرِه[136]، ولا يفوتنك إن فاتك صومه، وأفطر السادس عشرَ من شعبان ولا بد، حتى تخرج من الخلاف فإنه أولى، فإن فطره جائز بلا خلاف، وصومه فيه خلاف، فإن رسول الله ﷺ قال: [إذا انتصف شعبان فأمسكوا عن الصوم]. وعليك بقول الحق في مجلس من يُخاف ويُرجى من الملوكأ ولا يَعْظم عندك على الحق شيء إلاّ ما أمرك الله بتعظيمه، وعليك بعمل البر في يوم النحر فإنه أعظمُ الأيام عند الله، ورد في ذلك خبر نبوي فأكثرْ فيه من ذكر الله ومن الصدقَة، وكل فعل فيه لله رضىً وتَقْدِر عليه في هذا اليوم فلا تتخلف عنه أفضل من يوم عرفة ويوم عاشوراء، وفيه خير كما قلنا. أعطِ كلَّ ذي حقٍ حقَّه حتى الحقَ أعطِهِ حقَّه، ولا تَرَ أن لك على أحد حقاً فتطلُبَه منه فأنصف من نفسك ولا تطلب النصف[137] من غيرك واقبل العذر ممن اعتذر إليك، وإياك والاعتذار فإن فيه سوءَ الظن منك بمن اعتذرت إليه، فإن علمت أنّ في اعتذارك إليه خيراً له وصلاحاً في دينه فاعتذر إليه في حقه من غير سوءِ ظنٍ به بل قضاءُ حقٍ له تعيّن عليك، وأحق الحقوق حقٌ الله تعالى.

وصية: أقرب ما يكون العبد من الله

وعليك بكثرة الدعاء في حال السجود فإنك في أقرب قربة إلى الله لِما ثبت من قوله ﷺ: [أقربُ ما يكون العبدُ من ربّه وهو ساجدٌ فأكثروا الدعاء] ولا قُربَ أقربُ من قربِ السجود ولا دعاءَ إلاّ في القرب من الله، فإذا دعوتَ في السجود فادعُ في دوام الحال الذي أوجبَ لك القربَ المطلوبَ من الله فإنك تعلم أنه قريبٌ من خلقه، وهو معهم أينما كانوا. والمطلوب أن يكون العبدُ قريباً من الله، وأن يكون مع الله في أي شأن يكون الله فيه، فإن الشؤون لله، كالأحوال للخلق بل هي عين أحوال الخلق التي هم فيها. وعليك بصلة أهل وُدِّ أبيك بعد موته، فإن ذلك من أبرّ البر، ورد في

الحديث: [إنّ من أبر البر أن يَصِلَ الرجلُ أهْل وُدِّ أبيه] وإن ذلك من أحب الأعمال إلى الله وهو الإحسان إليهم والتوددُ بالإحسان والخدمة، وبما تصل إليه يدك من الراحات، والسعي في قضاء حوائجهم. وعليك بالتلطف بالأهل والقرابة ولا تعاملْ أحداً من خلق الله إلاّ بأحب المعاملة إليه ما لم تُسْخِطِ الله فإن أرضاه ما يُسخط الله فأرض الله، وابدأ بالسلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف، فإن عرفت مِن الذي تلقاه أنه يسلم عليك فاتركه يبدأ بالسلام، ثم تردُّ عليه فيحصل لك أجرُ الوجوب، فإنّ ردَّ السلام واجب والابتداء به مندوب إليه. وأحبُّ ما يُتقرب به إلى الله ما افترضه على خلقه، وإذا علمت من شخص أنه يكره سلامك عليه وربما تؤديه تلك الكراهةُ إلى أنه لو سلمت عليه لم يَردَّ عليك السلام فلا تسلم عليه إيثاراً له على نفسك وشفقةً عليه، فإنك تحول بينه وبين وقوعه في المعصية إذا لم يردَّ عليك السلام، فإنه يترك أمرَ الله الواجبَ عليه، ومن الإيمان الشفقةُ على خلق الله فبهذه النية اتركِ السلامَ عليه، وإن علمت من دينه أنه يردُّ السلام عليك فسلِّم عليه، وإن كره، واجهر بالسلام عليه وابدأ به، فإنك تُدخل عليه ثواباً برد السلام وتُسقط من كراهته فيك بسلامك عليه بقدر إيمانه ونفسِه الصالحة إن كان ممن جُبل على خُلُقٍ حسن. وعليك بالنظر إلى من هو دونَك في الدنيا ولا تنظر إلى أهل الثروة والاتّساع خوفاً من الفتنة فإن الدنيا حُلْوةٌ خَضرةٌ محبوبةٌ لكل نفس، فإن النعيم محبوبٌ للنفوس طبعاً، ولولا النعيمُ الذي يجده الزاهد في زهده ما زهد، والطائع في طاعته ما أطاع، فإن أخوف ما خافه رسولُ الله ﷺ علينا ما يُخرج الله لنا من زهرة الدنيا قال الله تعالى لنبيه: **{وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}**[138] ثم حبب إليه رزق ربه الذي هو خير وأبقى، وهو الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت هو رزق ربه الذي رزقه، فإنه تعالى لا يُتّهم في إعطائه الأصلح لعبده، فما أعطاه إلاّ ما هو خير في حقه وأسعد عند الله وإن قلّ، فإنه ربما لو أعطاه ما يتمناه العبد طغى وحال بينه وبين سعادته، فإن الدنيا دارُ فتنة، وإذا كان لأحدٍ عندك دينٌ وقضيته فأحسنِ القضاءَ وزِدْه في الوزن وأرجح تكنْ بهذا الفعلِ من خير عبادِ الله بإخبار رسول الله ﷺ فهو من السنة وهو الكرم الخفي اللاحق بصدقةِ السر، فإذا المعطى إياه لا يشعر بأنه صدقة، وهو عند الله صدقة سر في علانية، ويورث ذلك محبةً ووداً في نفس الذي أعطيته، وتُخْفي نعمتك عليه في ذلك، ففي حسن القضاء فوائدُ جمة. وعليك يا أخي بالذبّ والدفع عن أخيك المؤمن من عِرْضه ونفسِه وماله، وعن عشيرتك بما لا تأثمُ به عند الله، فلا تبرحْ من يدك ميزان مراعاةِ حقِ الله في جميع تصرفاتك، ولا تتبعْ هواك في شيء يُسخط الله فإنك لا تجدُ صاحباً إلاّ الله، فلا تُفَرّط في حقه، وحقُّه أحقُ الحقوق وأوجبُها علينا، كما ثبت [حقُّ الله أحقُّ أن يُقْضى].

وإن عزمت على نكاح فاجْتهَد في نكاح القُرَشِيْات، وإن قدرت على نكاح مَنْ هي من أهل البيت فأعْظَمُ وأعظمُ، فإنه قد ثبت [إن خيرَ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل نساءُ قريش] وعاشِرْهُن بالمعروف، واتقِ الله فيهن، وأحق الشروط ما استحللتَ به فروَجهُن، وأحسن إليهن في كل شيء. وإياك أنْ تعذب ذا روح إذا كان في يدك، حتى الأُضحيةَ إذا ذبحتها فَحدَّ الشفرَة وأسرع وأرِحْ ذبيحتك، وادفعِ الألم عن كلّ ما يتألم جَهْدَ استطاعتك كان ما كان الألم الحسي من كل حيوان وإنسان ومن النفسي ما تعلم أنه يرضي الله، واعلم أنه مما يرضي الله ما أباحه ذلك أن تفعله. وإذا رأيت أنصارياً من بني النجار فقدّمه على غيره من الأنصار مع حبّك جميعَهم، وعليك بأحسن الحديث وهو: كتابُ الله فلا تزال تالياً إياه بتدبرٍ وتفكر عسى الله أن يرزقك الفهمَ عنه فيما تتلوه، وَعَلِّمِ القرآن تكنْ نائبَ الرحمنِ فإن الرحمنَ علّم القرآنَ خلق الإنسان علمه البيان وهو القرآن فإنه قال فيه: {**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**}[139]

فَعِلْمُ القرآن قبل الإنسان أنه إذا خُلق الإنسان لا ينزل إلاّ عليه، وكذلك كان فإنه نزل به الروح الأمين على قلب محّمد ﷺ، وهو ينزل على كلِ قلبِ تالٍ في حال تلاوته، فنزوله لا يبرح دائماً، فَعَلَّمَ الله القرآن كما عَلَّم الإنسان القرآن فخيركم مَنْ تعلم القرآن وعَلّمه، واتق شُحَّ الطبيعة فإن المفلح عند الله مَنْ يُوقى شُحّ نفسه، وكن شجاعاً مقداماً على إتيان العزائم التي شرع الله لك أن تأتيها فتكن من أولي العزم، ولا تكن جباناً فإن الله أمرك بالاستعانة به في ذلك، وإذ كان الله المعينَ فلا تبال، فإنه لا يقاومه شيءٌ بل هو القادر على كل شيء فما ثَمّ مع الإعانة الإلهية قوةٌ تقاوم قوةَ الحق، فإن الله يقول فيمن سأله الإعانة في الخبر الصحيح: [فإذا قال العبدُ: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة - وهدايتُه من معونته - يقول الله هؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل] وخبره صدق وقد قال: [ولعبدي ما سأل] فلا بدّ من إعانته، ولكنْ هنا شرطٌ لا يغفلُ عنه العالِم: إذا تلا مثل هذا لا يتلوه حكايةً فإن ذلك لا ينفعه فيما ذهبنا إليه وفيما أُريد له، وإنما الله تعالى ما شرع له يقرأ القرآن ويذكره بهذا الذكر إلاّ ليعلّمه كيف يذكره فيذكره ذكرَ طلبٍ واضطرارٍ وافتقارٍ وحضورٍ في طلبه من ربه ما شرع له أن يطلبه، فذلك هو الذي يجيبه الحق إذا سأله، فإن تلا حكاية فما هو سائل، وإذا لم يسأل وحكى السؤال فإن الحقُ لا يجيب مَنْ هذه صفتُه، ولا جَرَمَ أن التالين الغالبُ عليهم الحكايةُ لأنه لا ثمرة عندهم، فهم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيَهم، وقلوبُهم لاهيةُ في حال التلاوة وحال سماعه، فإذا رأيتَ من يُقْدم على الشدائد في حق الله فاعلم أنه مؤمن صادق، وإذا رأيته قويّ العزم في دين الله وفي غير

دين الله فيعلم أنه قوي النفس لا قوي الإيمان بالإصالة، فإن المؤمن هو القوي في حق الله خاصة، الضعيفُ في حق الهوى، لا يساعدُ هواه في شيء، إذا جاءه الهوى النفسي يطلب منه أن يعينه في أمرٍ ما، يُريه من الضعف والخوفِ ما يقطع به يأسه، فيقمع الهوى إذ لا يجد معونة من قبول المؤمن عليه، فيعصِم جوارحه من إمضاء ما دعاه إليه الهوى وسلطانُه، فإذا جاء وارد الإيمان وجد عنده من القوة والمساعدة بالله ما لا يقاومه شيءٌ، فإن الله هو المعين له، فإن الإنسان خُلق هلوعاً من حيث إنسانيتُه، وإن المؤمن له الشجاعة والإقدام من حيث ما هو مؤمن، كما حُكي عن بعض الصحابة - وأظنه عمْرو بنَ العاص - أن رسول الله ﷺ أخبره أنه لا بدّ له أن يلي مصر فحضر في حصار بلد فقال لأصاحبه: اجعلوني في كفّة المِنْجَنيق وارموني إليهم، فإن حصلت عندهم قاتلتُ حتى أفتحَ لكم بابَ الحِصن، فقيل له في ذلك، فقال: إن رسول الله ﷺ ذَكَر لي أني ألي مصر، وإلى الآن ما وَليتها ولا أموتُ حتى أليَها، فهذا من قوة الإيمان، فإن العادة تعطي في كل إنسان أن شخصاً إذا رُمي في كِفّة المنجنيق أنه يموت فالمؤمنُ أقوى الناس جأشاً، ومن أسمائه تعالى المؤمن، وقد ورد أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشدُّ بعضه بعضاً من كونه مؤمناً، فالمؤمن المخلوقُ يستعين بالمؤمن الخالقِ فيشدُّ منه ويُقَوّي ما ضعف عنه من كونه مخلوقاً، فإن الله خلقه من ضعفٍ ثم جعل مِنْ بعد ضعفٍ قوةً، فهي بشارة وذلك إن كانت قوةُ الشباب تفسيراً فهي قوة الإيمان بما أمَرَ من الإيمان به تنبيهاً فاعلم.

وصية: العبودية في ذات العبد

كن فقيراً من الله كما أنت فقيرٌ إليه فهو مثل قوله ﷺ: [وأعوذُ بكَ منك] ومعنى فقرك من الله: أن لا يشمّ منك رائحةً من روائح الربوبية بل العبودية المحضَة، كما أنه ليس في جناب الحق شيء من العبودية، ويستحيل ذلك عليه فهو ربٌ محض، فكن أنت عبداً محضاً، فكن مع الله بقيمتك لا بعينك، فإن عينك عليه روائحُ الربوبية بما خلقك عليه من الصورة فتتصرف بالدعوى، وقيمتك ليست كذلك، بهذا أوصاني شيخي وأستاذي أبو العباس العريني رحمه الله، فلقيمتك التصرفُ بالحال لا بالدعوى، فكن أنت كذلك، فمتى قالت لك نفسُك: كن غنياً بالله فقد أمرتْكَ بالسيادة، فقل لها: أنا فقير إلى الله وإلى ما أفقرني الله إليه، حتى إن الله قد أفقرني إلى الملح أن يكون في عجيني.

وصية: المرابطة لكل خير

عليك بالرِّباط فإنه من أفضل أحوال المؤمن، فكل إنسان إذا مات يُختم له على عمله إلّا المرابط فإنه ينمو له إلى يوم القيامة، ويأمن فَتَّاني القبر، ثبت هذا عن رسول الله ﷺ. والرباط بأن يُلزم الإنسانُ نفسَه طاعةَ الله دائماً من غير حدٍ ينتهي إليه أو يجعله في نفسه، فإذا ربط نفسه بهذا الأمر فهو مرابطً، والرباط: في الخير كله، ما يُختص به خيرٌ من خير، فالكل سبيلُ الله فإن سبيل الله ما شرعه الله لعباده أن يعملوا به، فما يختص بملازمة الثغور فقط، ولا بالجهاد فإن رسول الله ﷺ قال في انتظار الصلاة بعد الصلاة: إنه رباط، والله تعالى يقول في كتابه للمؤمنين: {**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ**}[140] يعني في ذلك كلِّه أي اجعلوه سبحانه وقاية تتقون به هذه العزائم، وذلك معونتُه في قوله: {**اسْتَعِيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ**}[141] {**اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ**}[142] وقوله: تعالى: {**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**}[143] فهذا معنى {**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}[144] أي تكون لكم النجاةُ من مشقة الصبر والرباط. وينبغي لك إذا ناجيتَ رسولَ الله ﷺ وذلك زمانَ قراءتك الأحاديثَ المرويةَ عنه ﷺ، أنْ تُقَدّم بين يدي نجواك صدقةً أيَّ صدقةٍ كانت، فإن ذلك خيرٌ كله، وتَطَهّرْ بهذا أُمرت، فإن الصدقات التي نصّ الشرع عليها كثيرةٌ، ولذلك ورد أنه يصبح على كل سلامَى منا صدقة في كل يوم تَطْلُع فيه الشمس، ثم أخبر رسول الله ﷺ أن كلْ تهليلةٍ صدقةٌ، وكلّ تكبيرة صدقة، وكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وأمرٌ بمعروف صدقة، ونهيٌ عن منكر صدقة، فانظر حالَك عندما تريدُ قراءةَ الحديث النبوي، وهي التي بقيت في العامة من مناجاة رسول الله ﷺ، فالذي يُعَيِّنُ لك حالك عند ذلك من الصدقات تقدمها بين يدي قراءتك الحديثَ كانت ما كانت، فقد أوسع الله عليك في ذلك فلم يَبْقَ لك عذرٌ في التخلف بعد أن أعلمك ﷺ بأنواع الصدقات، فقدّم منها بين يدي نجواك ما أعطاه حالُك بلغ ما بلغ، وحينئذٍ تَشرعُ في قراءة الحديث النبوي. وإياك أن تُحشَر يومَ القيامة مع المصورين الذين يصورون ذوات الأرواح من الحيوانات، فإنك إن صورت صورة من صور الحيوانات تبعها روحُها من عند الله من حيث لا تشعر بذلك في الدنيا، فإذا كان في الآخرة يجعل الله لكل مُصَوّر في النار لكل صورة صَوّرَها نفساً تعذبه في نار جهنم، فإن الخلق من اختصاص الله، فَمَنْ نازعه في خلقه فإنه يعذبه بما خلق من ذلك، والخلق لله لا لهم إذ لم يكن بإذن الله كخلق عيسى عليه السلام الطيرَ من الطين بإذن الله ونَفَخَ فيه الروحَ بإذن الله، فلو أذن الله للمُصَوّر في ذلك لكان طاعةً فعلُ ذلك، فاعلم أن كل نفس يوم القيامة بما كسبت رهينة.

وصية: من كفّر مؤمناً

واحذر أن تُكَفّر أحداً من أهل القبلة بذنب، فقد ثبت أنه من قال لأخيه: كافرٌ فقد باء بها أَحدُهما: إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه، ومعنى الرجوع عليه: أنه هو الكافر فإنه مَنْ كَفّر مسلماً لإسلامه فهو كافر يقول الله تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ}**[145] فقال الله فيهم: **{أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ}**[146] والسفيه: هو الضعيفُ الرأي، يقولون: إنهم ما آمنوا إلاّ لضعف رأيهم وعقلهم، فجاز ذلك عليهم لقول الله: **{أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ}** أي: هُم الذين ضَعُفت آراؤهم، فَحالَ ذلك الضعفُ بينهم وبين الإيمان: **{وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ}** فَتَحفّظْ من الكلام القبيح وهو: أن تنسب صفةً مذمومة لأخيك المؤمن وإن كانت فيه لا في حضوره ولا في غيبته، فإنك إذا واجهته بذلك فقد عيرّته فما تأمنُ أن يعافيه الله من تلك الصفة ويبتلَيك بها، وقد ورد [لا تُظْهِر الشماتةَ بأخيك فيعافيه الله ويبتليَك] وإن كان غائباً فهي غِيْبَة، وقد نهاك الله عن الغيبة، فإنك إذا ذكرته بأمر هو فيه مما يسوؤه لو قابلته به فقد اغتبته، وإن نسبت إليه القبيح مما ليس فيه فذلك البهتانُ، ولا بّد أن تجني ثمرةَ غرسِك إلاّ أنْ يعفوَ الله بإرضاء الخصم فيعودُ عليك وبالُ ما نسبتَه إلى أخيك المؤمن مما ليس هو عليه. وكذلك خداعُ المؤمن فلا تكن ممن يخادعُ الله فإنك إن اعتقدتَ ذلك كنت من الجاهلين بالله حيث تَخَيّلتَ أنك تُلبِّس على الحق، وظننتَ أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون: **{وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**[147] وإن خادعت أخاك المؤمن فما تخادع إلا نفسك كما قال تعالى: **{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}**[148] في خداعهم الذين آمنوا، ولو كانوا مؤمنين بغير الحق فإنهم مؤمنون أيضاً بالباطل قال تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**[149] فوصفهم بالإيمان بالباطل، وقال في حديث الأنواء فيمن قال: مُطِرنا بَنوْء كذا [إنه كافرٌ بي مؤمن بالكواكب] فهذا قوله: **{وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ}**[150] في خداعهم الذين آمنوا، وأما في خداعهم الله فإن الله هو خادعُهم بكونهم اعتقدوا أنهم يُخادِعون الله. وإياك والجهلَ فإنه أقبحُ صفة يتصف بها الإنسان، فإن كنت يا ولي ذا زوجةٍ فأوصها بل «لا» تتركْها ولا أُختاً ولا بنتاً أيَّ امرأة كانت ممن تحكُم عليها أو تعلمُ أنها تسمع منك، أو أيّ امرأة تعرَضتْ لك فانصحها كانت من كانت أَن لا تَسْتَعطرَ إذا خرجتْ بِطيْبٍ يكون له ريح، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ قال: [أَيما امرأةٍ اسْتَعْطَرتْ على قوم لِيَجِدوا رِيحَها فهي زانيةٌ] وقد ورد مقيَّداً في ذلك: [أيما امرأةٍ أصابت بَخُوراً فلا تشهد معنا العشاءَ الآخرة] وذلك أن الليل آفاتُه كثيرة والظلمةُ ساترة، وما تدري إذا أصاب الرجلُ ريَحها الطيِّب في طريق المسجد ما تلقى منه إذا لم يتق الله، فلذلك نهاها رسول الله ﷺ عن شهودِ العشاء الآخرة. وبالحماية فلا ينبغي للمرأة أن تخرج

بطيبٍ له رائحة لا في ليل ولا في نهار. وإياك والاستهزاء والمسخرةَ بأهل الله، فإن الاستهزاء بأهل الله استهزاء بدين الله، ولا تتخذْهم ضحكةً فإن وبال ذلك يعود عليك يوم القيامة فيسخر الله منك ويستهزئ بك، وهو: أن يريك بالفعل جزاءَ ما فعلتَه أنت هنا - أعني في الدنيا - بالمؤمن إذا لقيتَه تقول: أنا معك على طريق الهُزء به والسخرية منه، فإذا كان يوم القيامة يجازيك الله عدلاً بقدْر ما تراءيت به للمؤمنين من الإقبال عليهم والإيمان بما هم عليه أهلُ الله عز وجل، وقد رأينا على ذلك جماعةً من المدرّسين الفقهاء يسخرون بأهل الله المنتمين إلى الله المُخْبرين عن الله بقلوبهم ما يَرِدُ عليه من الله فيها فيأمرُ بمَنْ هذه صفته إلى الجنة حتى ينظر إلى ما فيها من الخير فُيسُّرّون كما يُسَرُّ أهلُ الله في الله حال استهزائهم بهم، ويتخيلون أنهم صادقون فيما يظهرون به إليهم، فإذا وفى الله جزاء عملهم وانفَقَهَتْ[151] لهم الجنةُ بخيرها أمَر الله بهم أن يُصرفوا عنها إلى النار، فذلك استهزاءُ الله بهم، كما أن هؤلاء المنافقون لمّا رجعوا إلى أهليهم قالوا: إنما نحن مستهزؤون، وقال سخروا منه: **{فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ}**[152] كما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين بإيمانهم، وكذلك بعضُ المؤمنين يضحكون من أهل الله في الدنيا ولا سيما الفقهاء إذا رأوا العامة على الاستقامةِ يتحدثون بما أنعم الله عليهم في بواطنهم يضحكون منهم ويُظهرون لهم القبول عليهم، وهم في بواطنهم على خلاف ذلك، أفلا أقَلّ - يا أخي إذا تكن منهم - أن تسلم لهم أحوالهم، فإنك ما رأيتَ منهم ما يُنكره دين الله ولا ما يَردّه العلمُ الصحيح النقلي والعقلي: **{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ}**[153] هكذا والله رأيت فقهاءَ الزمان مع أهل الله يتغامزون عليهم ويضحكون منهم ويُظهرون القبولَ عليهم، وهم على غير ذلك. فاحذر مَنْ هذه صفته لئلا يَسْرقك الطبعُ، فما أعظمَ حسرتهم يوم القيامة، فهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة والحياةَ الدنيا بالآخرة فما ربحتْ تجارتهم وما كانوا مهتدين.

وصية: من يتقي لسانه ويخشى جانبه

واحذر يا أخي أن تكون من شرار الناس فيتقي الناسُ لسانك، فإن من شرار الناس الذين يُكرَمُون اتّقاءَ ألسنتهم، أنت أعرفُ بنفسك في ذلك. أقبل رجلٌ على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ فيه قبل أن يصل إليه، وقد رآه مقبلاً [بئس ابنُ العشيرة] فلما وصل إليه بَشّ في وجهه وضحك له، فلمّا انصرف قالت له عائشة: يا رسول الله: قد قُلتَ فيه ما قلتَ، ثمَ بَشَشْتَ في وجهه: فقال (يا عائشةُ

إن من شرّ الناس مَنْ أكرمَه الناس اتّقاءَ شَره) فاحذرْ أن تكون مِمّن هذه صفتُه فتكونَ من شر الناس بشهادة رسول الله ﷺ. وإن كانت لك زوجةٌ فإياك - إذا أفضيتَ إليها وكان بينك وبينها ما كان - أنْ تَنشر سرّها فإن ذلك من الكبائر عند الله، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ (إن من شر الناس عند الله يوم القيامة الذي يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثن يَنْشُر سِرّها) فذلك من الكبائر. وإياك أن تَسُبّ أبا أحدٍ أو أمّه فيسبَ أباك أو أُمك فذاك من العقوق. وإذا جالست مشركاً فلا تسبَّ من اتخذه إلهاً مع الله، وإذا جالستَ مَنْ تَعْرف أنه في الصحابة من الروافض فلا تتعرضْ ولا تُعرّضْ بذكر أحدٍ من الصحابة الذين تعلم أن جليسك يقع فيهم بشيء من الثناء عليهم، فإن لَجاَجه يجعله أن يقع فيهم، فتكونَ أنت قد عرضتهم بذكرك إياهم للوقوع فيهم، يقول الله **{وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}**[154] ونهى رسول الله ﷺ عن شتم الرجل والديه، فقيل له يا رسول الله: وكيف يَشْتُم الرجلْ والديه؟ فقال ﷺ: [يَسُبُّ أبا الرجل فيسب أباه، ويَسُبَ أُمَّه فيسب أُمه] وإن من الكبائر استطالةَ الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق، هذا هو الثابت عن الرسول الله ﷺ. وعليك بشهود العتمة[155] والصبح في جماعة فإنه مَنْ شهد العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليله، ومن شهد الصبحَ في جماعة فكأنما قام ليله. وعليك بالشفقة على عباد الله مطلَقاً، بل على كلِّ حيوان فإنه في ذي كبدٍ رَطْبَةٍ أجرٌ عند الله تعالى.

وصية: الاجتماع حول السلطان

احذر أن تُرجّح نظَرك على علم الله في خلقه بمن قدمه من الوُلاة في النظر في أُمور المسلمين وإن جاروا، فإن لله فيهم سراً لا تعرفه، وإن ما يدفع الله بهم من الشرور ويُحَصّلُ بهم من المصالح أكثر من جَوْرهم إن جاروا. وهذا كثيراً ما يقع فيه الناس يُرَجّحون نظرهم على ما فعل الله في خلقه، ويأتيهم الشيطان فيعلّق تسفيههم بالذين وَلّوه ويحول بينهم وبين الصحيح من كون الله ولاهم، وينسيهم أمرَ النبي ﷺ أن لا تُخْرج يداً من طاعة، ولا تُنازع الأمرَ أهله، فيُدخِل عليهم الشيطانُ من التأويل في هذه الأحاديث وأمثالها بما يُخْرجهم بذلك من الإسلام، ويُنْسِهم قوله ﷺ: [فإن جاروا فَلَكُم وَعَلَيْهم، وإن عَدَلُوا فَلَكُم وَلَهُم] و[إن الله يَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ[156] بالقرآن] لو لم يكن في هذه المسألة إلاّ اعتراضُ الملائكة على الله تعالى في خلافة آدم عليه السلام لكان كافياً، وقد جعل رسول الله ﷺ من تمام الزكاة أن ينقلب المصدق وهو العامل الذي على الزكاة راضياً عنك وإن ظلمك،

وهذا باب قد أغفله الناس وقد أغلقوه على أنفسهم فما ترى أحداً إلاّ وله في ذلك نصيب ولا يعلم ما فيه عند الله، وقد رأينا على ذلك براهينَ من الله كثيرةً، ومتى ذممت - ولا بَد - فذُمَّ الصفةَ بذم الله ولا تذمَّ الموصوفَ بها إن نصحت نفسك، ومتى حمدت فاحمد الصفة والموصوف معاً فإن الله يحمدك على ذلك.

وصية: معانٍ علوية وسامية نظيفة

أُوصِيتُ بها في مبشِّرة أُرِيتُها سمعتها من كلام الله تعالى بلا واسطة في البقعة المباركة التي كلّم الله فيها موسى عليه السلام من بلّة على قدر الكف كلاماً لا يكَيّف ولا يشْبه كلام مخلوق، عينُ الكلام هو عينُ الفهم من السامع، فمما فهمتُ منه: كُنْ سماءَ وحيٍ وأرضَ يَنبوعٍ، وجبلَ تسكينٍ، فإذا تحركتَ فلتَكن حركةَ إحياء وسيلة بتحريكٍ عن وحيٍ سماوي، ثم وقع في نفسي نَظْمٌ فكنت أنشد:

جَعَلْتَ فيّ الذي جَعَلْتا	**وَقُلْتَ لي: أنتَ قدْ عَمِلْتَا**
وأَنْتَ تَدْري بأنّ كوني	**ما فيه غيرُ الذي جَعَلْتَا**
فَكُلُّ فِعْلٍ تَرّاهُ مِنيّ	**أنْتَ إلهي الذي فَعَلْتَا**

وصية: العمل بما يعظ به العالِم الناس

إذا قلتَ خيراً أو دَللت على خيرٍ فكن أنتَ أولَ عاملٍ به والمخاطب بذلك الخير، وانصحْ نفسك فإنها آكدُ عليك، فإنّ نَظَرَ الخلق إلى فعل الشخص أكثرُ من نظرهم إلى قوله، والاهتداءُ بفعله أعظمُ من الاهتداء بقوله، ولبعضهم في ذلك:

وإذا المقالُ مع الفَعَال وَزَنْتَه	**رَجَحَ الفَعَال وَخَفّ كُلُّ مَقَالِ**

واجهد أن تكون مِمن يُهْتَدى بِهَدْيك فتُلحقَ بالأنبياء ميراثاً، فإن رسول الله ﷺ يقول: [لأَن يَهْتدي بِهُداك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمسُ] يقول الله تعالى في نقصان عَقْل مَنْ هذه

صفته: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}[157] فإذا تلا الإنسان القرآن ولا يرعوي إلى شيء منه فإنه من شرار الناس بشهادةِ رسول الله ﷺ، فإن الرجل يقرأ القرآنَ والقرآنُ يلعنه، ويَلعنُ نفسَه فيه، يقرأُ: {أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}[158] وهو يظلم فيلعن نفسه ويقرأ: {لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}[159] وهو يكذب فيلعنه القرآنُ ويلعن نفسَه في تلاوته، ويمُرُّ بالآية فيها ذم الصفة وهو موصوفٌ بها فلا ينتهي عنها، ويمر بالآية فيها حَمْدُ الصفة فلا يعمل بها ولا يتصف بها، فيكونُ القرآن حجّةً عليه لا له قال ﷺ في الثابت عنه: [القرآنُ حجّةٌ لك أو عليك كلُّ الناس يَغْدُو فَبائِعُ نفسَه فَمُعْتِقُها أو مُوبِقُها] وإذا كنت يا أخي ممن يجلس مع الله يترك الأسباب فَتَحَفّظْ من السؤال، فلا تسألْ أحداً، وإياك أن تقتدي بهؤلاء أصحاب الزنابيل اليوم فإنهم من أدنى الناس همةً وأخسِّهم قدراً عند الله وأكذبهم على الله، فإما يقين صادق، وإما حرفة فيها عِزٌّ نفسك، فإن ذلك خير لك عند الله وقد ثَبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: [لأن يَحْتزم أحدْكم حزمة من حطب على ظهره خيرٌ له من أن يسأل رجلاً] وفي حديث: [أعطاه أو منعه] فإما يقين صادق، وإما شغل موافق.

وصية: إكرام الضيف وآداب إسلامية

عليك بإكرام الضيف فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: [مَنْ كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفه] فإن كان الضيف مقيماً فثلاثةُ أيامٍ حقُّه عليك، وما زاد فصدقة، وإن كان مجتازاً فيومٌ وليلة جائزته، ولشيخنا أبي مدين في هذه المسألة حكاية عجيبة: كان ؓ يقول بترك الأسباب التي يُرْزَق بها الناس، وكان قويَّ اليقين، وكان يدعو الناس إلى مقامه والاشتغال بالأهم من عبادةِ الله، فقيل له في ذلك، أي في ترك الأسباب والأكلِ من الكسب وأنه أفضلُ من الأكل من غير الكسب، فقال ؓ: ألستم تعلمونَ أن الضيف إذا نزل بقومٍ وجب - بالنص عليهم - القيامُ بحقه ثلاثة أيام إذا كان مقيماً؟ فقالوا: نعم، فقال: فلو أنّ الضيفَ في تلك الأيام يأكل من كسبه، أليس كان العارُ يلحق بالقوم الذين نزل بهم؟ فقالوا نعم، فقال: إن أهل الله رحلوا عن الخلق ونزلوا بالله أضيافاً عنده في ضيافة الله ثلاثة أيام، وإنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، فنحن نأخذ ضيافَته على قَدْر أيامه فإذا كَمُلَت لنا ثلاثةُ أيام من أيام مَنْ نزلنا عليه، ولا نحترف ولا نأكل من كسبنا، عند ذلك يتوجه اللومُ وإقامةُ مثل هذه الحجّة علينا. فانظر يا أخي ما أحسنَ نظرَ هذا الشيخ وما أعظمَ موافقَته للسنة، ولقد نوّر الله قلبَ هذا الشيخ. فحق الضيف واجب، وهو من شُعَب الإيمان أعني إكرامَ الضيف، وكذلك من شعب الإيمان قولُ الخير أو الصمتُ عن الشر، يقول الله: {لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ

نَجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ}[160] هذا في النجوى ومخاطبةِ الناس، وذكرُ الله أفضلُ القول، والتلاوةُ أفضل الذكر. ومن الإيمان وشعبه اجتنابُ مجالس الشرب، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: [مَنْ كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يَقْعُد على مائدةٍ يُدارُ عليها الخمرُ] وعليك إذ عملتَ عملاً مشروعاً أن تحسنه، فإنه من حَسّن عمله بَلَغ أمله، وحسنُ العمل أن تعمله كم شرع الله لك أن تعمله، وأن ترى الله تعالى في عملك إياه فإن رسول الله ﷺ فَسّر الإحسان بما ذكرناه، فقال في الثابت عنه: [الإحسانُ أنْ تعبدَ الله كأنك تراه] وإذا أردت أن تأتي الجمعة فاغتسل لها فإن الغسل وإنْ كان واجباً عليك يوم الجمعة لمجرد اليوم فإنه قبل الصلاة للصلاة أفضلُ بلا خلاف، فإذا توضأت كما ذكرتُ لك في باب الوضوء من هذا الكتاب[161] فامْشِ إلى الجمعة، وعليك السكينة والوقار، ولا تفرّق بين اثنينَ إلاّ أن ترى فرجة فتأويَ إليها، وتَقَرّبْ من الخطيب، وانصتْ لكلامه إذا خطب، ولا تمسح الحصى فإن مسح الحصى لغوٌ، ولا تقل لمتكلم: أنصت - والإمامُ يخطب - فإن ذلك من اللغو، وفرّغ قلبك لما يأتي به من الذكرى، فإن المؤمن ينتفع بالذكرى، ولتَلْبَس أحسنَ ثيابك، وَتَمسّ من الطيّب إن كان معك، وَلْتُهَجّر[162] ما استطعت، وإن أردت الخروجَ من الخلاف في التهجير فلتسع إليها في أول ساعة من النهار تكنْ من أصحاب البُدْن، وتدنو من الإمام ما استطعت. وإن كان لك أهل فلتجعلْهم يغتسلون يوم الجمعة كما اغتسلت، وإن كنتَ جُنباً فاغتسل غُسلين: غسلَ الجنابة، وغسلَ الجمعة فهو أولى، فإن لم تفعل فاغتسل للجنابة فعسى يجزيك عن غُسل الجمعة، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ [مَنْ غَسّل واغْتَسَل وبكّر وابْتَكَر] وعليك بالوضوء على الوضوء فإنه نورٌ على نور، ولقيتُ على ذلك طهارة، وأما التيمم لكل فريضة فالدليل في وجوب ذلك أقوى من قيامة على الضوء وإليه أذهبُ فإن نص القرآن في ذلك، ولولا أن رسول الله ﷺ شَرَع في الوضوء ما شرع من صلاة فريضتين فصاعداً بوضوء واحد لكان حكمُ القرآن يقتضي أن يُتَوضأ لكل صلاة، وبالجملة فهو أحسن بلا خلاف فإن الوضوء عندنا عبادةٌ مستقلة، وإن كان شرطاً في صحة عبادة أخرى، فلا يخرجه ذلك عن أن يكون عبادة مستقلة في نفسه مراداً لعينه، وتحفّظ أن نؤديَ شخصاً قد صلى الصبح فإنه في ذمة الله فلا تُخْفِرِ[163] الله في ذمته، وما رأيت أحداً يحفظ هذا القدر في معاملته الخلق، وقد أغفله الناس، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال [مَنْ صَلّى الصبحَ فهو في ذَمةِ الله] فإياك أن يُتْبِعَك الله بشيء من ذمته. وحافِظْ كلَّ يوم على صلاة اثنتي عشرة ركعة فإنه قد ثبت الترغيبُ في ذلك عن رسول الله ﷺ. وحافظ على صلاة العصر فإنه من ترك العصر فقد حَبِطَ عمله، وإذا قعدت في مسجد أو في مجلسك أو حيث كنت فاقعُد على طهارة

منتظراً دخول وقت الصلاة، واجعل موضعَ جلوسك مسجدَك فإن الأرض كلِّها مسجدٌ بالنص، وإن كان في المسجد المعروف في العرف كان أفضل فإنه مَنْ غدا إلى المسجد أو راح أعَدّ الله لهُ نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: [مَنْ تَطَهّر في بيته، ثم مَشَى إلى بيتٍ من بُيوتِ الله ليقضي فريضةً من فَرَائِضِ الله كانت خطواتُه: إحْداهُنَ تَحُطُّ عنه خَطِيْئةً، والأُخرى تَرْفَعُ له درجةً]. وعليك من قيام الليل بما يُزيل عنك اسم الغفلة، وأقلُّ ذلك أن تقوم بعشر آيات، فإنك إذا قمت بعشر آيات لم تُكتبْ من الغافلين، هكذا ثبت عن المبلغَّ ﷺ عن الله، وحافظْ في السَّنة كلِّها على القيام كلَّ ليلةٍ ولو بما ذكرتُ لك، ولا تُهْمل الدعاء في كلّ ليلة، واجعلْ من دعائك السؤالَ في العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، فإنك لا تدري متى تصادفُ ليلة القدر من سَنَتِك، فإني قد أُريتُها مراراً في غيرِ شهر رمضان، وهي تدور في السنة وأكثرُ ما تكون في شهر رمضان، وأكثرُ ما تكون في ليلةِ وترٍ من الشهر، وقد تكون في شفعٍ، وقد أُريتُها في ليلة الثامنَ عشرَ من الشهر، وقد أُريتُها في العشر الأوسط من رمضان، فإن زدتَ على عشر آياتٍ من قيام الليل فأنت بحسب ما تزيد، فإن زدت إلى المئة كُتبتَ من الذاكرين، وإن زدت إلى الألف كُتبتَ من المُقْسطين. وعليك بصيام ستةِ أيامٍ من شوال ولتجعلْها من ثاني يومٍ من شوال متتابعاتٍ إلى أن تفرغ لتخرُجَ بذلك من الخلاف، وإذا قضيتَ أيامَ رمضان من مرضٍ أو سفرٍ فاقضهِ متتابعاً كما أفطرته متتابعاً تخرجْ بذلك من الخلاف، فإن شهر رمضان متتابع الأيام في الصوم، وإن قدرت أن تشارك في فطرك صائماً أو تفطّر صائماً فافعلْ، فإن لك أجره أي مثلَ أحره. وعليك - إن كنت مجاوراً بمكةَ - بكثرةِ الطواف، فإن طواف كلِّ أسبوع يَعْدل عتق رقبة، فأعتقْ ما استطعت تلحقْ بأصحابِ الأموال مع أجر الفقر، واجهد أن ترميَ بسهم في سبيل الله، وإن تعلمتَ الرميَ فاحذر أن تنساه، فإن نسيان الرمي بعد العلم به من الكبائر عند الله، وكذلك مَنْ حفظ آيةً من القرآن ثم نسيها: إمّا من محفوظه، وإما من ترك بالعمل بها، فإنه لا يُعَذَّب أحدٌ مْن العالمين يومَ القيامة بمثل عذابه، لأنه لا مثل للقرآن الذي نسيه. وعليك بتجهيز المجاهد بما أمكنك ولو برغيف إذا لم تكن أنتَ المجاهدَ، واخلُفِ الغزاة في أهلم بخيرٍ تُكتبْ معهم وأنت في أهلك، واحذر إن لم تغزُ أنْ لا تحدثَ نفسك بالغزو، فإنك إن لم تغز ولم تحدثْ نفسك بالغزو كنتَ على شعبةٍ من نفاق، واجهد في إعطاء ما يَفضُل عنك لِمُعْدم ليس له ذلك من طعامٍ أو شرابٍ أو لباسٍ أو مركوبٍ. وعليك بتعلم علم الدين، إن عملتَ به عملتَ على علم، أو علّمَته أحداً من الناس كان ذلك التعليمُ عملاً من أعمال الخير قد أُتَيْته، واسألْ من الله ما تعلم أن فيه خيراً عند الله. فإنه إن أعطاك ما سألتَ، وإلا أعطاك أجر ما سألت،

فإنه ثبت عن رسول أالله ﷺ ما يؤيد ما ذكرناه، وذلك أنه قال: [مَنْ سَأَلَ الشهادةَ بصدقٍ بلّغه الله منازلَ الشهداء وإنْ ماتَ على فِراشِه]. وعليك بالإحسان إلى مَنْ تعول، وادعُ إلى خير ما استطعت فإنك لن تدعو إلى خير إلاّ كنتَ من أهله، ومن أجابك إليه فلك مثلُ أجره فيما أجابك من ذلك، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: [مَنْ سَنّ في الإسلام سُنّةً فله أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها بعده لا يَنْقُص ذلك من أجورهم شيئاً] ولقد بلغني عن الشيخ أبي مدين أنه سَنّ لأصحابه ركعتين بعد الفراغ من الطعام، يقرأ في الأول: [لإيلافِ قريش] وفي الأخرى: [قلْ هو الله أحد] ومشت سنةً في أصحابه، وقد ثبت أنه من دَلّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعله. وعليك بصلة الأرحام، وحافظْ على النسب الذي بينك وبين الله فإنه من الأرحام، وعليك بإنظار المُعْسر إلى ميسرة، فإن الله يقول: **{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}**[164] وإن وضعتَ عنه فهو أعظم لأجرك، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: [مَنْ أنظَر مُعْسراً أو وضع عنه أظَلّه الله في ظِلّه] وإن الله يوم القيامة يتجاوز عمن يتجاوز عن عباده، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أيضاً أنه قال: [مَنْ سَرّه أن ينجيه الله من كُرَبِ يومِ القيامة فلْيِنَفّسْ عن مُعْسرٍ أو يضع عنْه]. وأعظم أنْ من الإيمان أن تَسرّك حسنتُك وتسوأك سيئتُك، واحذر من الكِبرْ والغِل والدَّين، واستر عورةَ أخيك إذا أطلعك الله عليها، فإن ذلك يَعْدل إحياء مَوْءودة، هكذا ورد النص في ذلك عن رسول الله ﷺ، فإن مقادير الثواب لا تدرك بالقياس. وعليك بالسعي في قضاء حوائج الناس، وقد رأينا على ذلك جماعةً من الناس يثابرون عليه، وهو من أفضل الأعمال، وفرّج عن ذي الكربة كربتَه، واستر على مسلمٍ إذا رأيته في زِلةٍ يطلبُ التستر بها ولا تَفْضحه، وأَقِلْ عثرة أخيك المسلم وخذ بيده كلما عثر، وأقِلْهُ بَيْعَته إذا استقالك، فإن ذلك كلَّه مرّغبٌ فيه مندوبٌ إليه، مأمور به شرعاً وهو من مكارم الأخلاق. وعليك بالزهد في الدنيا ولباسِ الخَشِن، فإنه قد ورد أنه: [مَنْ تَرَكَ لَبْس ثوبِ جمالٍ وهو يقدر عليه كساه الله حلة الكرامة] وهذا ثابت، وكن من الكاظمين الغيظَ إذا قدرت على إنفاذه فإن الله قد أثنى على الكاظمين الغيظ والعافّين عن الناس، وقال ﷺ: [مَنْ كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنْفِذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً]، فمن الإيمان كظمُ الغيظ، واحمِ أخاك المؤمنَ ممن يُريد ضرّه ما استطعت وبما قَدرت عليه من ذلك، وإذا نزل بك ضرّ فلا تُنْزلَه إلاّ بالله، ولا تسأل في كشفه إلاّ الله، وإن قلت بالأسباب فلا يَغبِ الله عن نظرك فيها، فإن الله في كل سبب وجهاً، فليكن ذلك الوجهُ من ذلك السبب مشهوداً لك. واعلم أنه ما من نبي إلا وقد أنْذَرَ أُمتَه الدجالَ، وأن رسول الله ﷺ كان يستعيذ من فتنة الدجال تعليماً لنا أن نستعيذَ من ذلك، وفي الاستعاذة من فتنته وجهان: الوجه الواحد: الاستعاذةُ من فتنته حتى لا تُصدقه في دعواه وأن تُعصم منه، ومن أراد أن

يَعْصمه الله من ذلك فليحفظْ عَشْر آياتٍ من أول سورة الكهف فإنه يُعصم بها من فتنة الدجال، والوجه الآخر: أن تُعصم من أن يقوم بك من الدعوى ما قام بالدجال فتدعيَ لنفسك دعوَته، فإنك مستعدٌ لكل خيرٍ وشرٍ يقبله الإنسان من حيث ما هو إنسان، وثابر ما استطعت على أن تسأل الله الوسيلةَ لرسول الله ﷺ، فإنه ﷺ قد سأل منّا ذلك، فالمؤمن مَنْ أسعفه في سؤاله مع ما يعود عليه في ذلك من الخير، أدناه: وجوب الشفاعة له يوم القيامة إن اضطر إليها، وإذا رأيت من يعمل في تحصيل خيرٍ فأعنْه على ذلك بما استطعت، ولا تمنع رِفْدك ممن استَرْفدك. وإياك أن تجْلد عبدك فوق جنايته، وإن عفوت فهو أصلح لك فإنك عبدُ الله ولك إساءةٌ تطلب من الله العفو عنك لها، فاعفُ عن عبدك، ولا تأكلْ وحدك ما استطعت ولو لقمةً تجعلها في فم خادمك من الطعام الذي بين يديك إذا لم يُجْبك إلى الأكل معك، واستغن بالله صدقاً من حالك فإن الله لا بدّ أن يغنيك، فإن استغناءك بالله من القرب إلى الله، وقد ثبت أنه: [مَنْ تَقَرّب إلى الله شبراً تقرب الله منه ذراعاً] الحديث، وكذلك من يَسْتَعِفُ بالله. رُوي أن بعض الصالحين لم يكن له شيء من الدنيا فتزوج فجاءه ولدٌ وما أصبح عنده شيء، فأخذ الولَدَ وخرج ينادي به: هذا جزاءُ من عصى الله، فقيل له: زنيت؟ فقال: لا، وإنما سمعتُ الله يقول في كتابه العزيز: **{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}**[165] فعصيت أمر الله وتزوجتُ وأنا لا أجد نكاحاً فافتضحتُ، فرجع إلى منزله بخيرٍ كثير. وإن قدرت على العتق فأعتق رقبة، وإن لم تجد مالاً ويكون لك علم فاهدِ به رجلاً منافقاً أو كافراً أو رُدَّ به مسلماً عن كبيرةٍ فإنك تُعتقه بذلك من النار، وهو أفضل من عتق رقبةٍ مِنْ ملك أحدٍ في الدنيا، وفكاك العاني أولى من عتق العبد، فإنه عتقٌ وزيادة. واعلم أنَ الفقير الذي لا يقدر على إحياء أرضٍ ميتة فليحيي أرضَ بدنه بما يعمل فيها من الطاعة لله تعالى، وليحيي مواضعَ الغفلة بذكر الله فيها، وليحيي العمل بإخلاصه فيه، وإن أردت ألا يضرك في يومك سحرٌ ولا سمٌّ فلتصبح بسبع تَمَرَاتٍ من العجوة أو تتسحر بها إن أصبحت صائماً، فإنه كذا ثبت عن رسول الله ﷺ. وعليك بخدمة الفقراء إلى الله، ومجالسةِ المساكين، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب عموماً وخصوصاً، وصحبةِ الصالحين والتحبب إليهم، وانوِ في جميع حركاتك خيراً مشروعاً، فإنك لما نويت. وإذا رأيت من أعطاه الله مالاً وفَعَل فيه خيراً وحَرَمَك الله ذلك المالَ، فلا تَحْرِمْ نفسَك أن تتمنى أن تكون مثله، فإن الله يأجرك مثلَ أجره وزيادةً، وإذا جلست مجلساً فاذكر الله فيه ولا بدّ، وإياك أن تُحْرَم الرفق فإنك إن حرمت الرفق حُرمت الخيرَ كلَّه، وَأجِرْ مَن استجارك إلاّ في حَدّ من حدود الله، فإن كان في حدٍ من حدود الخلق فأصلح في ذلك ما استطعت بينه وبين صاحب الحق ولا تسلمه، ولو مضى فيه جميعُ مالك. وإذا

رأيت من يستعيذ بالله فأعذه، فإن النبي ﷺ تزوج امرأةً فلما دخل عليها استعاذت بالله منه لشقاوتها فقال: [عُذْتِ بِعَظِيْمٍ، الْحَقي بأهْلِكِ] فطلّقها ولم يقربها وأعاذها، وإذا سألك أحدٌ بالله - وأنت قادرٌ على مسألته - فأعطه، وإن لم تقدر على مسألته فادعُ له، فإنك إذا دعوت له مع عدم القدرة فقد أعطيته ما بلغتْ إليه يدُك من مسألته، فإن الله لا يكلف نفساً إلاّ ما آتاها، وإذا أسدى أحدٌ معروفاً فلتكافئْهُ على معروفه، ولو بالدعاء إذا عجزت عن مكافأته بمثل ما جاءك به، وإذا أسديت أنت إلى أحدٍ معروفاً فأسْقِطْ عنه المكافأة ولتعْلِمْه بذلك، ولتُظْهِر له الكراهةَ إن كافأك حتى تريحَ خاطره، ولا سيما إن كان من أهل الله، فإن جاءك بمكافأةٍ على ذلك وتعلم منه أنه يعز عليه عدمُ قبولك لذلك فاقبلْه منه، وإن علمت أنه يفرحك بردّك عليه بعد أن وَفّى هو ما وجب عليه من المكافأة فردّ عليه بسياسةٍ وحسنِ تلطفٍ، واجعل لك الحاجةَ عنده في قبول ما رددت عليه من ذلك حتى يتحقق أنه قد قضى لك حاجة في قبول ما رددت عليه من المكافأة. وإياك أن تدعي ما ليس لك فإن ذلك ليس من المروءة، مع ما فيه من الوزر عند الله، وإن رُميت بشيء مذموم فلا تنتصر لنفسك واسكت، ولا تتعرضْ لمن رماك بأنه يكذب، ولا تقرّ على نفسك بما لم تفعل مما نسب إليك، وهكذا فعل ذو النون مع المتوكل حين سأله عما يقول الناسُ فيه من رَمْيه بالزندقة، فقال يا أمير المؤمنين: إن قلتُ: [لا] أكذبتُ الناس، وإن قلتُ: [نعم] كذبتُ على نفسي، فاستحسن ذلك منه أميرُ المؤمنين، وما قَبِلَ فيه قولَ قائل وردّه مكرماً إلى مصر واعتذر له، وحكايُته في ذلك مشهورةٌ ذكرها الناس، وقد ثبتت الأخبار الصحيحة في إثم مَن ادّعى ما ليس له، أو اقتطع ما لا يجب له من حق الغير. واحذر في يمينك أن تحلف بملةٍ غير ملة الإسلام، أو بالبراءة من الإسلام، فإنك إن كنت صادقاً فلن ترجع إلى الإسلام سالماً، ولتجدّد إسلامك إذا فعلت مثلَ ذلك، ومع هذا لا تحلف إلا بالله فإنك إن حلفت بغير الله كنتَ عاصياً للنهي الوارد في ذلك، وإن حلفت على يمين فرأيتَ غيرها خيراً منها فكفّر عن يمينك، ولتأتِ التي هي خير، وإياك والكذبَ في الرؤيا أو الكذبَ على الله أو على رسول الله ﷺ، أو تحدّث بحديثٍ ترى أنه كذب فتحدث به ولا تبين عند السامع أنه كذبٌ، واحذر أن تسمع حديثَ قومٍ وهم يكرهون أن تسمعه فإنه نوعٌ من التجسس الذي نهى الله عنه، واحذر أن تُخَبِّبَ[166] امرأةً على زوجها أو مملوكاً على سيده، واحذر أن تنام على سطحٍ ما له احتجاز، فإن فعلت فقد برئت منك الذمةُ، واحذر أن تحب قيامَ الناس لك وبين يديك تعظيماً لك، وهذا كثير في هذه البلاد - أعني العراق وما جاوره - فما رأيتُ منهم أحداً يَسْلَمُ من حب ذلكَ مع علمهم بما فيه، وقد جرت لنا معهم في ذلك حكايات مع علمائهم. فما ظَنُّك بأُمتهم؟ وقمتُ مرةً لأحدهم، فقال لي: لا تفعل، وقال لي: إن النهي قد ورد في ذلك، فقلت له يا

فقيه: أنت المخاطب ألّا تُحبّ ذلك، وأن يتمثل الناسُ بين يديك قياماً، ما أنا المخاطبُ بأني لا أقوم لمثلك، فتعجبَ من هذا الجواب واستحسنه، وكان من علماء الشريعة. وإياك أن تَقْبل هدية مَنْ شفعت له شفاعة، فإن ذلك من الربا الذي نهى الله عنه بنص رسول الله ﷺ في ذلك، ولقد جرى لي مثلُ هذا في تونس من بلاد إفريقية: دعاني كبيرٌ من كبرائها يقال له: ابنُ مُغِيْث إلى بيته لكرامةِ استعدها لي، فأجبتُ الداعيَ، فعندما دخلتُ بيته وقدّم الطعام، طلب مني شفاعةً عند صاحب البلد، وكنتُ مقبولَ القول عنده، متحكماً فأنعمت في ذلك وقمتُ وما أكلتُ له طعاماً ولا قبلتُ منه ما قدّمه لنا من الهدايا، وقضيتُ حاجته ورجع إليه ملكه، ولم أكن بعدُ وقفتُ على هذا الخبر النبوي، وإنما فعلتُ ذلك مروءةً وأنفةً، وكان عصمةً من الله في نفس الأمر، وعنايةً إلهية. وإياك أن تشفعَ عند حاكم في حدّ من حدود الله. كُلِّم ابن عباس في رجل أصاب حداً من حدود الله أن يُكلم الحاكمَ فيه فقال ابن عباس: [لَعَنَني الله إن شَفعت فيه، ولعن الله الحاكم إن قَبِلَ الشفاعة فيه، لَوْ أرَدتُم ذلك لجئتموني قبل أن يصل إلى الحاكم] وكان سارقاً، ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ: [مَنْ حالتْ شفاعتُه دون حدٍ من حدودِ الله فقد ضَادّ الله] وإياك أن تخاصم في باطلٍ فتسخط الله عليك، وكذلك لا تُعن على خصومة بعلمٍ تدفع به حقاً، فإن النبي ﷺ يقول فيمن أعانَ على ذلك إنه يَبُوء بغضب من الله، ولا تقل في مؤمن ما ليس فيه مما يَشينه عند الناس، وقد ثبت أنه: [مَنْ رمى مسلماً بشيء يُريد شَيْنَه حبسهُ الله على جسر جهنم[167] حتى يخرج مما قال] يعني يتوب. واحذر أن تأكل الدنيا بالدين، أو تأكل مالَ أحدٍ بإخافته فيعطيَك اتّقاءً، وإياك أن تُسّمّعَ فيسمع الله بكَ، سمعت شيخنا المحدّث الزاهدَ أبا الحسنِ يحيىَ بنَ الصائغ بمدينة سبتة ونحن بمنزله يقول: [أكل الدنيا بالدف والمزمار خيرٌ لي من أني آكلها بالدين] وكُفّ لسانكَ عن اللعنةِ ما استطعت، فإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت عليه اللعنة، أي بَعْدُ عنه الخير الذي كان له من ذلك الذي لعنه لو لم يلعنه، ولقد روينا عن رجلٍ كان في غزاة فضاع له آلةٌ من آلات دابته، فسئل عن الضائع فقال: راح في لعن الله، ثم إن الرجل استُشهد في تلك الغزاة، فرآه إنسان في النوم فسأله: ما فعل الله بك؟ فقال: إن الله وزن لي كلُ ما عندي حتى روثَ الفرس وبولَه جعله في ميزاني وأثابني به، فلم أرَ في الميزان سرجَ الدابة الذي كان ضاع لي، فقلت: يا رب وأين سرجُ دابتي؟ فقال: هو حيث جعلته في لعنة الله حين سُئلتَ عنه، فحرم خيره فعادت لعنة السرج عليه بهذا المعنى، وكان رسول الله ﷺ في سَفر فسمع امرأة تلعن ناقتها، فأمر بها فسُيِّبت، وقال: [لا يصحبنا ملعون] فطردت من الركب، قال الراوي: فلقد كنّا نراها تطلب أن تلحق بالركب والناس يطردونها فتركناها منقطعة، فكانت عقوبةُ صاحبتها أن بَعُدَ عنها خيرُها وهو ركوبها، فحالت اللعنة

عليها فإن اللعنةَ البعدُ. واحذر أن تُكفِّرَ مؤمناً فإن تكفير المؤمن كقتله، ولا تهجر أخاك فوق ثلاث، فإذا لقيته بعد ثلاثٍ فابدأه بالسلام تكنْ خيرَ الشخصين المتهاجِريْن، ولمّا هجر الحسنُ محمدَ بنَ الحنفية أخاه وتهاجر، أنفذ إليه محمدُ ابن الحنفية بعد ثلاث فقال: [يا أخي يا ابنَ رسول الله، إنّ رسولَ الله ﷺ يقول: لا يَهجْر أحدكم أخاه فوق ثلاثٍ يلتقيان فيصُدّ هذا ويصُدّ هذا، وخيرهُما الذي يبدأ بالسلام]، وقد فرغت الثلاثُ: فإما أنْ تأتينيَ فتبدأني بالسلام، فإنك خيرٌ مني، وإن كنا ابني رجلٍ واحد، فأَنت سبطُ رسول الله ﷺ، فإن خير الرجلين المتهاجرَيْن من يبدأ بالسلام، وإن لم تفعل جئتُ إليك فبدأتُك بالسلام] فشكره وركب دابته، وقصد إلى منزله، فبدأه بالسلام، فانظر ما أحسنَ هذا كيف آثرَ على نفسه مَنْ عَلِم أنه أفضلُ منه يرجو بذلك المنزلة والمحبةَ عند رسول الله ﷺ، فهكذا ينبغي للعاقل أن يحتاط لنفسه ويأتيَ الأفضلَ فالأفضلَ ويعرف الفضلَ لأهله، وقد ثبت أنه: [مَنْ هجر أخاه سنة فهو كَسَفْك دمه] وإياك واللعبَ بالنّرْد[168] فإن في اللعب بالنرد معصيةَ الله ورسوله، وفي الشَّطْرَنج[169] خلافٌ، وكلُّ ما فيه خلاف فالاحتياط أن تخرج من الخلاف باجتنابه، واجتنب القمار بكل شيء مطلقاً، وكلُّ ما تغفُل باللهو به عن أداء فرضٍ من فروض الله عليك، أو عن ذكر الله فاجتنبه، دخل بعض أهلُ الله من العلماء على قوم يلعبون الشطِّرنج فقال: [ما هذه التماثيلُ التي أنتم لها عاكفون]؟ وإن كان اللعب بالشطِّرنج حلالاً فالمصوّرُ له مأثوم ينطلق عليه اسْمُ المصورين، وأخبرني الزكي شيخنا أحمدُ بن مسعودٍ بن شدادٍ المقري الموصلي بمدينة المَوْصِل سنة إحدى وستمائة قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام فقلت له: يا رسول الله ما تقول في الشِّطرنج؟ [يعني في اللعب به] قال رسول الله ﷺ [حلال] وكان الرائي حنفيّ المذهب، قال: فقلت: والنردِ؟ [حرام] قال: قلت: يا رسول الله ما تقول في الغناء؟ قال: [حلال] قلت: وشبَّابةِ؟ قال: [حرام] قال: قلت: يا رسول الله ادعُ لي فقد مستني الحاجة أو كما قال مما هذا معناه، قال ﷺ: [رزقك الله ألفَ دينار، وكلُّ دينارٍ أربعة دراهم] واستيقظتُ فدعاني الملكُ الناصر صلاحُ الدين يوسفُ بن أيوبَ رحمه الله في شُغل، فلما انصرفتُ من عنده أمر لي بأربعة آلاف درهم، فما بِتُّ إلاّ والدراهم عندي كاملةٌ التي عيّنها لي في دعائه ﷺ، قال فاعتقدت من تلك الساعة هن تحليلَ الشّطرنج الذي كنتُ أعتقد تحريمه وتحريمَ الشبابة، وكنتُ أعتقد النقيض في هذين الشيئين. وإياك وتصديقَ الكُهّان وإن صدقوا، واجتنب ما استطعتَ الاستمطار بالأنوار، وعلمُ النجوم اجتنبه مطلقاً احتياطاً إلاّ ما يحتاج منه إلى معرفة الأوقات، والوقوفُ عند قول الشارع هو طريق النجاة وتحصيل السعادة، وما نُدَنْدِنُ[170] إلاّ على ذلك، واحذر أن تنام وفي يدك دسم أو على ظاهر فمك من أجل الهوامّ والشياطين، وإياك أن تَشُقّ

على أحدٍ ولا تُضارِرْهُ، ولا تكن ذا وجهين تأتي قوماً بوجه، وقوماً بوجه، واحذر من الاحتكار لانتظارِ الغلاء لأُمة محّمد ﷺ، ولا تتخذ كلباً إلاّ أن تكون في أمرٍ تطلب الحراسة فيه أو صيدٍ، ولا تَغْصِب مسلماً شيئاً ولا ذمّياً ولا ذا عهدٍ، وإذا ضربتَ مملوكاً أو مملوكةً حداً لم يأته، أو لطمته في وجهه فأعتقه فإن كفارةَ فعلك به ذلك عتقُه، ولا ترمِ مملوكَك ولا مملوكَتك بالزنى من غير علم، فإن الله يقيم الحدَّ عليك في ذلك يومَ القيامة، واحذر من اتّبَاع الصيد والمداومةِ عليه ولزومِ البادية، فإن الصيدَ يورثُ الغفلةَ، وسكنى البادية يورثُ الجفاء، وإياك وصحبةَ الملوك، إلا أن تكون مسموعَ الكلمة عندهم فتنفعَ مسلماً أو تدفعَ عن مظلومٍ أو تردَّ السلطان عن فعلِ ما يؤدي إلى الشقاء عند الله.
وعليك بالوفاء بالنذر إذا نذرتَ طاعة، فإن نذرت معصيةً فلا تعص الله وكفر عن ذلك كفارةَ يمين فإنه أحوطُ وأرفعُ للخلاف، وعليك بطاعةِ أولي الأمر من الناس ممن ولاّه السلطانُ أمرَك، فإن طاعة أولي الأمر واجبةٌ بالنص في كتاب الله، وما لهم أمرٌ يجب علينا امتثال أمرهم فيه إلاّ المباحُ لا الأمرُ بالمعاصي، فإن غصبوك فاقبل غصبهم في بعض أحوالك، وإن أمروك بالغصب فلا تَغْصِب، ولا تفارقِ الجماعةَ ولا تُخْرِجْ يداً من طاعةٍ، ولا تنازعِ الأمر أهله فتموت مِيتة جاهلية بنص رسول الله ﷺ، ولا تَخْرجْ على الأئمة، ولا تنازع الأمر أهله، وقاتل مع الأعدل من الاثنين، وأوفِ لذي العهد بعهده، ولذي الحق بحقه، ولا تَحْمِل السلاحَ في الحرم لقتالٍ وإذا دخلت السوقَ بسهام فأمسك على نصالها لا تعقر أحداً وأنت لا تشعر، ولا تمازح أخاك بحمل السلاح عليه، وأكرمْ شَعْرَك وغِبّ[171] بترجيله، واكتحل، وإذا اكتحلت فاكتحل وتراً واشرب مصاً ولا تتنفس في الإناء إذا شربت، وأزلِ الإناء عن فمك، وكُلْ بثلاثةِ أصابعَ وصَغّرِ اللقمةَ وكَثّرَ مضْغَها، ولا تشرعْ في لقمة أُخرى حتى تبتلعَ الأُولى، وسمّ الله عند قطع كلّ لقمة، واحمدِ الله إذا ابتلعها واشكره على أنه سوّغك إياها، ولا تجلس في مجلس أحدٍ إذا قام منه بنيةِ الرجوع إليه إلاّ أن يفارقه ولا يريدَ الرجوع إليه: وكان ابن عمرَ ﵁ إذا قام أحدٌ إليه من مكانه ليجلسه فيه يمتنع عليه ولا يجلس فإن القائم أحق به بنص رسول الله ﷺ، ولا تردَّ طِيباً إذا عرض عليك ولا لَبَناً ولا وِسادة إذا قُدّم إليك شيء من هذا كلّه، وإذا اخذت دَيناً فانوِ قضاءه ولا بدّ فإن الله يقضيه عنك إذا نويت ذلك، واعدلْ بين نسائك وفي رعيتك إن كنت راعياً تسعد إن شاء الله تعالى.

وصية: تحريك التقليد والعمل بمقتضى الدليل

والذي أوصيك به إن كنت عالماً فحرامٌ عليك أن تعمل بخلاف ما أعطاك دليلُك، ويحرمُ عليك تقليدُ غيرِك مع تمكنك من حصول الدّليل، وإن لم تكن لك هذه الدرجةُ وكنت مقلّداً فإياك أن تلتزمَ مذهباً بعينه، بل اعمل كما أمرك الله، فإن الله أمرك أن تسأل أهلَ الذكرِ إن كنتَ لا تعلم، وأهلُ الذكر هم العلماءُ بالكتابِ والسنةِ فإن الذكرَ القرآنُ بالنص، واطلب رفع الحرج في نازلتك ما استطعت فإن الله يقول سبحانه: **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}**[172] وقال النبي ﷺ: [دِيْنُ الله يُسْرٌ] فاسألْ عن الرخصة في المسألةِ حتى تجدّها، فإذا وجدتها اعمل بها، وإن قال لك المفتي: فلا تأخذ به، واسأل غيره، وإن أردتَ أن تأخذ بالعزائم في نوازلك فافعلْ، ولكن فيما يختص بك، ورفع الحرج هو السُّنة، وإذا عَلمْتَ علماً من علوم الشريعة فبلغّه مَنْ لا يعلمه تكن من حملة العلم لمن لا يعلم، وإياك أن تكتم ما أنزل الله من البيّنات للناس إذا علمت ذلك، وعليك بالسماحة في بَيْعك وابتياعك، وإذا قضيت فكن سمحاً في اقتضائك، واجتنب الوَشْمَ[173] أن تَعْمَله أو تأمرَ به، وكذلك التنميص وهو: إزالة الشعر من الوجه بالنمّاص، والنماص: هو الذي يسميه العوام التحفيف وكذلك التفليجُ[174] فإن رسول الله ﷺ لعن الواشمة والمستوشمة والناصمةَ والمتنمصةَ والواشرةَ والمستوشرة: [وهي التي تفلج أسنانها] والواصلة والمستوصلةَ المغيّراتِ خلقَ الله، والواصلة: هي التي تصل شعرها، واحذر أنْ تُغيّرَ عباد الله بما ابتلاهم الله به في خلْقهم وفي خُلقُهم وما قدّر عليهم من المعاصي، واسألِ الله عز وجل العافيةَ ما استطعت، وكن على نفسك لا تكنْ لها إن أردت أن تُسعدها عند الله، وإياك وما تستحليه النفسُ إلاّ أن يكون معها الشرعُ في ذلك فهو الميزان. وإياك أن تذبح ذبيحةً لغير الله، ولا تأكلْ مما أُهِلّ[175] لغيرِ الله وما لم يذكر اسمُ الله عليه فإنه فسقٌ بنص القرآن، ولا يسْتَمِلْكَ أهلُ الذّمة إلى ما يتبركون به في دينهم، فإن ذلك من الأمور المهلكة عند الله ولقد رأيت بدمشق أكثر نسائها يفعلن ذلك ورجالَهم يسامحونَهُنّ في ذلك، وهو أنهن يأخذن الصبيان الصغارَ ويحملونهم إلى الكنيسة حتى يبركَ القِسُّ عليهم ويرشونهم بماء المَعْمودية بنية التبرك، وهذا قرينُ الكفر بل هو الكفرُ عينُه، وما يرتضيه مسلم ولا الإسلام، ويقرّبون القرابين لذلك. واحذر أن تؤوي محدِثاً أحدثَ في دين الله أمراً يَبْعد عن الله ويرده الدين، مثلُ الذي ذكرناه، وإياك أن تغير حدودَ الأرض فإن ذلك غصبٌ، وقد لعن رسول الله ﷺ من غَيّر منارَ الأرض، واحذر أن تُمثّل بحيوان أو تتخذه غرضاً أو يتخذه غيرُكَ ولا تنهاه عنه، وإياك ونكاحَ البهائم، ولقد كان عندنا رجلٌ صالح قليلُ العلم قد انقطع في بيته فاشترى حمارةً لم تُعلَم له حاجة إليها، فسأله بعضُ الناس بعد سنين وقال له: ما تصنع بهذه الحمارة، وما ذلك حاجة ولا تركبها؟ فقال يا أخي ما اشتريتها إلاّ

عصمة لديني أنكحها حتى لا أزني، فقال له: إن ذلك حرامٌ، فبكى وتاب إلى الله من ذلك وقال: والله ما علمتُ، فعليك بالبحث عن دينك حتى تعلمَ ما يحل لك أن تأتي منه مما لا يحل لك أن تأتيه في تصرفاتك.

وصية: المغفرة والستر من الذنب

إذا سألت المغفرة: وهي طلب الستر، فاسألْ أن يسترك عن الذنب أن يُصيبك، فتكونَ معصوماً أو محفوظاً، وإن كنت صاحبَ ذنب فاسأله أن يسترك أن يصيبك عقوبةُ الذنبُ، وإياك أن تَظْهر إلى الناس بأمرٍ يعلم الله منك خلافه، ولقد أخبرني الثقةُ عندي عن الشيخ أبي الربيع الكفيف المالقي، كان بمصر يخدمه أبو عبد الله القرشيُ المبتلى، فدخل الشيخ مرة فسمعه يقول في دعائه: (اللهم يا رب لا تَفْضَح لنا سريرةً) فصاح فيه الشيخ وقال له: (الله يفضحُك على رؤوس الأشهاد يا أبا عبد الله، ولأي شيءٍ تَظْهَرُ لله بأمرٍ وللناس بخلافه؟ اصْدُقْ مع الله عز وجل في جميع أحوالك، ولا تُضمر خلاف ما تُظهر) فتاب إلى الله تعالى من ذلك ورجع، وليس للمغفرة مُتَعَلّق إلاَّ أن يسترك من الذنب، أو يستَرك من العقوبة عليه، يقول الله سبحانه لنبيه ﷺ: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}**[176] فما تقدّم لا يعاقبك عليه، وما تأخر لا يصيبُك، وهذا إخبارٌ من الله بعصمته ﷺ. أخبرني سليمانُ الديبلي - وكان عبداً صالحاً فيما أحسب كثير البكاء، وكان له أُنسٌ بالله - فقعدت معه بمقصورة الدولقي زاوية عائشة بجامع دمشق، وجرى بيني وبينه كلامٌ، فقال لي: يا أخي لي والله أكثرُ من خمسين سنة ما حدّثَتني نفسي بمعصية قطُّ ولله الحمد على ذلك. واحذر يا أخي من التنطع[177] في الكلام والتشدق، وإياك أن يستعبدك غيرُ الله في عرَض من عروض الدنيا فإنك عبدٌ لمن استعبدك، وإياك والتكبّرَ والجبروتَ، وتفقّدْ مصالح ما عندك من الحيوانات من بهيمة وفرسٍ وجمل وهِرَّة وغير ذلك. ولا تَغفُل عنهم فإنهم خُرْسٌ وأماناتٌ بأيديكم إذا أنتم حبستموها عن مصالحها، وإياك أن تُحدّث أخاك بحديث يرى أنك صادق فيه فيصدقك وأنت فيه كاذبٌ، ولا تَحْقِر أخاك شيئاً من نعم الله وإن قلّ ولا تزدرِ واحداً من عبادِ الله، واملُكْ نفَسك عند الغضب، وعليك بتحمل الأذى من عباد الله والصبر عليه، فليس أحدٌ أصبرَ على أذى يسمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم، فاجعل الحقَ إمامك وعاملْ عباده بما عاملهم به. نزل مشركٌ بإبراهيم الخليل عليه السلام فاستضافه، فقال له إبراهيم عليه السلام: (حتى تُسْلِمَ) فقال: يا إبراهيم لا أفعل، وانصرف، فأوحى الله إليه: (يا إبراهيم مِنْ أجل لقمةٍ يتركُ دينه ودينَ آبائه؟ إنه ليشركُ بي سبعين سنةً وأنا

أرزقُه) فخرجَ الخليلُ عليه السلام في أثرِ الرجل، فعرَض عليه الرجوعَ فاستخبره عن ذلك، فأَخبره بعَتْبِ الله له في ذلك فأسلم المشرك. وعليك بترتيل القرآن والتغني به وذلك بأن تُحَبّره[178] وتستوفي حروفه، وإياك أن تدعوَ إلى عصبية بل ادْعُ إلى الله، وإذا كنتَ في سفر فلا تَصُم فإن ذلك ليس من البر عند الله تعالى، وإن كنتَ ولا بد صاحبَ لهوْ فبامرأتِك وفرسِك وسهامِك، واجتنب الاسترقاءَ[179] والاكتواءَ والطِّيرة إن أردتَ أن تكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وعليك بفعل البرّ في يوم الإثنين ويوم الخميس فإنهما يومان تُعْرضُ فيهما الأعمال على الله، وكان رسول الله ﷺ لا يترك صومهما، ويقول: (إني أُحب أنْ يُرْفَع عَملي وَأنا صَائِمٌ) فإن الصوم عبادةٌ تستغرق النهارَ كلَّه، سواءٌ غفل العبدُ عن عبادة ربه في ذلك اليوم أو لم يغفل، فإنه في عبادة صومه بما نواه، وإياك والشحناء فإنها نظير الشرك في عدم المغفرة عند الله. واعلم أن العبدَ يُبعث على ما مات عليه، فلا تمت إلاّ وأنت مسلم، وإياك وصحبةَ من تفارقه ولا تصحب إلاّ من لا يفارقك وهو العمل، فاجعل عملك صالحاً تأنس به وتُسر، واجعله لك لا عليك، واعلم أن القبر خزانةُ أعمالك فلا تخزن فيه إلا ما إذا دخلت إليه يسرك ما تراه، يقول بعضهم:

يامَنْ بُدْنَياهُ اشْتَغَلْ	**وَقَدْ غَرّهُ طُولُ الأملْ**
وَلَمْ يَزَلْ في غَفْلَةٍ	**حَتّى دَنَا مِنْهُ الأَجَلْ**
المَوتُ يأتي بَغْتَةً	**والقبرُ صندوقُ الْعَمَلْ**

يرجع عن الميت أهله وماله، ويبقى معه عملُه، أشقى الناسِ يوم القيامة من أمر بالمعروف ولم يأتِه، ونهى عن المنكر وأتاه. وعليك بكسب الحلال وطِيْبِ المطعم، وفُرّ بِدِيْنك من الفتن إذا وقعتْ في الناس وظهرتْ، وإياك والحرص على المال، واحذر أن تسبَّ الدهرَ فإن الله هو الدهر، وإن أردت به الزمانَ فما بيد الزمان شيءٌ بل الأمر بيد الله، لا تقل: مالي، وهل لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت، أو لبستَ فأبليت، أو تصدقتَ فأمضيت؟ وما بقي بعد ذلك فعليك لا لك، وأنت مسؤول عما جمعت، من أين جمعتَ؟ وفيم أنفقتَ؟ ولم اختزنت؟ لا تتزوج من النساء إلاّ ذاتَ الدين فإن من أعظم النعم على العبد المرأةَ الصالحة تُعين على الدِّين، ولا تَكْفُر العشير، كُنْ من حملة العلم تكنْ عدلاً بشهادة رسول الله ﷺ فإنه قال: (يَحْمِل هذا العلم مِنْ كُلّ خَلَفٍ عُدُولُه) ابدأ بالسلام على مَنْ هو أكبرُ منك، وابدأ بالسلام على الماشي إن كنت راكباً، وعلى القاعد إن كنت ماشياً، ولقد جرى لي مع

بعض الخلفاء ﷺ ذات يوم، كنا نمشي ومعنا جماعة، وإذا بالخليفة مقبلاً فتنحينا عن الطريق، وقلت لأصحابي: مَنْ بدأه بالسلام أبخسته، فلمَّا وصل وحاذانا بفرسه، انتظرنا أن نسلم عليه كما جرت عادةُ الناس في السلام على الخلفاءِ والملوكِ، فلم نفعل، فنظر إلينا وقال: سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاتُه بصوت جهير، فقلنا له أجمعنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال: جزاكم الله عن الدين خيراً وشكرَنا على فعلنا وانصرف، فتعجب الحاضرون. لا تَؤْمّن رجلاً في سلطانه، ولا تقعدْ على تَكْرِمَتِه إلاّ بإذنه، ولا تدخل بيته إلاّ بإذنه، ولا تَجُزَّ[180] مقدم دابته إلاّ بإذنه وليكن إمامَ القوم أقرؤهم لكتاب الله.

هذه وصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

إذ استيقظت من نومك فامسح النومَ من عينيك، واذكر الله تَحُلَّ بذلك عقدة واحدة من عقد الشيطان، فإنه يَعْقد على قافية رأسِ أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عقد، يضرب مكانَ كلِّ عقدة: عليك ليلٌ طويل فارقد، فإذا ذكرت الله انحلت عقدة، فإذا توضأتَ حللت بوضوئك العقدة الثانية، فإذا صليت حللت العقد كلِّها. إياك أن تطلب الإمارة فتوكل إليها، وعليك بالصباغ[181] واجتنب السواد فيه، فإن رسول الله ﷺ أمر به ورغَب فيه وأعجبه، واعلم أن القلوب بيد الله بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه كيف يشاء، وقلوب الملوك بيد الله كذلك يقبضها عنا إذا شاء، ويُعَطِّفُها علينا إذا شاء، ليس لهم من الأمر شيءُ فاعذروهم وادعوا لهم، ولا تقعوا فيهم، فإنهم نواب الله في عباده وهم من الله بمكان فاتركوا وُلاتَه له تعالى يعاملهم كيف شاء، إن شاء عفا عنهم فيما قصروا فيه، وإن شاء عاقبهم، فهو أبصرُ بهم، وعليك بالسمع والطاعة لهم وإن كان عبداً حبشياً مجدّع الأطراف. دخل رجل نصراني مشركٌ بعضَ البلاد، فبينما هو يمشي وإذا بالناس يُهرعون من كل مكان ويقولون: هذا السلطانُ قد أقبل، فأقبل المشرك ليراه فإذا هو أسودٌ، كان مملوكاً لبعض الناس، وأعنقه مجدَّعَ الأطراف أقبحَ الناس صورةً، فلما نظر إليه قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له في مُلكه يفعلُ ما يُريد ويَحكم ما يريد، فقيل له، ما الذي دعاك إلى الإسلام والتوحيد؟ فقال: سلطنةُ هذا العبدِ الأسود، فإني رأيتُ من المحال أن يجتمعَ اثنان على تولية مثلِ هذا الناس والأشراف والعلماء وأرباب الدِّين، فعلمتُ أن الله واحدٌ يَحكُم بعلمه في عبده كيف يشاء، لا إله إلاّ هو، ورأيت هذا أنا من تصديق الله تعالى رسولَه ﷺ فيما مَثّل به لنا في قوله: (وإن كان عبداً حبشياً مُجَدّعَ الأطراف) فإني جربتُ المُخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال بأمر ما، فإنه لا بدّ من وقوع ذلك

المضروب به المثلُ، كان أبو يزيد البسطامي ﷺ يُشير عن نفسه أنه قطب الوقت، فقيل له يوماً عن بعض الرجال: إنه يقال فيه: إنه قطبُ الوقت، فقال: الولاةُ كثيرون، وأميرُ المؤمنين واحدٌ، لو أن رجلاً شقَّ العصا وقام ثائراً في هذا الموضوع - وأشار إلى قلعةٍ معينة - وادّعى أنه خليفة قُتل ولم يتمّ له ذلك، وبقي أمير المؤمنين فما مرّت أيام حتى ثار في تلك القلعة ثائر ادّعى الخلافة فقتل، وما تم له ذلك، فوقع ما ضربَ به أبو يزيدَ المثلَ عن نفسه، فإياك والوقوعَ في ولاة أمور المسلمين، وإياك أن تُنْزل أحداً من الله منزلة لا تَعْرفه فيها إلاّ بتزكيةٍ عند الله فيها أو بتجريح، إلاّ أن تكون على بصيرةٍ من الله تعالى فيه، فإن ذلك افتراءٌ على الله، ولو صادفتَ الحق فقد أسأتَ الأدب، وهذا داءٌ عُضال، بل حسّن الظنَ به وقل: فيما احسَب وأظن هو كذا وكذا، ولا تُزَكِ على الله أحداً، فهذا رسول الله ﷺ - ولا يدري ما يُفعل به ولا بنا، بل يَتّبعُ ما يوحى إليه - فما عُرِّف به من الأُمور عَرّفها، وما لم يعرف به من الأُمور لم يُعرِّفه وكان فيه كواحد من الناس، فكم من رجلٍ عظيمٍ عند الناس يأتي يومَ القيامة لا يزنُ عند الله جناحَ بعوضةٍ، وفكّرْ في يوم القيامة وهَوْله وما يلقى الناسُ فيه، وهو يوم التنادي، يوم تُوّلون مدبرين ما لكم من الله عاصم تلجؤون إليه، ولقد ثبت أن العَرَق يوم القيامة ليذهبُ في الأرض سبعين ذراعاً، وإنه ليبلغ أفواه الناس. وعليك بالدعاء أن يُعيذك الله من فتنةِ القبر، ومن فتنة الدجال ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر ما صنعتَ، ومن شر ما خَلَق، وقد أوصيتُك بتغطية الإناء فإنه ثبت: (إن لله في السنة ليلةً غيرَ معينةٍ يَنزل فيها وباءٌ لا يمر بإناء ليس عليه غطاءٌ، أو سِقاء ليس عليه وِكاءْ إلاّ دخل فيه من ذلك الوباء) وإن للشيطان فتنةً فاستعذْ بالله منها، وراقبْ قلبك وخواطرَك، وزِنْها بميزان الشريعة الموضوع في الأرض لمعرفةِ الحقِ فإنك إذا فعلت ذلك كنتَ في أُمورك تجري على الحق، فإن إبليس يضع عرشه على الماء لِما علم أن العرش الرحماني على الماء، يُلَبّس بذلك على الناس أنه الله، كما فعل بابن صياد، وقد قال له رسول الله ﷺ: (ما ترى)؟ قال: أرى عرشاً على البحر، فقال: (ذلك عرش إبليس) يقول الله تعالى في عرشه: **{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}**[182] ثم قال: **{لِيَبْلُوَكُمْ}** والإبتلاء: فتنة، فإبليس ما له نظر إلاّ في الأوضاع الإلهية الحقيقة في الخيال أمثلها ليقال: هي عينُها فيغترُ بها من نظر إليها، وما ثم شيء، فإن الله تعالى قد أعطاه السلطنة على خيال الإنسان، فيخيل إليه ما يشاء، فإذا وضع عرشَه على الماء بعث سراياه شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً إلى قلوب بني آدم، إلى الكافر ليثُبت على كفره، وإلى المؤمن ليرجع عن إيمانه، وأدناهم من إبليس منزلة أعظمهم فتنةً، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وصية: صالح المؤمنين

ادعُ اللّه أن يجعلك من صالحي المؤمنين تكنْ وليّ رسول اللّه ﷺ وناصره، فإن اللّه قرن صالحَ المؤمنين مع نفسه وجبريلَ والملائكةِ في نصرة رسول اللّه ﷺ[183]، وقال رسول اللّه ﷺ: (إنما وليي اللّه وصالحُ المؤمنين) وإن كنت والياً فلتساوِ في إقامة حدود اللّه الشرعية على من تعيّنَتْ عليه، بين شريفٍ ووضيعٍ، ومن تحبه أو تكرهُه، فإن رسول اللّه ﷺ ثبت عنه أنه قال: (إنما هَلَك مَنْ كان قَبْلكم أنهم كانوا يُقيمون الحدودَ على الوضيعِ ويَتْركون الشريف)، وإياك يا أخي أن تحجر عنايةَ اللّه عن إماء اللّه لما سمعتَ أن للرجال عليهن درجةً، فتلك درجة الانفعال بحكم الأصل، فإن حواء خلقتْ من آدم، فلما انفعلت عنه، كان له عليها درجة السبقِ، فكل أنثى من سبق ماء المرأة وعلوه على ماء الرجل، هذا هو الثابت عن رسول اللّه ﷺ. فاعلم ذلك فللرجل عليهن درجة فإن الحكم لكل أنثى بماء أمها، وهنا سرٌ عجيب دقيق روحاني من أجله كانت النساء شقائقَ الرجال، فخلقتِ المرأة من شِق الرجل فهو أصلُها فله عليها درجة السببية، ولا تقل: هذا مخصوص بحواء فكل أنثى كما أخبرتُك من مائها أي من سبق مائها وعلوه على ماء الرجل، وكل ذكرٍ من سبق ماء الرجل وعلوه على ماء الأنثى، وكل خنثى فمن مساواة الماءين وامتزاجهما من غير مسابقة. واحذر من فتنة الدنيا وزينتها، وفرّق بين زينةِ الشيطان، وزينة الحياة الدنيا، إذا جاءت الزينة مهملةً غيرَ منسوبة إلى أحد فلا تدري مَنْ زينها لك، فانظر ذلك في موضع آخر واتخذه دليلاً على ما انْبَهَم عليك مثل قوله تعالى: **{زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ}**[184] ومثل قوله: **{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ}**[185] ولم يذكرْ مَنْ زَيّنه، فتستدلُ على من زينه من نفس العمل، فزينةُ اللّه غيرُ محرمة، وزينة الشيطان محرّمة، وزينة الدنيا ذاتُ وجهين: وجه إلى الإباحةِ والندبِ، ووجه إلى التحريم، والحياةُ الدنيا موطنُ الابتلاء، فجعلها اللّه حُلوة خضرة واستخلف فيها عباده فناظر كيف يعملون فيها، بهذا جاء الخبر النبوي فاتق فِتْنتَها وميزّ زينتها وقل: ربِ زدني علماً، وإذا فَجَأكَ أمرٌ تكرهه فاصبر له عندما يُفْجَؤُكَ فذلك هو الصبرُ المحمود، ولا تتسخطْ له ابتداءً، ثم تنظرُ بعد ذلك أن الأمرَ بيد اللّه وأن ذلك من اللّه فتصبر عند ذلك، فليس ذلك بالصبر المحمود عند اللّه الذي حَرّض عليه رسول اللّه ﷺ. ولقد مَرّ رسول اللّه ﷺ بامرأةٍ وهي تَصرخ على ولدٍ لها مات، فأمرها أن تحتسبه عند اللّه وتصبرَ، ولم تعرف أنه رسولُ اللّه ﷺ فقالت له: إليك عني فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، فقيل لها: هذا رسول اللّه ﷺ، فجاءت تعتذرُ إليه مما جرى منها، فقال لها رسول اللّه ﷺ: (إنما الصبرُ عند الصدمةِ الأولى)[186] وعليك برحمةِ الضعيف المتضعف، فإنه

قد ثبت: (إنما اللّه ينصر عباده ويرزُقهم بضعفائهم)، وإذا اقترضت من أحدٍ قرضاً فأحسنِ الأداء، وأرجحْ إذا وزنت له واشكره على قرضه إياك، وانظر الفضلَ له ولكل مَنْ أحسن إليك أو أهدى إليك هديةً أو تصدّقَ عليك ولو بالسلام، فإن له الفضل عليك بالتقدم. وما عَرَف مقدارَ السلام الذي هو التحيةُ إلاّ الصدرُ الأول، فإني رأيت أنهم كانوا إذا حالت بين الرجلين شجرةٌ وهما يمشيان في الطريق فإذا تركاها والتقيا سَلّم كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه، لمعرفته بسرعةِ تقلب النفوس وما يبادر إليها من الخواطر القبيحة من إلقاء إبليس، فيكون السلامُ بشارةً لصاحبه أنه سَلِمَ من ذلك، وأنه معه على ما افترقا عليه من حُسن المودة، فانظر إلى معرفتهم بالنفوس ﷺ. ومن قال لك: إنه يحبُّك فلو أحببَته ما عسى أن تحبه لن تبلغ درجةَ تقدمه في حبه إياك، فإن حُبّك نتيجةٌ عن ذلك الحب المتقدم، وما قلتُ لك ذلك إلاّ أني رأيت وسمعتُ من فقراء زماننا، من جهالهم لا من علمائهم، يرون الفضل لهم على الأغنياء حيث كانوا فقراء لِمَا يأخذونه منهم، إذ لولا الفقرُ ما صح لهم هذا الفضل، وهذا غلطٌ عظيم فإن الثناء على المعطِي ما هو من حيث ما وَجَد من يأخذ منه، وإنما هو لقيام صفة الكرم به ووقايته شحَ نفسه، سواءٌ وجد مَنْ يأخذُ منه، أو لم يجد، ألا ترى إلى النص الوارد في المتمني فعلَ الخير مع العدم، إذا تمنى ويقول: لو أنّ لي مالاً فعلتُ فيه من الخير مثلَ ما فعل هذا المعطي، فإن أجرهما سواءٌ وزاد عليه بارتفاع الحساب عنه والسؤال، ولهذا قلنا بأن ترى الفضل عليك لمن أعطَى فهو أولى بك، وإن اليدَ العليا هي خير من اليد السفلى، واليدُ العليا هي المنفقة، واليدُ السفلى هي السائلة هذا السؤال، ولكن إذا لم تر اللّه في سؤالها لأن الحق قد سأل عباده في أمره إياهم أن يُقرضوه وَيذكروه، وهنا أسرار في التنزل الإلهي في عباده.

وصية: ثواب قراءة الفاتحة بنَفَسٍ واحد

إذا قرأت فاتحةَ الكتاب فَصِلْ بَسْمَلتَها بالحمدُ لله إلى آخر السورة في نَفَسٍ واحد من غير قطعٍ، فإني أقول: بالله العظيم لقد حدثني أبو الحسن عليُّ بن أبي الفتح المعروفُ والده بالكناري، الطبيبُ بمدينة المَوصل بمنزلي سنة إحدى وستمئة قال: بالله العظيم لقد سمعتُ شيخنا أبا الفضلِ عبدَ الله بنَ أحمدَ بنِ عبدِ القاهر الطوسيِّ الخطيبَ يقول: بالله العظيم لقد سمعتُ والدي أحمدَ يقول: بالله العظيم لقد سمعت المباركَ بنَ أحمد بنِ محّمد النيسابوريُ المقرىء يقول: بالله العظيم لقد سمعتُ من لفظ أبي بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي مِن لفظه، وقال: بالله العظيم لقد حدثني عبدُ الله

المعروفُ بأبي نصر السرخسي وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ الفضل وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو عبدِ الله محمّد بن علي بن يحيى الوراقُ الفقيهُ قال: بالله العظيم لقد حدثني محمد ابن يونس الطويل الفقيه وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال: بالله العظيم لقد حدثني موسى بن عيسى وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجعي وقال: بالله العظيم لقد حدثني عمار بن موسى البَرْمكي وقال: بالله العظيم لقد حدثني أنسُ بنُ مالك وقال: بالله العظيم لقد حدثني عليٌّ بنُ أبي طالب وقال: بالله العظيم، لقد حدثني أبو بكرٍ الصديقُ وقال: بالله العظيم لقد حدثني محّمد المصطفى ﷺ تسليماً وقال: (بالله العظيم لقد حدثني جبريلُ عليه السلام، وقال: بالله العظيم لقد حدثني ميكائيلُ عليه السلام، وقال: بالله العظيم لقد حدثني إسرافيلُ عليه السلام، وقال: قال الله تعالى لي: يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجُودي وكرمي مَنْ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرةً واحدة اشهدوا عليَّ أني قد غفرتُ له وقَبِلتُ منه الحسناتِ وتجاوزت عنه السيئات، ولا أُحرق لسانَه بالنار، وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفزع الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين).

وصية: الغيرة على محارم الله

كن غيوراً لله تعالى، واحذر من الغَيْرة الطبيعية الحيوانية أن تَسْتَفِزّك[187] وتُلَبّس عليك نفسك بها، وأنا أعطيك في ذلك ميزاناً وذلك أن الذي يغار لله ديناً إنما يغار لانتهاك محارم الله على نفسه وعلى غيره، فكما يغار على أمّه أن يزني بها أحد، كذلك يغارُ على أُم غيره أن يزني بها هو، وكذلك البنت والأختُ والزوجةُ والجاريةُ، فإن كلَّ امرأة يزني بها قد تكون أُماً لشخص وبنتاً لآخرَ وأختاً لآخر، وزوجةً لآخر، وجاريةً لآخر، وكلٌّ واحد منهم لا يريد أن يزني واحدٌ بأمه ولا بأخته ولا بابنته ولا بزوجته ولا بجاريته كما لا يريد هذا الغير الذي يزعم أنه يغار لله دِيناً، فإن فعل شيئاً من هذا وزنى وادّعى الغَيْرة في الدين أو المروءة فاعلم أنه كاذب في دعواه، فإنه ليس بذي دِيْن ولا مروءة مَنْ يكرهُ لنفسه شيئاً ولا يكرهه لغيره، فليس بذي غَيْرة إيمانية، يقول النبي ﷺ في سعدٍ والحديثُ مشهور: (إن سعداً لغيور وإني لأغَيْرُ من سعدٍ وإنّ الله لأغيَرُ مني، ومِن غَيرته حَرَّم الفواحشَ) ولقد مات رسول الله ﷺ وما مست يده امرأة لا يحل له لمسها، وهو رسولُ الله ﷺ، وما كانت تبايعه النساء إلاّ بالقول وقوله للواحدة قولُه للجميع، فاجعل ميزانَك في الغَيْرة للدين هذا، فإنْ وفيت به فاعلم أنك غيور للدِّين والمروءة، وإن وجدتَ خلافَ ذلك فتلك غَيْرَة طبيعية حيوانية ليس

لله ولا للمروءة فيها دخولُ حتى منك، كما تغار عليك، وقد ثبت: (ما من أحدٍ أغيرَ من الله أن يزنيَ عبده أو تزنيَ أُمته) وإذا أصابتك مصيبة فقل: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) فلا تُنْزل ما تجدُ منها إلاّ بالله ثم قال: اللهم أَجرْني في مصيبتي واخلُف لي خيراً منها فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: (إن العبد إذا قال هذا أخلفَ الله له خيراً منها) ولقد مات أبو سلمةَ فقالت امرأتهُ هذا القول وهي تقول: وَمَنْ خيرُ من أبي سَلَمةَ؟ فأخلفها الله خيراً من أبي سلمة وهو رسول الله ﷺ فتزوجَ بها وصارت من أُمهات المؤمنين، ولم يكن أصلُ هذه العناية الإلهية بها إلا هذا القولَ عندما أُصيبت بموت زوجها أبي سلمة، وإذا مات لك ميت فاجهد أن يصليَ عليه مائةُ مسلمٍ أو أربعون، فإنهم شفعاءُ له عند الله، ثبت في ذلك عن رسول الله ﷺ: (ما مِنْ مسلم يصلي عليه أُمةٌ من المسلمين يَبْلغون مائة كلُّهم يشفعون له إلاّ شفّعوا فيه) وحديثٌ آخرُ قال قال رسول الله ﷺ: (ما من رجلٍ مسلم يموت يقومُ على جنازته أربعون رجلاً لا يُشركون بالله شيئاً إلاّ شفّعهم الله فيه) ومعنى لا يشركون بالله شيئاً: أي لا يجعلون مع الله إلهاً آخر، وروينا عن بعض العرب أنه مَرّ بجنازة يصلي عليها أُمة كثيرةٌ من المسلمين، فنزل عن دابته وصلّى عليها، فقيل له في ذلك: فقال: إنه من أهل الجنة، فقيل ومَنْ بذلك؟ فقال: وأيُّ كريم يأتي إليه جماعة فيشفعون عنده في شخص فيردَّ شفاعتهم؟ لا والله لا يردها أبداً، فكيف الله الذي هو أكرمُ الكرماء وأرحمُ الرحماء؟ فما دعاهم ليشفعوا فيه إلاّ ويقبلُ شفاعتَهم إذا الكريمُ يقبلها، وإن لم يدعهم إلى الشفاعة فيه، فكيف وقد دعاهم؟

اعلم أن الله أمرك أن تتقي النار فقال: **{وَاتَّقُوا النَّارَ}**[188] أي اجعلْ بينك وبينها وقايةً حتى لا يصل إليك أذاها يومَ القيامة، فإنه ثبت أنه (ما من أحدٍ إلاّ سيكلمه الله ليس بينه وبينه تَرْجُمان فينظر أيمنَ منه فلا يرى إلاّ ما قَدّم، ويَنْظُر أشأم منه فلا يرى إلاّ ما قَدّم، وينظُر بين يديه فلا يرى إلاّ النار فاتقوا النارَ ولو بِشِقّ تَمْرَةٍ). ولقد وُشي ببعض شيوخنا بالمغرب عند السلطان بأمر فيه حَتْفُه، وكان أهل البلد قد أجمعوا على ما وُشي به وما قيل فيه مما يؤدي إلى هلاكه، فأمر السلطان نائبهُ أن يجمع الناس ويُحضر هذا الرجل، فإن أجمعوا على ما قيل فيه، يأمر الواليَ أن يقتله، وإن قيل غيرُ ذلك خَلّى سبيله، فجمع الناس لميقات يومٍ معلوم وعَرفوا ما جُمعوا له، وكلُّهم على لسانٍ واحد أنه فاسق يجبُ قتله لا مخالف، فلما جيء بالرجل مَرّ في طريقه بخبّاز فاقترضَ منه نصفَ رغيف فتصدقَ به من ساعته، فلما وصل إلى المحفِل، ـ وكان الوالي من أكبر أعدائه ـ أُقيم في الناس وقيل لهم: ما عندكم في هذا الرجل وما تقولون فيه؟ وسَمُّوه، فما بقي أحدٌ من الناس إلاّ قال: هو عدلٌ رضا، عن آخرهم، فتعجّبَ الوالي من قولهم خلافَ ما كان يعلمه منهم وما كانوا يقولون فيه قبل حضوره، فعلم

أن الأمر إلهيٌ والشيخُ يضحك، فقال الوالي: مم تضحك؟ فقال من صِدْقِ رسول الله ﷺ تعجباً به وإيماناً، والله ما من أحدٍ من هذه الجماعة إلا ويعتقد خلافَ ما شهد به، وأنت كذلك، وكلُّكم عليّ لا لي، فتذكرتُ النار ورأيتها أقوى غضباً منكم، وتذكرتُ نصفَ رغيف ورأيتُه أكبر من نصف تمرةٍ، وسمعتُ عن رسول الله ﷺ يقول: (اتّقوا النارَ ولو بشقِ تَمْرةٍ) فاتّقيتُ غضبكم بنصف رغيف، فدفعتُ الأقل من النار بالأكثر من شِقّ التمرة. وعليك يا أخي بالصدقة فإنها تطفئ غضب الرب ولها ظلُ يوم القيامة يقي من حَرّ الشمس في ذلك الموقف، وإن الرَجل يكون يومَ القيامة في ظل صدقته حتى يُقْضى فيه بين الناس، وما من يومٍ يصبح فيه العبد إلاّ وملكان ينزلان، كذا جاء وثبت عن رسول الله ﷺ يقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً وهو قوله تعالى: **{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}**[189] وقول الآخر: اللهم اعطِ ممسكاً تلفاً يدعو له بالإنفاق مثلَ الأول المنفق، لا يدعو عليه، فإنهم لا يدعون إلاّ بخير، فهم الذين يقولون: **{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا}**[190] وهم الذين قال الله فيهم: إنهم يستغفرون لمن في الأرض، فما أراد المَلَك بالتلف في دعائه إلاّ الإنفاق، وهذا خلاف ما يتوهمه الناسُ في تأويل هذا الخبر، وليس إلاّ ما قلناه، فإن النبي ﷺ يقول في الرجل الذي أعطاه الله فسلّطه على هَلَكَتِه فيتصدقُ به يميناً وشمالاً فجعل صدقَته هلاكَ المال، وهذا معنى تلفِه، والإنفاق ليس إلاّ هلاكَ المال، فهو من نَفَقَتِ الدابة إذا هِلكت فالمال المنفوق هو الهالك لأنه هلك عن يد صاحبه بإخراجه، ولهذا دعا للمنفق بالخلف وهو العِوَض لما مَرّ منه مع ادّخار الله له ذلك عنده إلى يوم القيامة إذا قصد به القربة واقترنت بعطائه النية الصالحة.

وصية: البعد عن المواطن المحرّمة

احذر أن يراك الله حيث نهاك، أو يفقِدك حيث أمرك، واجهد أن يكون لك خَبيَّة عمل لا يعلمُ بها إلاّ الله، فإن ذلك أعظمُ وسيلةٍ لخلوص ذلك العمل من الشَوب، وقليلٌ مَنْ يكون له هذا. وعليك بصيامِ يومِ عرفة، ويومِ عاشوراء، وثابر على عمل الخير في عشْر ذي الحجّة، وفي عشر المُحَرّم، وإذا قدرتَ على صومِ يومٍ في سبيل الله بحيث لا يؤثر فيك ضعفاً في بلائك بالعدو فافعل، وإذا علمت أن النفس تحب أن تمشي في خدمتها فاجهد أن تجعل الملائكة تمشي في خدمتك وتضعَ أجنحتها لك في طريقك، وذلك أن تكون من طلاب العلم، وإن كان بالعمل فهو أولى وأحق وأعظمُ عند الله وهو قوله: **{إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا}**[191] وكذلك إذا خرجت تعود مريضاً ممسياً أو

مصبحاً، فإنك إذا خرجت من عنده خرج معك سبعون ألف ملكٍ يستغفرون لك، إن كان صباحاً حتى تمسيَ وإن كان مساءً حتى تصبحَ. واجهد أن تقرأ في كل صباحٍ ومساءٍ **{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**[192] تقرأ ذلك ثلاثَ مرات على صورةِ ما قلناه، تتعوذ في كلِّ مرة بالتعوذ الذي ذكرناه. وكذلك بعد صلاة المغرب، وبعد صلاة الصبح قبل أن تتكلم وعند ما تسلم من الصلاة تقول: (اللهم أَجِرني من النار سَبْع مرارٍ، وكذلك إذا صليتَ المغرب بعد أن تُسلم وقبل أن تتكلم تصلي ست ركعات: ركعتان منها تقرأ في كل ركعة منها: (فاتحة الكتاب) و(قل هو الله أحد) سِتَّ مرات و(المعوذتين) في كل ركعة من ركعتين، وإذا سلمت فقل عقيب السلام: اللهم سددني بالإيمان واحْفَظْه عليّ في حياتي وعند وفاتي وبَعْد مماتي، وكذلك تقول في إثر كل صلاةِ فريضة إذا سلمت منها وقبل الكلام: اللهم إني أُقدّم إليك بين يدي كلّ نَفَس ولمحةٍ ولحظةٍ وطَرْفةٍ يَطْرُف بها أهلُ السمواتِ وأهلُ الأرض وكلِّ شيء هو في علمك كائن أو قد كان اللهم إني أُقدّم إليك بين يدي ذلك كلِّه: **{اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}**[193] وإياك والإصرار - وهو الإقامة على الذنب - بل تب إلى الله في كل حال، وعلى إثر كل ذنب، ولقد أخبرني بعضُ الصالحين بمدينة قرطبة من أهلها قال سمعتُ أنّ بمرسية رجلاً عالماً أعرفه ورأيته وحضرتُ مجلسه سنة خمس وتسعين وخمسمئة بمرسية، وكان هذا العالم مسرفاً على نفسه، وما منعني أن أُسميّه إلاّ خوفي أن يُعرف إذا سميتهُ، فقال لي ذلك الفقير الصالح: قصدتُ زيارة هذا العالم، فامتنع من الخروج إليّ لراحةٍ كان عليها مع إخوانه، فأبيتُ إلاّ رؤيته، فقال: أخبروه بالذي أنا عليه، فقلت: لا بدّ لي منه، فأمرني فدخلتُ عليه، وقد فرغ ما كان بأيديهم من الخمر، فقال له بعض الحاضرين: اكتب فلا يبعث إلينا شيئاً من الخمر، فقال: لا أفعل أتريدون أن أكون مُصّراً على معصية الله، والله ما أشربُ كأساً إذا تناولته إلاّ وأتوب عقيبه إلى الله تعالى، ولا أنتظر الكأس الآخر، ولا أحدث به نفسي، فإذا وصل الدّوْرُ إليّ وجاء الساقي بالكأس ليناولني إياه، أُنظرُ في نفسي، فإن رأيت أتناوله تناولتُه وشربته وتبتُ عقيبه، فعسى الله أن يَمُنَّ عليّ بوقتٍ لا يخطر لي فيه أن أعصي الله، قال الفقير: فتعجبتُ منه مع إسرافه كيف لم يَغْفل عن مثل هذا، ومات رحمه الله.

وصية: آداب في الطهارة والصلاة

إذا صليتَ فلا ترفعْ بصرَك إلى السماء، فإنك لا تدري يرجعُ إليك بصرُك أم لا، وليكن نظرُك إلى موضع سجودك أو قبلتك، وحافظ على تسوية الصف في الصلاة، وإذا رأيت مَنْ بَرَزَ بصدره عن الصف تردّ إليه، واحذر أن تأتي أمراً عن بصيرة وعلمٍ، ولا تدخلْ في عملٍ لا تعرف حكمه عند الله، وأدّ الحقوقَ في الدنيا فإنه لا بدّ من أدائها، فإن أدّيتُها هنا شكرَ الله فعلك وأفلحت. وعليك بمخالفةِ أهل الكتاب وكلِّ مَنْ ليس على دينك ولو كان خيراً فاطلب على ذلك في الشرع، فإذا وجدته مجملاً أو معيّناً فاعملْ به من حيث ما هو مشروع لك تكنْ مؤمناً، وإذا رأيت ما تكرهه ولا تعرفه فسلمه إلى صاحبه ولا تعترض عليه فإن الله ما ألزمك إلاّ بما تعرف حكم الله فيه فتحكم فيه بحكم الله، ولا تنظرْ إلى إنكارك فيه مع عدم علمك به، فقد يكون ذلك الإنكار من الشيطان وأنت لا تعرف، ورأيتُ كثيراً من الناس يقعون في مثل هذا. وإياك والاعتداء في الدعاء والطهور فإن ذلك مذموم وليس بعبادة، ومثلُ الاعتداء في الدعاء أن تدعو بقطيعةِ رحمٍ وشبهِ ذلك، والاعتداء في الطهور: الإسرافُ في الماء والزيادةُ على الثلاث في الوضوء، وإذا توضأتَ فاعزم أن تجمَع بين مسح رجليك وغَسْلِهما فإنه أولى، ولا تَتْرك شيئاً من سنن الوضوء، فإن من سنته ما فيه خلافٌ بين وجوبه وعدم وجوبه، كالمضمضة والاستنشاق. وإذا صليتَ فاسْكُنْ في صلاتك، ولا تلتفتْ يميناً وشمالاً ولا تَعْبَثْ بلحيتك في الصلاة ولا بشيء من ثِيابك، ولا تشتمل الصّماء[194] في الصلاة، وليكن ظهرك مستوياً في ركوعك، ولا تدبج[195] كما يدبج الحمار، واحذر أن تكون مكاساً وهو: العَشّار، أو مدمنَ الخمر أو مصراً على معصية، وإياك والغُلُول[196] والرّبا، وعليك بالدعاء بين الأذان والإقامة وعليك بذكر لفظة: (الله الله) من غير مزيد فإن نتيجة هذا الذكر عظيمةٌ، قلت لبعض الحاضرين مع الله من شيوخنا ـ وكان ذكره الله الله من غير مزيد ـ فقلت له: لم لا تقول لا إله إلاّ الله؟ أطلبُ بذلك الفائدةَ منه، فقال لي: يا ولدي أنفاسُ المتنَفِّس بيد الله، ما هي بيدي، وكلُّ حرف نَفَس فأخاف إذا قلت: (لا) أريد: لا إله إلا الله، فربما يكونُ النْفس بـ: (لا) آخرَ نفسي فأموت في وحْشّة النفي، وكلمةُ الله فيها من الفائدة ما لا يكون في غيرها، فإنه ما ثَمَّ كلمةٌ تَحْذِف منها حرفاً فحرفاً إلاّ ويَخْتلُ ما بقي، إلاّ هذه الكلمة كلمةَ الله، فلو زال الألف بقي (لله) كلمةٌ مفيدةٌ، ولو زالت اللام الأولى بقي (له) وقد قال تعالى: **{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ}**[197] وقال: **{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}**[198] فلو زال

اللامان والألف بقي الهاء، وهو قولك: {هو} وقد جاء {هو الله}[199] وفي غير هذه الكلمة فيما أظن ما تجد مثلَ هذا، وكان رجلاً أمياً من عامةَ الناس وكان نظره مثلَ هذا واعتباره. وعليك بالتباهي في الأمور الدينية وتزيين المصاحف والمساجد، ولا تنظرْ إلى قولِ الشارع في ذلك: إنه من أشراط الساعة كما يقول من لا علم له، فإن رسول الله ﷺ ما ذَمّ ذلك، وما كلُّ علامة على قرب الساعة تكون مذمومة، بل ذكر رسول الله ﷺ للساعة أُموراً ذَمّها، وأُموراً حَمِدَها، وأُموراً لا حمدَ فيها ولا ذمّ، فمن علامات الساعة المذمومة: أن يَعُق الرجلُ أباه ويَبَرُّ صديقَه، وارتفاعُ الأمانة، ومن المحمودة: التباهي في المساجد وزخرفتُها، فإن ذلك من تعظيم شعائر الله وما يغيظ الكفار، ومما ليس بمحمودٍ ولا مذموم كنزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة، فهذه من علامات الساعة لا يقترن بها حمدٌ ولا ذم، لأنها ليست من فعل المكلف وإنما يتعلق الحمد والذم بفعل المكلف، فلا تجعل علامات الساعة من الأمور المذمومة كما يفعله من لا علم له، ورأيت من القائلين بذلك كثيراً. وحافظ على الصف الأول في الصلاة ما استطعت، فإنه قد ثبت (لا يزال قوم يتأخرون الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار)، وإذا دعوت الله فلا تستبطئ الإجابة، ولا تقل: إن الله ما استجاب لي، فإنه الصادق وقد قال: **{أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}**[200] فقد أجابك إن كان سَمْعُ إيمانك مفتوحاً فقد سمعته، وإلاّ فاتّهم إيمانك بذلك، فإن دعوت بإثم أو قطيعة رحم فإن مثل هذا الدعاء لا يستجيب الله لصاحبه، فإنه تعالى قد شرع لنا ما ندعوه فيه، وهذا هو الاعتداء في الدعاء، وإن الله يستجيب للعبد الداعي بما يجوز فيه الدعاء: لم يُستجب لي، فإنه إذا قال: لم يُستجب لي فقد كذّب الله في قوله: **{أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}** ومن كَذّب فليس بمؤمن، وله الويلُ مع المكذّبين إلاّ أن يتوب. وعليك إذا لم تواصلْ صومك بتعجيلِ الفطر وتأخيرِ السحور، وإن العبد إذا صلى أقبل الله عليه في صلاته ما لم يلتفتْ، فإذا التفتَ أعرض الله عنه، وكان لِما التفت إلاّ إذا التفت لأمر مشروع ليقيم بذلك الالتفات أمراً يختص بالصلاة، كالتفات أبي بكر لمّا سبّح به عند مجيء رسول الله ﷺ فذلك ما أعرض عن الله. واجتنب دخول المسجد إن كنت جنباً، وقراءةَ القرآن ومَسّ المصحف، وكذلك الحائضُ فإنه أخرجُ عن الخلاف، وكلما قدرت ألا تفعل فعلاً إلاّ ما يكون الإجماع فيه أولى ما لم تضطر إليه، مثلُ اجتناب أكل صدقة إن كنت ذا غنى أو قادراً على الكسب، وإياك أن تتقدم على قومٍ إلاّ بإذنهم، ولا تروّع مسلماً بما يروعه منك أيّ شيء كان، وعليك بمجالس الذكر، ولا تتصدقْ إلاّ بطيّبٍ أعني بحلال، وإن كنت مجاوراً بالمدينة فلا يُخْرِجَنك منها ما تلقاه من الشدة فيها من الغلاء واللأواء، ولا تُرِدْ أهلَ المدينة بسوء، بل ولا مسلماً أصلاً، وإذا أصبت من جهةٍ فاجتنبها

وانظر في محاسن الناس، ولا تنظرْ من إخوانك من المؤمنين إلاّ محاسِنَهم، فإنه ما من مسلم إلاّ وفيه خلقٌ سيء وخلقٌ حسن، فانظر إلى ما حَسُن من أخلاقه وَدَعْ عنك النظَر فيما يَسوء من أخلاقه، وإذا صليت فأقم صُلْبَك في الركوع والسجود، واشكر الله على قليل النعم كما تشكره على كثيرها، ولا تستقلل من الله شيئاً من نعمه، ولا تكن لعّاناً ولا سبّاباً، وإياك وبغضَ من يَنْصر الله ورسوله أو يحب الله ورسوله، ولقد رأيت رسول الله ﷺ سنة تسعين وخمسمائة في المنام بتلمسان وكان قد بلغني عن رجل أنهُ يبغض الشيخَ أبا مدين، وكان أبو مدين من أكابر العارفين، وكنتُ أعتقد فيه على بصيرة، فكرهتُ ذلك الشخصَ لبغضه في الشيخ أبي مدين، فقال لي رسول الله ﷺ: (لم تكرهُ فلاناً)؟ فقلت لبغضه في أبي مدين، فقال لي: (أليس يحبُّ الله ويحبني)؟ فقلت له: بلى يا رسول الله إنه يحب الله تعالى ويحبُّك، فقال لي: (فلِمَ تبغضه لبغضه أبا مدين، وما أحببته في الله ورسوله)؟ فقلت له: يا رسول الله من الآن إني والله زَلَلت وغَفَلتُ، والآن فأنا تائبٌ وهو من أحب الناس إلي فلقد نَبّهتَ ونصحتَ صلى الله عليك، فلما استيقظتُ أخذتُ معي ثوباً له ثمنٌ كثير، ونفقة لا أدري، وركبت وجئت إلى منزله فأخبرتُه بما جرى فبكى وقَبِل الهدية، وأخذ الرؤيا تنبيهاً من الله تعالى فزال عن نفسه كرهه في أبي مدين وأحبّه، فأردت أن أعرف سبب كراهته في أبي مدين مع قوله بأن أبا مدين رجل صالح، فسألته فقال: كنت معه ببجاية، فجاءته ضحايا في عيد الأضحى فقسمها على أصحابه وما أعطاني منها شيئاً، فهذا سبب كراهتي فيه ووقوعي والآن قد تبت، فانظر ما أحسنَ تعليمَ النبي ﷺ، فلقد كان رفيقاً رقيقاً، وإذا استرعاك الله رعيةً مسلمين أو أهلَ ذمةٍ فإياك أن تَغُشَّهم ولا تُضمر لهم سوءاً، وانظر فيما أوجب الله عليك من الحقوق لهم فأدِّها إليهم، وعاملهم بها ظاهراً وباطناً سراً وعلانية، ولا تجعل ذمّياً خصمَك يوم القيامة، وإذا رأيت من أحدٍ حالة سيئة يطلب أن تُسْتر عليه فاستره فيها، ولو لم يرد الستر فاسترها أنت عليه على كل حال، وإذا أكلت طعاماً فلا تأكل إكْلَةَ الجبارين متكئاً، وَكُلْ كما يأكل العبدُ فإنك عبد على مائدةِ سيدك فتأدب، وإذا رأيت من يطلب ولايةَ عملٍ فلا تسع له في ذلك، فإن الولاية مندمة وحسرة في الآخرة، وقد أمرك الله بالنصيحة، وإذا رأيت قوماً وَلّوْا أمرهم امرأة فلا تدخلْ معهم في ذلك.

وصية: أدب الأكل والشرب

لا تُسْبَقْ إلى فضيلة إذا وجدتَ السبيل إليها، وانظر في الدنيا نظرَ الراحل عنها والمطالَب بما نال منها، وإذا نكحت فأوْلم بما قدرتَ عليه، وإذا نمتَ أو دخلتَ أو أكلتَ أو شربتَ أو فعلتَ فعلاً

فسمّ الله عليه واذكره، وتناولْ بيمينك أُمورَك كلِّها، إلاّ ما ورد فيه النهي من الشارع، أو ما يجري مجرى النهي، مثلُ الاستنجاء ومسّ الذّكر باليمين أيضاً عند البول والامتخاط، فافعل ذلك كلَّه بيسارك، وإذا أكلتَ مع جماعة طعاماً واحداً فكُلْ مما يَليك، وإذا اختلف الطعام فكُلْ من حيث تشتهي، وقلل النظر إلى من يأكل معك، وصغّر اللقمة وشَدّدِ المضغ، وسَمِّ الله في أول كلِّ لقمة، واحمدِ الله في آخرها إذا ابتلعتها، واشكر الله حيث سَوَّغكها، ولا تكثرِ الشره في الأكل، ولا تسرعْ إلى لقمة أخرى حتى تبلغَ الأولى، وتعاهد المشي إلى المساجد مساجد الجماعات في أوقات الصلوات ولا سيما العتمةُ والصبحُ من غير سراج، تُبَشرْ بالنور التام يوم القيامة، وإذا سمعت من يَعْطِس وحمد الله فشمّته، وإن لم يحمد الله فذكّره بحمد الله، فإذا حمد الله فشمّته ثلاثَ مرات، فإذا زاد في العطاس على ثلاثة فهو مزكوم فادعُ الله له بالشفاء. وإياك أن تخون من خانك، ولا تعتدِ على من اعتدى عليك، فإنّ ذلك أفضل لك عند الله، واعذُر ولا تعتذر فإن اعتذارك يتضمن سوء ظنك بمن اعتذرت له، وابدأ في المعاملة مع الخلق بالأولى فالأولى، وإذا تساوتِ الأُمور وبدأ الله بذكر شيء منها فابدأ بما بدأ الله به، كما فعل رسول الله ﷺ في حجته لمّا أراد أن يسعى بين الصفا والمروة (الذي هو) من شعائر الله فقال: (أَبدأُ بما بدأ الله به سبحانه)، وإذا قمتَ في عبادة الله فأعمل نشاطك، وإذا كسلت فاترك إلّا ما أوجب الله عليك فعله، ولا تعبد الله بكسلٍ فإن ذلك استهانة بجناب الله، ولا تكن من الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وإذا صليت وأحدٌ ينظر إليك فانوِ في تحسين صلاتك تعليمَه، وأخلص لله عبادتَك فإنه ما أراد أن تعبده إلاّ مخلصاً، وافعلْ ما أوجب الله عليك فعلَه ولا بدَّ، سواء كسلت أو كنت نشيطاً، وإنما أمرتك بالترك في النوافل، ولا تعبد الله بكسل وانتقل إلى نافلةٍ غيرها، ولا تُحَسّن صلاتك في الملأ دون الخَلا، فإنْ فَعَلَ ذلكَ مَنْ فعله فإن ذلك الفعلَ استهانةٌ استهان بها رَبه، وكذا ثبت، وإن كنتَ ممن يَصلُح للإمامة فصلّ خلف الإمام فإنه إن أحدث الإمام في الصلاة استخلفك، وإن لم تكن من أهلها فصل يمين الصف أو يساره وحافظْ على الصف الأول، وإذا رأيت فُرجة في الصف فسدَّها بنفسك، فلا حرمةَ لمن رآها وتركها، وتَخَطّ رقابَ الناس إليها، وسارع إلى الخيرات وكنْ لها سابقاً، ونافس فيها قبل أن يُحال بينك وبينها، وإياك أن تتخلى في طريق الناس أو في ظِلّهم ولا تحتَ شجرةٍ مثمرة، ولا في مجالس الناس، ولا تبل في هواء ولا في حُجْر ولا في ماء دائم ثم تتوضأ منه أو تغتسل فيه، واتّقِ الله في زوجتك وولدِك وخادمِك وفي جميع مَنْ أَمرَك الله بمعاملته، واحذر فتنةَ الدنيا والنساءِ والولدِ والمالِ وصحبةَ السلطان، واتق الله في البهائم، واجعل من صلاتك في بيتك، وَعيّن في بيتك مسجداً لك تتنفل فيه وتصلي فيه فريضتك إن

اضطُرِرت إلى ذلك، وأكثر من قراءة القرآن بتدبرٍ إن كنت عالماً، فإنه أرفعُ الأذكار الإلهية، وإن كنتَ في جماعة يقرؤون القرآن فاقرأ معهم ما اجتمعتم عليه فإنْ اختلفوا[201] فقم عنهم، وحافظْ على قراءة الزهراوين: البقرة وآل عمران، وإذا شرعت في سورة من القرآن فلا تتكلمْ حتى تختمها، فإن ذلك دأبُ العلماء الصالحين، ولقد حدثني غيرُ واحد بقرطبة عن الفقيه ابن زرب صاحبِ الخصال أنه كان يقرأ في المصحف سورةً من القرآن، فمرّ عليه أميرُ المؤمنين بقرطبة زمانَ بني أُمية، فقيل للخلفية عنه، فمسك رأسَ فرسه وسلّم عليه، وسأله فلم يكلمْه الشيخُ حتى فرغ من السورة، ثم كلّمه، فقال له الخلفية في ذلك فقال: ما كنت لأتركَ الكلام مع سيدك واكلِّمك وأنت عبده، هذا ليس من الأدب، ثم ضرب له مثلاً به وبعبيده، فقال: أرأيتَ لو كنتُ في حديثٍ معك وكلمني بعضُ عبيدك أَيَحْسُن مني أن أترك الكلام معك وأقطعه وأكلم عبدك؟ قال: لا، قال: فإنك عبدُ الله فبكى الخليفةُ. ولقيتُ جماعة على ذلك من شيوخنا، منهم أبو الحجاج الشربلي بإشبيلية، وكان كثيراً ما يقرأ القرآن في المصحف إذا خلا بنفسه.

وإذا دخلتَ على مريض أو ميتٍ فاقرأ عنده سورة يس فإنه اتفق لي فيها صورةٌ عجيبةٌ وهي: أني مرضتُ فغشي علي في مرضي بحيث أني كنتُ معدوداً في الموتى، فرأيتُ قوماً كريهي المنظر يُريدون أذيتي، ورأيتُ شخصاً جميلاً طيّب الرائحةِ شديداً يُدافعهم عني حتى قهرهم، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا سورةُ يس أدفعُ عنك، فأفقتُ من غشيتي تلك، وإذا بأبي رحمه الله عند رأسي يبكي وهو يقرأ يس وقد ختمها، فأخبرتُه بما شهدتُه، فلما كان بعد ذلك بمدة رويت[202] في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (إقرَؤوا على موتَاكم يس). وعليك بالصلاة في النعال إذا لم يكن بها قذرٌ، والمشي في النعال، واستوصِ بطالب العلم خيراً وبالنساء خيراً، واعتدلْ في السجود إذا سجدتَ في الصلاة أو في القرآن ولا تبسُط ذراعيك في سجودك كما يفعل الكلبُ، ولا تكلف نفسك من العمل ما لا تُطيقه وتعلمُ أنك تدوم عليه، وإذا حضرت عند ميت فلِّقنه: (لا إله إلاّ الله) ولا تسيء الظنَ به إذا لم يقل ذلك أو تراه يقول: (لا)، فإني أعلمُ أن شخصاً بتونس جرى له مثلُ هذا، وكان مشهوراً بالصلاح، فلما أفاق قيل له في ذلك، فقال: ما كنتُ معكم وإنما جاءني الشيطانُ في صورة مَنْ سلف ودرجَ من آبائي وإخواني، فكانوا يقولون لي: إياك والإسلام، مُتْ يهودياً أو نصرنياً، فكنتُ أقولُ لهم: (لا) حتى[203] سمعتموني أقولُ لهم: (لا) إلى أن عصمني الله منهم: وإذا كان لك صاحبٌ فعُدْه إن مَرض، وصَلّ عليه إن مات، وشَيّعْ جنازته، وإذا شيعتَ جنازته: فإن كنت راكباً فامشِ خلفها، وإن كنت ماشياً فامشِ بين يديها، وإذا حضرتَ دفن ميتٍ من المسلمين فلا تنصرف عن قبره، وقِف

ساعةً قدْرَ ما يُسأل، فإنه يجدُ لوقوفك أنْساً، وإن حملتَ جنازةً فأسرع بها فإن كان خيراً سارعت بها إليه، وإن كان شراً حططته عن رقبتك، ولا تذكر مساوئ الموتى، وغطِ الإناء الذي تشربُ منه، وأوْكِ السقاء فإنك لا تدري لعل حيواناً مُضراً ذا سم شربَ منه، وأطفئ السراج عند نومك، وأغلقْ بابك إذا أردت النومَ فإن الشياطين لا تفتح باباً مغلقاً، وإذا أغلقت بابك فسمِّ الله عند غَلْقه، وأقرأ آيةَ الكرسي عند نومك، وسدّد في الأُمور وقاربْ، ما استطعت فاعمل الخيرَ ولا تقل: إن كان الله كتبني شقياً فأنا شقي، وإن كان كتبني سعيداً فأنا سعيدٌ فلا أعمل، فاعلم أنك إذا وُفِّقت لعمل الخير فهو بُشرى من الله أنك من السعداء، فإنه لا يُضيع أجرَ مَنْ أحسن عملاً، وإن الله يقول: **{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}**[204] وقال ﷺ: (اعْمَلوا واتّكلوا، فكلٌّ مُيَسّرٌ لِمَا خُلِقَ له) فَمَنْ خُلق للنعيم فسنيسره لليسرى، ومن خلق للجحيم فسينسره للعسرى، وعليك بذكر محاسن مَنْ تعرفُ من الموتى، والكفِ عن ذمر مساويهم، وأنزلْ كلَّ أحدٍ منزلة تكنْ عاقلاً عادلاً منصفاً، واتركْ حقك لأخيك ما استطعت، وأَقِلْ عثرات أهل المروءات والهيئات، إلاّ في إقامة الحدود المشروعة إن كنتَ حاكماً ذا سلطان، وإن كنتَ ذا ثروة وحظٍ من الدنيا فارتبطْ فرساً أو جملاً في سبيل الله وامسح بنواصيها وأعجازها وقلّدها، ولا تقلدها وتراً، ولا تعلق عليها جرساً، وجاهد بمالِك ونفسِك مَنْ أشرك بالله تعالى، واشفع إلاّ في حدٍ إذا بلغَ إلى الحاكم، والبس البياض من الثياب، فإنه خيرُ لباس المؤمن وأطهره وأطيبُه، وكفّن الميتَ فيه، وإذا جاءك سائلٌ في العلم أو غيره فلا تنهْرهُ، ولا تخيب مَنْ جاء يَسْترفدك مما فضّلك الله عليه به من الرزق ولو بشق تمرة. وأكثِرْ من زيارة القبور، ولا تكثْر من الجلوس عندها، ولا تقل هجراً بل اجلس ما دمتَ تعتبر وتَذْكُر الآخرة، ولا تؤذ أصحاب القبور بالحديث عندها في أُمور الدنيا، وبلّغْ عن رسول الله ﷺ ولو خبراً واحداً أو آية فإنك تُحشر بذلك في زمرة العلماء المبلغين، ومُرْ الصبي بالصلاة لسبع سنين، واضربه عليها لعشر سنين، وفرق بين الصبيان في المضاجع، وإياك أن تقضي إلى أبيك أو أخيك في الثواب الواحد، وتابعْ بين الحج والعمرة، وإن جاورتَ بمكة فأكثر من الاعتمار والطواف إذا قدرت على ذلك ولا سيما في رمضان، فإن عمرةً في رمضان تَعْدِل حجة، هذا هو الثابت، وأكثر من أكل الزيت والادّهان به، وإذا اشتريت طعاماً فاكْتَله، واجتنب السبعَ الموبقات وهي: الشركُ بالله، والسحرُ، وقتلُ النفس التي حَرّم الله إلاّ بالحقن وأكلُ مال اليتيم، وأكلُ الربا، والتولي يوم الزحف، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات.

وصية: كثرة السجود والالتزام بصلاة الجماعة

عليك بكثرة السجود وعليك بالجماعة، وإنْ قدرت أن تسكن الشامَ فافعل، فإنّ رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال: (عليكم بالشام فإنه[205] خِيْرَة الله من أرضه، وإليها يجتبي خيْرَته من عباده) وإياك والحديثَ بالظن، فإن الظن أكذبُ الحديث، وإياك والحسدَ، ولا تجلس على الطرقات، ولا تدخل على النساء المغنيات، وإذا بِعْتَ فلا تكثر من اليمين على سلعتك، وإياك أن تتقلد أمراً من أُمور المسلمين، فإن أُلجئت إلى ذلك فلا تَحكم بين اثنين وأنت غضبان، ولا وأنت حاقن أو حاقِبٌ[206] ولا جائع ولا وأنت مستوفز[207] لأمر لا بدّ لك منه، واعدل بين رجْلَيْك إذا انتعلت أو وضعت إحدى رجليك على الأُخرى، وإذا ركبت فلا ترحِ الواحدة وتتعب الأُخرى، واعلم أنّ جوارحك من رعيتك، فاعدل فيها، فإن الله أمرك بالعدل فيما استرعاك فيه، وإن كنتَ مملوكاً فلا تقلْ لمالكك: ربي وقلْ: سيدي، وإن كان لك مملوك أو مملوكة فلا تقل: عبدي ولا أَمتي، وقل: غلامي وجاريتي، ولا تقل لأحدٍ: مولاي، فإن المولى هو الله، وقد نُهيتَ أن تقول: خَبُثَتْ نفسي، وقل: لَقِسَتْ نفسي[208] وإذا طلب منكَ جارُك أن يَغْرِز خشبة في جدارك فلا تمنعه، ولا تنظر إلى عورة أحدٍ ولا في بيته إلاّ بإذنه، ولا تصحْب إلاّ مَنْ تجدُ في صحبته الزيادةَ في دينك وإيمانك، وقدِّمْ في معروفك كلّ تقي،ولا تُعْطِ الفاجرَ ما يستعين به على فجوره. وإن كانت لك زوجةٌ وضربتها لأمر طرأ منها فلا تجامِعْها من يومها، وإياك أن تسأل بوجهِ الله شيئاً إلاّ الله في جنته ورؤيته، وأما في شيء من عَرضَ الدنيا فلا، وإن ركبتَ البحر فلا تركبه إلا حاجّاً أو معتمراً ما استطعت، ولا تخطُب امرأة على خطبة أخيك، ولا تَسُم على سَوْمِهِ حتى يَذرَ، وإن كنتَ ضيفاً عند قوم فلا تَصُم إلاّ بإذنهم، وإن كنت في خدمةِ شيخ فلا تَصُم ولا تتحرك إلاّ بإذنه، والمرأةُ لا تصوم إلاّ بإذن زوجها صومَ النافلة أو قضاء شهر رمضان، ولا تأذنُ في بيت زوجها إلاّ بإذنه إذا كان حاضراً، ولا تسألُ المرأةُ طلاقَ أُختها لتنكح بعلها، ولا تسافر امرأة فوقَ ثلاث إلاّ مع ذي محرم، وإذا دعوت الله بالمغفرة فاعزم المسئلة ولا تقل: اغفر لي إن شئت، واطلب رحمةَ الله وغفرانَه، ولا تستكثر شيئاً تسأله من الله، فإن الله كبير عنده فوق ما تأمله، وإياك أن تتصرف في مال أخيك إلاّ بإذنه، وإذا أصبحتَ في كل يوم فقل: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك، اللهم مَنْ آذاني أو شتمني أو أغضبني أو فعل معي أمراً يفضي إلى الحكم فيه أُشْهدك يا رب أني قد أسقطتُ طلبي عنه في ذلك دنيا وآخرة، وإذا شربت ماء فاشرب قاعداً، ولا تقل: يا خيبةَ الدهر فإن الله هو الدهر، هذا ثابت عن رسول الله ﷺ، وإياك أن تُبرز فخذك حتى يُرى منك، ولا تنظر إلى فخذٍ حي ولا ميت، وإياك أن تقعد على قبرٍ، ولا تصلّ وأنت تستقبله أو إنساناً في

صلاتك ووجْهُه إليك، ولا تتخذِ القبر مسجداً ولا تتمنَّ الموتَ لضُرٍّ نزلَ بك بل قل: اللهم أحيني ما كانت الحياةُ خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي، وإذا أردتُ بقوم فتنةً فاقبضني إليك غيرَ مفتون، والله أعلم بالصواب.

وصية: توجيهات ووصايا لرسول الملوك

لا تكن وصياً ولا رسولَ قوم ولا سيما بين الملوك، ولا شاهداً، واحذر إذا اغتسلت أن تبول في مستحمك، بل إعتزل عنه، وتحفظْ من النذر ما استطعت، فإذا تنذرك، فإن رسول الله ﷺ قد شهد بالبُخل لمن نذر، وإياك أن تتمنى لقاءَ العدو، فإذا لقيته فاثبُت ولا تفرّ، وإياك وسبّ المؤمنين ولا سيما الصحابةُ على الخصوص، فإنك تؤذي النبي ﷺ في أصحابه، ولا تسُبّ الريح فإن الريح من نَفَس الرحمَن، ولكن سلِ الله خيرَها وخيَر ما أرسلت به، واستعذ بالله من شرها وشر ما أرسلت به، وإذا لبستَ ثوباً جديداً فسمِ الله وقل، اللهم أعطني خيره وخَير ما صُنع له، واكفني شرّه وشرَ ما صنع له، ولا تصلّ إلى النائمين إذا كانوا في قِبلتك، وإذا صليت فلا تُصل وفي قِبلتك نائم أو متحدث، وإياك ولباسَ ما حَرّم الشرعُ عليك لباسَه كالحرير والذهب، ولا تجلس على الحرير، وإذا لقيت ذمّياً فلا تَبْدأه بالسلام، واضطره إلى أضيق الطريق، وانْتَهِ أن تسمّي العِنَبةَ الكرمَ بل قل: العنبة والحبَلَةُ ولا تقل: الكرم، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك: (لا تُسَمّوا العنبَ الكرمَ، فإن الكرم الرجلُ المسلم، فلا تقولوا الكرمُ وقولوا العنبُ والحَبَلة[209]) وإياك أن تُصَرَّي[210] الإبلَ والغنم إذا أردتَ بيعها إلاّ أن تُعْلم المشتري بأنها مصرّاة، وإياك أن تحلف بغير الله جملة واحدة، ولا تُكفّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ إلاّ من كَفّره رسول الله ﷺ، وإن كانت له زوجةٌ تريدُ الصلاة في مسجدِ الجماعة فلا تمنعها من ذلك: ولكن عَرّفها أنّ بيتها خيرٌ لها وأفضلُ لها، واحذر أن تدعَو على نفسك في غيظ ولا غيرِ غيظ، ولا على ولدك ولا على خادمك، ولا على مالك، ولا تُكره المريضَ على الطعام، وإياك أن تعذبَ بالنار أحداً، وإذا أكلت لحماً فانهَشه ولا تقطعه بسكينٍ.

وصية: التحبب إلى الناس

إذا حضر الطعامُ والصلاةُ فابدأ بالطعام، وإياك والصلاةَ وأنت حاقن تُدافعُ الأخْبَثَيْن، وإذا أمرك مَنْ فَرَض الله تعالى عليك طاعتَه بمعصية فلا تطعه، وإياك وما يُعْتذر منه، فما كُلُّ مَنْ أورثْتَه

تكريهاً أو سمعتَه عذراً، وأصغِ إلى من يُحدثك وإن كان قذراً، فإن لكل أحد عند نفسه قدراً، فإنك آخذٌ بقلبه بذلك، ويكون لك لا عليك، وإن الله قد أمرك بالتحبب إلى الناس، وهذا من التحبب إلى الناس، وإذا كانت لأحدٍ عندك شهادة لا يعرفها، وقد اضطُرّ إليها فعرّفه بها واشهدْ له، وامنحْ أخاك الفقيرَ مِنْحةً ما قدرت عليها فإنّ أجرها عظيم، وليكن خوفك من الله ورجاؤك فيه بالإيمان على السواء، وغَلّب الرجاءَ وحسّن الظنَ بالله، واطمع في رحمته، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: (لَوْ يَعلمُ الكافرُ ما عند الله من الرّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنّته أحدٌ). وإياك أن ترد الهديةَ ولا تحقرها ولو كانت ما كانت، وعليك بالتوبة إلى الله مع الأنفاس، وإذا شاركتَ أحداً في شيء فلا تَخُنْه، وإذا فعلت فعلاً فحسّنه، فإن الله كتب الإحسان على كل شيء وعليك بالتواضع وعدم الفخر على أحد، قال عليٌّ بنُ أبي طالبٍ القَيْرَوانيُّ في ذلك:

الناسُ من جهةِ التمثيل أكْفاءُ	**أبوهُـــم آدمُ والأمُ حوّاءُ**
فإنْ يكُنْ لَهُم مِنْ أَصْلِهِمْ نَسَبٌ	**يُفَاخِرُون به فالطينُ والماءُ**
ما الفضلُ إلاّ لأَهل العلم إنّهُمُ	**على الهُدى لِمَن اسْتَهْدَى أَدِلاّءُ**
وَقَدْر كُلِّ إمرىءٍ ما كانَ يُحْسنه	**والجاهلونَ لأَهل العلم أعداءُ**

لا فَخْرَ إلاّ بتقوى الله فإنه نسبُ الله الذي بينه وبين عباده. وإياك والقِيْلَ والقالَ فيما لا ينبغي ولا يَعني، ولكن في إيصال الخير خاصة، وإياك وكثرةَ السؤال إلاّ في البحث عن دينك الذي في علمك به سعادتُك {**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**}[211] وقد علمت أنه ما لأحدٍ حركةٌ ولا سكونٌ ولا دخولٌ ولا خروجٌ إلاّ وللشرع فيها حُكمٌ من أحدِ الأحكام الخمسةِ، فإذا لم تعلم فاسأل عَنْ كلِّ شيء يكونُ الحكمُ فيه ما حكمَ الشرعُ فيه، واطلب على دفع الحرج ما استطعت، وغلّب الحرمة، وخذ بالعزائم في حق نفسك، وإياك وإضاعةَ المال وهو: إنفاقه في معصية الله، ومن إنفاقه في معصية الله إعطاؤه لمن يُعلَمُ منه أنه يُخرجه فيما لا يرضي الله، فإن لم يُعلَم ذلك فلا بأس. ولا تفارق أحداً وهو على ما لا يرضي الله وتعتقد فيه أنه باق على ما فارقته عليه لا سبيل إلى ذلك، وإنما ذلك في الأحكام المشروعة، فإنهم يَرَوْن استصحاب الحال المعلومة من الشخص حتى يقومَ لهم دليلٌ على زوالها، فيستصحبون الحال أيضاً فيما رجع إليه حتى يدل دليل على ذهابه، وإياك أن تكون مُعَنِّتا أو

متعنّتا ولا منفراً ولا معسراً وكن ميسراً ومعلماً ومبشراً، وإياك أن تأتي الفواحشَ الظاهرةَ والباطنة، فإن الله أحقُّ مَنْ يستحيا منه، ولا تَغْتَرّ إذا كنتَ على طريقة غير مرضية بما يُملي الله لك فإن الله يقول: {**أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**}[212] فاحذر مكرَ الله بك في ذلك، ولا تيأس من رَوْح الله، إنه لا ييأسُ من رَوْح الله إلاّ القوم الكافرون، وإياك وكلَّ مزيل للعقل مثل شربِ الخمر وغيره، وإياك والتصنّعَ في الكلام، ولا تقرأ القرآن في صلاتك راكعاً ولا في حال سجودك، بل قلْ في ركوعك (سبحان ربّيَ العظيم وبحمده) وَعَظّم ربّك فيه، وفي سجودك (سبحانَ ربيَّ الأعلى وبحمده) وأدنى القولِ ثلاثُ مرات إلى ما فوقها.

وصية: الاستغفار - معاملة الزوجة والنزول إلى مستواها العقلي

عليك بكثرة الاستغفار ولا سيما بالأسحارِ في حقك وفي حق غيرك، فلله ملائكةٌ يستغفرون لمن في الأرض عموماً، ولله ملائكةٌ يستغفرون للذين آمنوا خصوصاً، في كل حال وعند القيام من مجالس تَحَدُّثِك. وعليك بالصدق في المواضع المشروع لك الصدقُ فيها، ولا تجبُن ولا تخف، واجتنب الكذب في الموضع المشروع لك اجتنابُه، وخَفْ ثلاثةً: خَفِ الله، وخفْ نَفْسك، وخَفْ مَنْ لا يخافُ الله، وإن كنت خطيباً فَقَصّر الخطبة وأطل صلاةَ الجمعة فإن ذلك من فِقْه الرجل، وعليك بالحضور مع الله والنية الصالحة في كل ما تعمله من عمل، وعليك بإكرام ذي الشيبة، وعليك بإكرام حَمَلة القرآن، وعليك بإكرام الحاكم العادل، وإياك والدَّين فإنه فكرةٌ بالليل وذِلةٌ بالنهار، واحذر أن يُقيمك لعبادة ربك شيءٌ من زينة الحياة الدنيا فإنك لما أقامك، وَلا لأُغراض النفوس، فإن الأغراض أمراضٌ حاضرة، فإنه مما رَوَيْنا في مثل ذلك أن رجلاً من الأبدال كان يمشي في الهواء مع أصحابه فَمرّوا على روضةٍ خضراء فيها خَرّارةٌ، فاشتهى أحدُهم أن يتوضأ من ذلك الماءِ ويصليَ في تلك الروضةِ لما أعجبه من ذلك، فسقط مِنْ بَيْن الجماعة وتركوه وانصرفوا، وانحطَّ عن رتبته بهذا القدر، فانظر في هذا السر ما أعجبه فإن فيه معنى دقيقاً، وقد وعظك الله بهذه الحكاية إن كنت اتّعظت، وإن استطعت أن لا تمر عليك ساعةٌ من ليلٍ أو نهارٍ إلاّ وأنتَ داعٍ فيها ربَّك فافعلْ، وإذا أديتَ زكاةً فانوِ في أدائها أداءَ حقٍّ تدفعه لوكيلِ صاحبِ الحق، وهو العامل عليها الذي نصّبه الحق، ولا تدفع زكاتَك لغيرِ عامل السلطان إلاّ بأمر السلطان، فتكونَ أنت عينَ العامل عليها، فلا تبرأ ذمتك إلاّ إن فعلت ما ذكرتُه لك، وإنْ ظَلَمَ العامل أربابها فهو المسؤول عن ذلك لا أنت، وقد دخَلتْ على الناس في هذا شبهة لا يعرفونها إلاّ في الدار الآخرة، واحذر أن تتصدق على شريف من أهل البيت،

ولكن انوِ فيما توصله إليهم الهديةَ لا الصدقة، فإنك إنْ نويتَ الصدقةَ عليهم أَثِمْتَ إلاّ أنْ تُعرِفهم بذلك، فإن أكلوا صدقَتك بعد تعريفك فقد أثموا بأكلها، وأثمت حيث أعطيتَهم ما لا يجوز لك أن تعطيه إياهم وتخيَلت القربَ في عين البعد. وإياكَ أن تخوض في مال الله بغير حق، وإياك أن تنتفي عن أبيك كان من كان، ولا تتبع عوراتِ الناس ولا مثالَبهم واشتغلْ بنفسك وحَسّن أدبَ ابنك واسمَه، وإنْ ابتُليت بصحبة الزوجة فَدَارِها وتَنَزّل من عقلك إلى عقلها، فإن ذلك من الرجال، فإنّ أصلها على ذلك، فعامل كلِّ شخصٍ من حيث هو، لا ما أنت عليه، فإن الغالب على النساء أنهن لا يستطعن أن يَبْلُغن مبلغَ الرجال الكُمّلِ إلاّ من جاء النص بكمالهما وهما: مريمُ بنتُ عمران، وآسيُة امرأة فرعون، فإن النص ورد فيهما بالكمال من النبي ﷺ، وعليك بالعدل في الحكم، وإطفاءِ النار إذا فرغت من حاجتك إليها، وعليك باستعمال الحبّة السوداءِ وهي الشونيزُ في جميع أمراضك، فإنها شفاءٌ من كل داء إلاّ السّام، والسام: الموتُ. ولقد أُبتلي عندنا رجل من أعيان الناس بالجذام، وقال الأطباءُ بأجمعهم لمّا أبصروه، وقد تمكنتْ العِلّةُ منه: ما لهذا المرض دواءٌ، فرآه رجل من أهل الحديث من بني عفير من أهل لبلة[213] يقال له: سعد السعود، وكان عنده إيمان بالحديث عظيمٌ يقطع به، فقال له: يا هذا لم لا تُطِبْ نفسك؟ فقال له الرجل: إن الأطباء قالوا: ليس لهذه العلة دواء، فقال: كذبتِ الأطباء، والنبيُّ ﷺ أصدقُ منهم، وقد قال في الحبة السوداءِ (إنها شفاءٌ من كل داء) وهذا الداء الذي نزل بك من جملة ذلك، ثم قال: عَليّ بالحبة السوداءِ والعسل، فخَلط هذا بهذا، وطلى بهما بدنه كله ورأسَه ووجهه إلى رجليه، وألعقه من ذلك، وترَكه ساعةً، ثم إنه غَسَل ذلك عنه، فانسلخ من جلده ونبت له جلدٌ آخر ونبت ما كان قد سقط من شعره، وبرئ وعاد إلى ما كان عليه في حال عافيته، فتعجب الأطباء والناسُ من قوة إيمانه بحديث رسول الله ﷺ، وكان - رحمه الله - يستعمل الحبة السوداء في كل داء يصيبه، حتى في الرمد، إذا رمدت عينه اكتحل بها فيبرأ من ساعته.

وصية: المحافظة على عرض المسلم

ادفع عن عرض أخيك المسلم ما استطعت ولا تخذله إذا انتُهكت حرمته، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: (ما مِنْ امرئٍ مُسْلِمٍ يخذل امرءاً مسلماً في مَوْضعٍ تُنْتَهك فيه حرمته ويُنْقصُ به من عرْضه إلاّ خَذلَه الله في موضعٍ يُحب نصرته). وما رأيت أحداً تحقق بمثل هذا في نفسه مثلَ الشيخ أبي عبد الله الدقاقِ بمدينة فاس من بلاد المغرب، ما اغتاب أحداً قطُّ، ولا اغتيب بحضرته أحدٌ قطُّ، وكان يقول هذا عن نفسه، وربما كان يقول: لم يكن بعد أبي بكر الصديق ﷺ صدّيقٌ مثلي، ويذكر

هذا وكان نِعْم السيد، خَرّج ذكْره ومناقبه شيخُنا أبو عبد الله محّمد بنُ قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميميُّ الفَاسيُّ الإمامُ بالمسجد الأزهر بعين الخيل من مدينة فاس في كتاب له سماه: (المستفاد في ذكر الصالحين من العباد) أو في ذكر العُبّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، سمعنا هذا الكتاب عليه بقراءته أظنُّ سنةَ ثلاث وتسعين وخمسمائة. وإذا لقيت أحداً من المسلمين فصافِحْه إذا سلّمتَ عليه ولا تنحن له كما يفعله الأعاجم، فإن ذلك عادةُ سوءٍ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ قيل له: إذا لقي الرجلُ الرجلَ أينحني له؟ قال: (لا) قيل له: أيصافحه؟ قال: (نعم) وقد ثبت أنه قال: (ما منْ مُسْلِميْن يتصافحان إلاّ غفرَ لهما قبل أن يتفرقا) وأوص أهلَك وبناتِك ونساءَ المؤمنين أن لا يخلعن ثيابهن في غير بيوتهن، وإياك أن تبيتَ ليلةً إلاّ ووصيتُك عند رأسك مكتوبةٌ، فإنك لا تدري إذا نمت هل تصبح من الأحياء أو في الأموات، فإن الله يُمسِك نفس الذي قُضي عليه الموتُ في النوم إذا هو نام، ويرسل الأُخرى إلى أجلٍ مسمى، والتواضع للخلق رفعة عند الله، ولا تكثر مجالسة النساء ولا الصبيان، فإنه ينقص من عقلك بقدْر ما تنزل إلى عقولهم، مع الفتنة التي تخاف منها في مجالسة النساء، وأوصِ نساءك أن لا يخْضَعْنَ في القول فيطمعَ الذي في قلبه مرضٌ، وأن يقعدن في بيوتهن ويَغْضضن من أبصارهن، ولا يبدين زينتهن إلاّ حيث أمرهن الله، وإياك ودخول الخدام على نسائك، فإنهم من أولي الإرْبة، واحجب نسائك عنهم كما تحجبهم عن فحول الذُّكران فإنهم من الرجال، وكن نِعْم الجليس للملك القرين الموكل بك، وأصغِ إليه، واحذر من الجليس الثاني الذي هو الشيطان، ولا تَنْصر الشيطان على الملك بقبولك منه ما يأمرك به، واخذله واستعنْ بقبولك من المَلك عليه، وأكرمْ جلساءك من الملائكة الكرام الكاتبين الحافظين عليك فلا تُمْلِ عليهم إلاّ خيراً فإنك لا بد لك أن تقرأ ما أمليته عليهم، واحذر من بسط الدنيا عليك إذا بسطها الله أن تتصرف فيها أو تصرفها في غير طاعة الله، ولا تعصِ الله بنعمهِ، فإن مِنْ شُكْرِ النعمة أن تطيع الله بها وتستعين بها على طاعة الله، وإياك والتنافس في الدنيا، وأقلل منها ما استطعت، ومن صحبةِ أهلها فإنّ قلوبهم غافلةٌ عن الله بحبها، وإذا غفل القلب عن الله لم ينطق اللسان بذكر الله، إلاّ إن ذكره في يمين لا يكون فيها باراً أو فيما لا يجوز له أن يذكره فيه مما يمقته الله على ذلك الذكر.

وصية: البطنة تذهب الفطنة - اتّباع الإمام - الخروج من الخلافة

إياك والبِطنةَ فإنها تَذْهبُ بالفطنة، وكُلْ لتعيش وعِشْ لتطع ربك، ولا تَعش لتأكل، ولا تأكل لتسمن، فما مُلِئ وعاءٌ شرٌ من بطنٍ مُلىء من حلال، وعليك بلقيماتٍ يُقِمْن صُلبَك، وإذا صليتَ خَلْف

إمام فاقتدِ به واتّبعه، فلا تكبّر حتى يكَبّر، ولا تركعْ حتى يركعَ، ولا ترفعْ حتى يرفعَ، ولا تسجدْ حتى يسجدَ، وإذا أمّن بعد الفراغ من الفاتحة فأمّنْ ولا تختلف عليه، وإذا كنت إماماً فاقتدِ بأضعف القوم ولا تُطِل عليه حتى تُكَرّه إليه الصلاة، بل خفف في تمام ركوعٍ وسجودٍ، وإذا قرأت آية فانظر أين أنت منها، وإذا سمعت الله يقول: {يا أيها الناس} أو {يا أيها الذين آمنوا} فكن أنت المخاطبَ، وافتح له أُذنَ فهمك لِمَا يقول لك في هذا التنبيه، فكن في قبولك ذلك بحسب ما يقول، إنْ نهاك فانته، وإن أمرك فافعل منه ما استطعت، فإذا سمعت منه أمراً لا تستطيع فعله فما أنت المأمور به في تلك الحال فاعلم هذا: **{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا}**[214] وإذا قال الإمام: (سمع الله لمن حمده) فاعتقد أن ذلك القول قاله الله على لسان عبده فقل أنت: (ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربنا ويرضى ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعدُ، أحقُّ ما قال العبد، وكلنا لك عبدٌ، لا مانعَ لما أعطيتَ ولا معطيَ لما منعتَ ولا ينفع ذا الجد منك الجد) وقل في ركوعك ثلاثَ مرات (سبحان الله العظيم) أو (سبحان ربي العظيم وبحمده) وقل في سجودك ثلاثَ مرات (سبحانَ ربيّ الأعلى وبحمده) وذلك أدناه، وقد ذهب ابن راهويه إلى أن المصلي إذا لم يعل ذلك ثلاثَ مرات في ركوعه وثلاثَ مرات في سجوده لم تَجُز صلاته، وقد قدمتُ إليك بالوصية أن تخرج من الخلاف ما استطعت، وإذا أردت الحج فإن كان لك هَدْيٌ فأحرِم بالحج أو قارنْ بين الحج والعمرة، وإن لم يكن لك هَدْيٌ فأحرم بُعمرة ولا بدّ متمتعاً واخرُج من الخلاف إذا فعلت هذا، وإن جهلتَ وأحرمتَ بالحج وما معك هديٌ فافسخ وردّها عمرةً، هكذا أمر رسول الله ﷺ أصحابه في حجة الوداع، أمرَ بالفسخ لمَن لم يكن له هدي، وإذا حضرتَ عند مريض أو ميت فلا تقل إلاّ خيراً، وإذا رأيت إناءً قد وَلغَ[215] فيه كلب فأهرقه ولا تتوضأ بذلك الماء، واغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مراتٍ، إحداهن بالتراب، ولا تُدْخل يدك في إناء وضوئك إذا قمت من النوم، واجتنب النجاساتِ أن تَمَسّ ثيابك، وإذا بُلْتَ فاستتر من بولك، وإذا كنت في سفر وجئت فلا تطرق أهلك ليلاً، وابدأ بالمسجد فصل فيه ركعتين، وحينئذٍ تنصرف إلى بيتك، ولا تَفْجأهم بالقدوم عليهم، وقَدّم بين يديك مَنْ يُعَرّفهم ليلقَوْكَ بما يسرك، ويصلحوا من شأنهم ما تكره أن تراهم فيه، وإذا كان بين يديك طعامٌ فوقع فيه ذبابٌ فلا تُزل الذبابَ عنه حتى تغمسه فيه، فإن في جناحه الواحد داءٌ وفي الآخر دواءٌ لذلك الداء، وهو أبداً يرفع الجناح الذي فيه الدواء، وإذا ضربت أحداً أو قاتلته فاجتنب ضربَ الوجه، وإذا أحببت أحداً فأعلمه بحبك إياه فإنك تجلب بذلك الإعلام محبته إياك، فيحبك بلا شك ويرى لك ذلك. وإن مات لك ميت تتولى شأنه فأحسن كَفَنَه وتكفينه، واجعل في

غُسله سدراً[216]، وإن مشيت إلى الصلاة فبوقارٍ وسكينةٍ من غير كِبْرٍ، وامشِ كأنك تَنْحَطُّ مِن صَبَبٍ[217] فإن ذلك أنفى للكبر وأسرعُ لقضاء الحاجة، واحذر أن تصلي وأنت تدفع النوم، بل نَمْ فإذا ذهب النوم فَصَلِّ، ولقد كنتُ ليلةً أُصلي وأنا أدفع النومَ فذهبتُ لأقرأ، فسمعتُني أسُبُّ نفسي بدلاً من القراءة، فتركتُ الصلاة ونمت، ولا تَنَم قبل صلاة العتمة، ولا تتحدث بعدها. وإذا ركعت ركعتي الفجرِ فاضطجع على شِقّك الأيمنِ، وحينئذٍ تصلي الصبح، وإذا قعدتَ للتشهد فصلِّ على محمدٍ، واستعذ بالله من عذاب القبر وعذاب النار، وفتنةِ المسيح الدجال، وفتنةِ المحيا والممات، واجهد أن لا تترك هذا حتى تخرج من الخلاف بفعلك ما أمرتُك، فإني ما أمرتُك بأمر تَفعله من عباداتك إلاّ لِما أعرفُ في تركه من الخلاف بين العلماء، وأُريد أن تأتي العبادةَ على أتم وجوهها مما لا اختلاف فيه، هذا غرضي في هذه الوصية بمثل هذه الأُمور، فلا تُهمل شيئاً مما وصيتك به.

وصية: التقوى بالصوم

إياك أن تقترف ذنباً وأنت صائمٌ، فإنه يبطل صومك، فالصوم لله لا لك، فلا يراك هو في عمل هو له على ما لا يرضاه منك، فلتكن على أحسنِ الحالات في صومك. وإنْ شاتَمك أحدٌ أو قاتَلك فقلْ: إني صائم، فلا تجازه بفعله، وإن كان لك مالٌ فاجهد أن تكون لك صدقةٌ جاريةٌ تنفقها[218] على الناس لا تَخُصُّ بها طائفةً من طائفةٍ، بل على المسلمين الذين تلفظوا بالشهادة أو ولدوا في الإسلام، فإن هذه الأوقاف إن لم تكن على حَدّ ما ذكرتُها لك، وإلاّ أكلَ الناسُ حراماً، ويكونُ الواقفُ هو الذي أساء في حقهم حيث اشترط شرطاً معيناً سوى الإسلام، فإنْ اشترط ولا بدّ فليشترط من يتظاهر بالخير في أغلب أحواله، وكذلك إنْ كان لك علمٌ نافع في الدين فبُثّه في الناس لينتفع به كلُّ سامعٍ إلى يوم القيامة.

يا أخي إذا كان في يدك سيف مُصْلَتٌ فأراد أحدٌ أن يتناوله منك فلا تناوْله إياه حتى تُغْمِده، فالله الله، إذا رأيتَ أحداً على عملٍ يكرهه الشرعُ من المسلمين فاكره عملَه ولا تكره المسلمَ الذي هو العاملُ، وإن كنتَ صادقاً في كراهيتك عملَه فلا تعملْ بمثله، فإن عملتَ بمثله وكرهته من غيرك فأنت مُراءٍ بما ظهرت به من الكراهة لذلك، وهنا سرٌ خفيٌّ ومكرٌ دقيقٌ يؤدي إلى ترك تغيير المنكر. وإذا كنت في سفر وأردتَ التعريسَ[219] بالليل فاجتنبِ الطريق، فإن الهوام بالليل تقصد الطريقَ، فربما يؤذيك شيء منها، وقل إذا نزلتَ منزلاً {أعوذُ بكلماتِ الله التامّاتِ كلّها مِنْ شَرّ ما خَلَقَ} فإنه

لن يَضرك شيءٌ ما دمت في ذلك المنزل. أخبرَني صاحبي عبدُ الله بدرٌ الحبشيُّ الخادمُ عن الشيخ ربيعِ بنِ محمودٍ الحطاب المارديني قال: بِتْنا ليلةً برأسِ العَيْنِ بمسجدٍ، وبرأس العين عقاربُ تسمى الجرارات لا ترفع أذنابَها إلاّ عندَ الضرب، وهي قتالةٌ، ما ضربتْ أحداً فعاش، فجاء شخصٌ فبات في المسجدِ وذكَر هذه الاستعاذةَ، فضربْته العقربُ في تلك الليلة، فقال للشيخ ربيعٍ حديثَه، فقال له: صح الحديثُ، فإن الله قد رفع عنك الموتَ، فإنها ما ضربتْ أحداً إلاّ ماتَ، وقد رأيتُ أنا مثلَ هذا من نفسي: لدغتني العقربُ مرةً بعد مرةً في وقت واحد، فما وجدتُ لها ألماً، وكنتُ قد ذكرت مثل هذه الاستعاذة إلاّ أنّه كان في جزامي بندقتان، وكنتُ قد سمعت أن البندق بالخاصية يدفع ألمَ الملسوع، فلا أدري هل كان ذلك للبندق أو للدعاء، أو لهما معاً؟ إلاّ أنه تورم رجلي، وحصل فيه خَدرٌ، وبقي الورم ثلاثةَ أيام ولا أجد ألماً البتة، وعليك بالتسمية في كل حال تشرع فيه، من أكل وشرب، ودخولٍ وخروج، وترحالٍ، وحركةٍ وسكون، وإذا دخلت بيتَ الله فابدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجتَ فاخرُجْ برجلك اليسرى، وإذا انتعلتَ فابدأ باليمنى، وإذا خلعتَ فابدأ باليسرى.

وصية: أدب المجالس

لا تسارِرْ صاحبك بشيءٍ ومعكما ثالثٌ دونه، فإن ذلك يوحشُه بلا شك، ومقصودُ الحق من عباده تألّف القلوب والمحبةُ والتوددُ، وإنّ الله قد جعل الأُلفة منّة منه على رسول الله ﷺ فقال: **{لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}**[220] وكذلك لا تتكلمْ معه بلسانٍ لا يعرفه الثالثُ، فإنه لا فرق بينه وبين المساررة. والتزم الصّدقَ في حديثك أبداً وفي فعالك تكنْ أصدقَ الناس رؤيا، وإذا سمعت صياحَ الدّيكَةِ فسلِ الله من فضله فإنها رأت مَلَكاً، وإذا سمعتَ نهيقَ الحمار فتعوذْ بالله من الشيطان الرجيم، فإن الحمار لا ينهق إلاّ إذا رأى شيطاناً، والديك لا يَصيحُ إلاّ إذا رأى ملَكاً. وقد روينا (إن لله ديكاً في السماء إذا صاحَ وسمعته الديوك في الأرض صاحتْ لِصيَاحه). كن في كل حالٍ ذا نيةٍ حميدةٍ مع الله يرضاها الله منك، وعلى عملٍ صالح ولا سيما إذا كَثر الفساد في العامة، فما تدري لعل الله يُرسل عليهم عذاباً يَعُمُّ الصالَح والطَّالحَ فتكون ممن يحشرُ على علم خير كما قبضتَ عليه، يقول الله: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**[221] ولا تشمّت عاطساً لم يحمد الله، ولكن ذَكره أن يحمدَ الله، ثم شَمّتْه، وإياك إذا غلب عليك التثاؤبُ أن تُصَوّت فيه، واكْظُمه ما استطعت، وإياك أن تمدحَ أحداً في وجهه

فتخجله، وإذا مدحك أحدٌ في وجهك، فاحْثُ الترابَ في وجهه برفقٍ، وصورةُ حَثْوِ التراب أن تأخذَ كفاً من تراب وترميَ به بين يديه، وتقول له: ما عسى أن يكون مَنْ خُلِقُ من تراب، وَمَنْ أنا، وَمَا قَدْري؟ تُوَبّخُ بذلك نفسَك وتعرّفُ المادحَ بقدْرك وقدره، هكذا فلتحثُ التراب في وجوه المداحين، وكان شيخُنا عبدُ الحليم الماديُّ بمدينة (سلام) إذا رأى شخصاً راكباً ذا شارةٍ يُعظّمه الناسُ وينظرون إليه، يقول له ولهم: ترابٌ راكبٌ على ترابٍ، ثم ينصرفُ ويُنْشد:

حَتّى مَتَى، وإلى مَتَى تَتَوَانى أَتَظُنُّ ذَلكَ كلَّه نسْيَانا؟

وكان الغالبُ عليه التوَلّهُ، وإذا كان لك ولدٌ صغير وجاءت فحْمة العشاء[222] فأمسكه عن التصرف، فإن الشياطين منتشرةٌ حينئذٍ فلا تأمن عليه أن يصيبَه لَمَم، فإن الشرع قد أمر بذلك، وإذا صَنع لك خادُمك طعاماً وأتاك به فأجْلسه معك، فإن أبى وتأدبَ فأذِقْه منه ولا بدّ ولو لقمةً، وإياك أن تأكل وعينٌ تنظرُ إليك من غير أن يأكل معك، وإذا سمعت أحداً يوم الجمعة يتكلمُ والإمامُ يخطُب فلا تَقُل له: أنصت، فإن سمعت أحداً فأنت قلت ذلك فإنك ممن لغا في جُمُعَته، ولا تَعْبَث بشيء، لا بالحصى ولا بغيره، والإمامُ يخطُب، فإنه لغو، وإذا كنتَ صائماً وأفطرتَ فأفطر على تمرٍ إن وجدتَ، فإن لم تجد فعلى حَسَوَاتٍ من ماءٍ، وليكن ذلك وتراً، وعجّلْ بالفطر، ثم صَلّ بعد ذلك، إلاّ إنْ حضرَ الطعام، فإن حضرَ الطعام فابدأ به قبل الصلاة، إن كنتَ آكلاً ولا بدّ، وإذا حدثك إنسانٌ وتراه يلتفتُ، فحديثُه إياك أمانةٌ أودعك إياها فلا تَخُنْه فيه بالإفشاء، وراقب قلبَك في الناس، فمهما خطر لك تغيرٌ في أحد من المؤمنين في قلبك فأزِلْه وظُنَّ خيراً وأقم له عذراً فيما تغير له، وإن حالت بينك وبين الماشي معك، شجرةٌ أو جدارٌ ثم تلاقَيْتُما فسلّم عليه حتى يَعْلَم أنك على الوُدّ الذي فارقتَه عليه.

وصية: المعاملة لله والخلق - صحبة الملوك - محبة الصحابة

عاملْ كلّ من تصحبُه أو يصحبُك بما يُعْطيه رتبتُه ومنزلتُه، فعامل الله بالوفاء لما عاهدته عليه: من الإقرار بربوبيته عليك، وهو الصاحب بقول رسول الله ﷺ، وعامل الآيات بالنظر فيها. وعامل ما تدركُه الحواسُّ منك بالاعتبار، وعاملِ الرسلَ بالاقتداء بهم، وعاملِ الملائكةَ بالطهارةِ والذكرِ، وعاملِ الشيطانَ إذا علمتَ أنه شيطانٌ من إنس وجانٍّ بالمخالفةِ، وعامل الحفَظَةَ بحُسْن ما تملي عليهم، وعامل مَنْ هو أكبر منك بالتوقير، ومَنْ هو أصغرُ منك بالرحمةِ، ومن هو كفؤُك

بالتجاوز والإنصاف والإيثار، وأنْ تطالِبَ نفسَك بحقه عليك، وتركِ حقك له، وعاملِ العلماءَ بالتعظيم، وعاملِ السفهاء بالحِلم، وعاملِ الجُهّال بالسياسة، وعاملِ الأشرارَ ببسط الوجهِ وما تتقي به شَرّهم، وعاملِ الحيوانَ بالنظر فيما يحتاجون إليه، فإنهم خُرْس، وعاملِ الأشجارَ والأحجارَ بعدم الفضول، وعامل الأرض بالصلاة عليها، وعاملِ الموتى بالدعاء لهم وذكْر محاسنهم والكفِّ عن مساويهم، وعاملِ الصوفيةَ أهلَ الكشف والوجودِ منهم أصحاب الأحوال بالتسليم، وعامل الإخوان في الله بالبحث عن حركاتهم وسكناتهم في ماذا يتحركون ويسكنون، وعامل الأولادَ بالإحسان، وعامل الزوجةَ بحسن الخلق، وعامل أهلَ البيت بالمودة، وعامل الصلاةَ بالحضورِ، وعاملِ الصوم بالتنزه عن الذنوب، وعامل المناسكَ بذكر الله والتعظيم، وعاملِ الزكاةَ بسرعةِ الأداء، وعامل التوحيدَ بالإخلاص، وعامل الأسماء الإلهية بما تُعْطيه حقيقةُ كلَّ إسم إلهي من الأخلاق، فمعاملة الأسماء الإلهية بالتخلق بها، وعامل الدنيا بالرغبةِ عنها، وعامل الآخرةَ بالرغبةِ فيها، وعامل النساء بالحذر من فِتْنَتِهِنَّ، وعاملِ المالَ بالبذل، وعاملِ النارَ والحدودَ بالتقوى والرهبة، وعامل الجنّةَ بالرغبة، وعامل الأولياءَ بما يزيد ولايتهُم، وعاملِ الأعداء بما تَكفُّ أذاهم، وعامل الناصحَ بالقبول، وعامل المحدِّثَ بالإصغاء إلى حديثه، وعامل الموجوداتِ كلِّها بالنصيحة، وعاملِ الملوك بالسمع والطاعة، والأخذ على أيدي الظلمة منهم ما استطعتَ بطريقة تكتفي بها شَرّهُمْ، وإياك وصحبةَ الملوك، فإنك إن أكثرتَ مخالطةَ المَلِك مَلَكَكَ[223]، وإن تركته أَذَلّك، فخذْ وأعطِ إنْ بُليت بصحبتهم، وعامل قارئَ القرآنِ بالإنصات ما دام تالياً، وعاملِ القرآن بالتدبر، وعاملِ الحديثَ النبويَّ بالبحث عن صحيحه وسقيمه وعَرْضِه على الأُصول، فما وافق الأُصول فخذْ به، وإن لم يصح الطريقُ إليه، فإن الأصل يعضُده، وإذا ناقضَ الأُصول بالكلية فلا تأخذْ به، وإن صح طريقه، ما لم تعلم أن له وجهاً، فإن أخبارَ الآحاد لا تفيد سوى غلبةِ الظن، وعليك بالسنة المتواترة وكتاب الله، فَهما خيرُ مَصْحوبٍ وخيرُ جليس، وإياك والخوضَ فيما شَجَرَ بين الصحابة، ولتُحبَّهم كَلَّهم عن آخرهم، ولا سبيل إلى تجريحِ واحدٍ منهم، فعنهم نأخذُ الدين الذي تَعَبّدنا الله به، وعاملهم بالعدالةِ في الأخذ عنهم، ولا تتهمْهُم فهم خيرُ القرون، وعامل بيتك بالصلاة فيه، وعامل مجلسك بذكر الله فيه، وعامل فُرْقَتَك من كلِّ مجلس بالاستغفار، والضابطُ للصحبة أن تعطي كلّ ذي حق حقّه، ولا تتركْ مطالبة لأحدٍ عليك بحقٍ يتوجه له قِبَلك، وعامل الجاني عليك بالصفح والعفو، وعامل المسيءَ بالإحسان، وعاملْ بَصَرك بالغضّ عن محارم الله، وسمعَك بالاستماع إلى أحسن الحديث والقول، ولسانَك بالصمت عن السوء من القول، وإن كان حقاً لكن كَرهَ الشرعُ أو حَرّم النطقَ به، وعامل الذنوبَ بالخوف، وعامل

الحسنات بالرجاء، وعامل الدعاء بالاضطرار، وعاملْ نداءَ الحق إياكَ بالتلبيةِ لمَا ناداك إليه من عملٍ أو تركٍ.

وصايا نبوية

روينا عن عليِّ بنِ أبي طالب ﷺ أنه قال: أوصاني رسولُ الله ﷺ فقال:

يا علي: أوصيك بوصيةٍ فاحْفَظْها، فإنك لا تزال بخيرٍ ما حَفِظْتَ وصيتي.

يا علي: إن للمؤمن ثلاثَ علامات: الصلاةُ والصيامُ والزكاةُ وللمتكلف ثلاثُ علاماتٍ: يتملّقُ إذا شهد، ويغتابُ إذا غاب، ويشْمَتُ بالمصيبة، وللظالم ثلاثُ علاماتٍ: يَقْهر مَنْ دونة بالغلبة، ومَنْ فوقه بالمعصيةِ، ويُظاهر الظلمةَ، وللمرائي ثلاثُ علاماتٍ: يَنْشَط إذا كان عند الناس، ويفتُر إذا كان وَحدْه، ويحب أن يُحْمدَ في جميع الأُمور، وللمنافق ثلاثُ علاماتٍ: إن حَدّث كذبَ، وإن وعدَ أخلفَ، وإن ائتُمِنَ خان.

يا علي: وللكسلان ثلاث علاماتٍ: يتوانى حتى يُفَرّطَ، ويفرطُ حتى يُضِيْع، ويضيع حتى يأثم، وليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصاً إلاّ في ثلاثٍ: نظرةٍ لمعاش، أو لذةٍ في غير محرم، أو خطوة لمعاد.

يا علي: إنّ من اليقين ألا تُرْضِيَ أحداً بسخط الله، ولا تحمدنّ أحداً على ما أتاك الله، ولا تذمنَّ أحداً على ما لم يؤتكَهُ الله فإن الرزقَ لا يجره حرصُ حريصٍ، ولا يصرفه كراهيةُ كارهٍ، وإنّ الله سبحانه وتعالى جعلَ الرَوح والفرجَ في اليقين والرضا بقسَم الله، وجعلَ الهمَّ والحزنَ في السخط بقَسْم الله.

يا علي: لا فقرَ أشدُّ من الجهل، ولا مالَ أعوزُ[224] من العقل، ولا وحدة أوحش من العُجب، ولا مُظاهرةَ أوثقُ من المشاورة، ولا إيمان كاليقين، ولا ورعَ كالكفّ، ولا حسب49 كحسن الخلق، ولا عبادةَ كالتفكر.

يا علي: إنّ لكل شيء آفةً، وآفةُ الحديثِ الكذب، وآفةُ العلم النسيانُ، وآفةُ العبادةِ الرياءُ، وآفةُ الظّرْف الصلَف[225]، وآفةُ الشجاعة البغي، وآفةُ السماحةِ المَنُّ، وآفةُ الجمالِ الخُيَلاءُ، وآفةُ الحسب

الفخرُ، وآفةُ الحياءِ الضعفُ، وآفةُ الكرم الفخرُ، وآفةُ الفضلِ البخلُ، وآفةُ الجود السرفُ، وآفةُ العبادةِ الكِبرُ، وآفةُ الدِّين الهوى.

يا علي: إذا أُثني عليك في وجهك فقل: اللهم اجعلني خيراً مما يقولون، واغفرْ لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني فيما يقولون تسلم مما يقولون.

يا علي: إذا أمسيتَ صائماً فقل عند إفطارك: اللهم لك صمتُ، وعلى رزقكَ أفطرتُ، يكتبُ لك أجرَ مَنْ صام ذلك اليومَ من غير أن ينقُص من أجورهم شيءٌ، واعلم أن لكل صائم دعوةً مستجابةً، فإن كان عند أول لقمة يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، يا واسعَ المغفرةِ اغفرْ لي، فإنه من قالها عند فِطْره غُفِر له، واعلم أن الصوم جُنّةٌ من النار.

يا علي: لا تستقبل الشمسَ والقمرَ واستدبرْهما فإن استقبالَهما داءٌ واستدبارهما دواء.

يا علي: استكثر من قراءة يس، فإن في قراءة يس عشر بركات، ما قرأها قطُّ جائعٌ إلاّ شبع، ولا قرأها ظمآن إلاّ روي، ولا عارٍ إلاّ اكتُسي، ولا مريضٌ إلاّ برئ، ولا خائفٌ إلاّ أمِنَ، ولا مَسْجونُ إلاّ انفرج، ولا أعزبُ إلاّ تزوج، ولا مسافرٌ إلاّ أُعِينَ على سفره، ولا قرأها أحدٌ ضَلّت له ضَالّةٌ إلاّ وجدها، ولا قرأها على رأس ميت حضر أجلُه إلاّ خُفّفَ عليه، ومن قرأها صباحاً كان في أمان إلى أن يمسي، ومن قرأها مساءً كان في أمانٍ حتى يُصبح.

يا علي: اقرأ (حم الدخان) في ليلة الجمعة تصبحْ مغفوراً لك.

يا علي: اقرأْ آية الكرسي دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تُعْطَ قلوبَ الشاكرين، وثوابَ الأنبياء، وأعمال الأبرار، يا علي: اقرأ سورة الحشر تُحشرْ يومَ القيامة آمناً من كل شر.

يا علي: اقرأْ (تباركَ والسجدةَ) ينجيانك من أهوال يوم القيامة.

يا علي: اقرأ (تباركَ) عند النوم تدفعْ عنك عذابَ القبر ومسألةَ منكرٍ ونكيرٍ.

يا علي: اقرأ (قل هو الله أحد) على وُضوءٍ تُنادَ يومَ القيامة: يا مادحَ الله قمْ فادخلِ الجنة.

يا علي: اقرأ (سورة البقرة) فإن قراءتَها بركةٌ، وتركها حسرةٌ، وهي لا تُطيقها البَطَلَةَ، يعني السحرة.

يا علي: لا تُطِل القعودَ في الشمس فإنها تُثير الدّاء الدّفيْن، وتُبلي الثيابَ، وتُغير اللون.

يا علي: أمانٌ لك من الخوف[226] أن تقول: سبحانك ربي لا إله إلاّ أنتَ، عليك توكلتُ وأنت ربُّ العرش العظيم.

يا علي: أمانٌ لك من الوسواس أن تقرأُ **{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا}**[227] إلى قوله تعالى: **{وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا}**.

يا علي: أمانٌ لك من شرّ كل عائنٍ[228] أن تقول: ما شاء الله كان، وما لم يَشأ لم يكن، أشهدُ أن الله على كلّ شيءٍ قديرٌ، وأنّ الله قد أحاطَ بكل شيءٍ علماً، وأحصى كلّ شيءٍ عدداً، ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلاّ بالله.

يا علي: كُلِ الزيتَ وادّهنْ بالزيت، فإنه مَنْ أكل الزيتَ وادّهنَ بالزيت لم يَقْرَبه الشيطانُ أربعين صباحاً.

يا علي: ابدأ بالملح واختم بالملح، فإن الملح شفاءٌ من سبعين داءً، منها الجنون، والجذامُ[229]، والبرصُ ووجعُ الحلقِ، ووجعُ الأضراس، ووجع البطن.

يا علي: إذا أكلتَ فقل: بسمِ الله، وإذا فرغت فقل: الحمد الله، فإنّ حافِظَيْك لا يستريحان يكْتُبان لك الحسناتِ حتى تنبذه عنك.

يا علي: إذا رأيت الهلال في أول الشهر فقل: الله أكبر (ثلاثاً) و: الحمدُ لله الذي خلقني وخلقك وقدّرك منازلَ وجعلك آيةً للعالمين، يباهي الله بك الملائكةَ يقول: (يا ملائكتي اشهدوا أني قد أعْتَقْتُ هذا العبدَ من النار).

يا علي: إذا نظرتَ في المرآةِ فقل: اللهم كما حَسّنتَ خَلْقي فحسّن خُلُقي، وارزُقني.

يا علي: وإذا رأيتَ أسداً واشتدّ بكَ الأمرَ فكبّرْ ثلاثاً وقل: الله أكبرُ وأجلُ وأعزُّ مما أخاف واحذرُ، اللهم إني أَدْرأ بك في نَحْره، وأعوذُ بك من شرّه، فإنك تُكْفَى بإذن الله، وإذا رأيت كلباً يهِرُّ فقل: يا معشر الجنّ والإنس إن استَطْعتُم أن تَنْفذُوا من أفطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان.

يا علي: إذا خرجت من منزلك تريد حاجة فاقرأ آية الكرسي، فإن حاجتك تُقضى إن شاء الله تعالى.

يا علي: وإذا توضأت فقل: بسم الله والصلاةُ على رسول الله، يا علي: صَلّ من الليل ولو قدرَ حلب شاةٍ، وادعُ الله سبحانه بالأسحار لا تُردّ دعوتك، فإن الله سبحانه يقول: **{وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ}**[230].

يا علي: غسّل الموتى، فإنه مَن غسّل ميتاً غُفِر له سبعونَ مغفرةً، لو قسمت مغفرة منها على جميع الخلق لوسعتهم، فقلتُ يا رسول الله: ما يقول من غسل ميتاً؟ فقال رسول الله: يقول: غفرانك يا رحمنُ حتى يفرغ من الغسل.

يا علي: لا تخرج في سفرٍ وحدك، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعدُ.

يا علي: إن الرجل إذا سافر وحده غاوٍ[231] والاثنان غاويان، والثلاثةُ نفرٌ[232].

يا علي: إذا سافرت فلا تنزلِ الأودية، فإنها مأوى السباع والحيات.

يا علي: لا تردفنّ[233] ثلاثةً على دابة، فإن أحدهم ملعونٌ وهو المقدم.

يا علي: إذا وُلد لك مولودٌ: غلامٌ أو جاريةٌ فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقم في أُذنه اليسرى، فإنه لا يضره الشيطان أبداً.

يا علي: لا تأتِ أهلك ليلةَ الهلال، ولا ليلةَ النّصف فإنه يتخوف على ولدك الخبلُ[234] قال علي: ولم يا رسول الله؟ قال: لأن الجن يُكثرون غشيان نسائهم ليلةَ النصف وليلةَ الهلال، أما رأيت المجنون يُصرع ليلةَ النصف وليلةَ الهلال؟

يا علي: وإذا نزلت بك شدة فقل: اللهم إني أسألُك بحقّ محمدٍ وآل محمد عليك أن تُنجيني، وإذا أردتَ الدخول إلى مدينة أو قرية فقل حين تُعاينها[235]: اللهم إني أسألك خيرَ هذه المدينة وخيرَ ما كتبت فيها، وأعوذ بك من شرِّها ومن شرّ ما كتبت فيها، اللهم ارزقني خيرها، وأعذني من شرها، وحببنا إلى أهلها، وحبب صالحي أهلها إلينا.

يا علي: إذا نزلتَ منزلاً فقل: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خيرُ المُنزلين، ترزق خيره ويدفعْ عنك شرُّه.

يا علي: وإياك والمراءَ فإنه لا تُعقل حكمته ولا تُؤمنُ فتنته.

يا علي: وإياك والدخول إلى الحمام بلا مئزر، فإنه ملعونٌ الناظرُ والمنظورُ إليه.

يا علي: لا تتختم بالسبابة والوسطى، فإنه مِنْ فعل قومِ لوط.

يا علي: لا تلبس المُعَصْفَر، ولا تبت في ملحفة حمراء فإنها محتضرةٌ الشيطانَ.

يا علي: لا تقرأ وأنت راكعٌ ولا ساجدٌ.

يا علي: إياك والمجادلة، فإنها تُحبط الأعمال.

يا علي: لا تنهر السائلَ ولو جاءك على فرسٍ، وأعطه فإن الصدقة تقعُ بيد الله قبل أنْ تقع بيد السائل.

يا علي: باكر بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة.

يا علي: عليك بحُسن الخلق، فإنك تُدرك بذلك درجة الصائم القائم.

يا علي: إياك والغضب، فإن الشيطانَ أقدرُ ما يكون على ابن آدم إذا غضبَ.

يا علي: إياك والمزاحَ فإنه يُذهب بهاء ابنِ آدم ونشاطَه.

يا علي: عليك بقراءةَ (قلْ هو الله أحدٌ)) فإنها منهاةٌ للفقر، وإياك والربا فإن فيه ستَّ خصالٍ، ثلاثةٌ منها في الدنيا وثلاثةٌ في الآخرة، فأما التي في الدنيا: فتعجلُ الفناءَ وتُذهب الغنى وتمحق الرزقَ، وأما التي في الآخرة: فسوءُ الحساب، وسخط ربّ الأرباب عز وجل، والخلودُ في النار أو الخلوة (شك الراوي).

يا علي: وإذا دخلتَ منزلك فسلم على أهل بيتك يكْثُر خيرُ بيتك.

يا علي: أحبَّ الفقراءَ والمساكين يحبّك الله.

يا علي: لا تنهر المساكين والفقراء فتنهرَك الملائكة يومَ القيامة.

يا علي: عليك بالصدقة فإنها تدفعُ عنك السوء.

يا علي: أنفقْ وأوسعْ على عيالك، ولا تخشَ من ذي العرشِ إقلالاً.

يا علي: إذا ركبتَ دابة فقل (الحمدُ لله الذي كَرّمنا وهدانا للإسلام ومَنّ علينا بمحمّد عليه الصلاة والسلامُ، والحمدُ لله الذي سخر لنا هذا وما كُنّا لهُ مُقْرِنينَ[236] وإنا إلى رَبّنا لَمُنْقَلِبون).

يا علي: لا تَغضَبْنَ إذا قيل لك: اتّقِ الله فيسوءَك ذلك يومَ القيامة.

يا علي: إن الله يعجب من عبده إذا قال: اللهم اغفرْ لي إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلاّ أنت، يقول الله (يا ملائكتي عبدي هذا عَلِمَ أنه لا يغفرُ الذنوبَ غيري، اشهدوا أني قد غفرتُ له).

يا علي: إذا لبست ثوباً جديداً فقل: بسم الله والحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأستغني به عن الناس، لم يبلغِ الثوبُ ركبتَيْك حتى يُغْفَر لك.

يا علي: مَنْ لبس ثوباً جديداً فكسا فقيراً أو يتيماً أو عرياناً أو مسكيناً، كان في جوار الله وأمنهِ وحفظِه ما دام عليه منه سِلْك.

يا علي: إذا دخلتَ السوقَ فقل حين تدخل: بسم الله وبالله أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسولهُ، يقول الله تعالى: عبدي[237] ذكرني والناسُ غافلون، اشهدوا أني قد غفرتُ له.

يا علي: إنّ الله يعجبُ ممن يذكره في الأسواق.

يا علي: إذا دخلتَ المسجدَ فقل: بسم الله والسلامُ على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرجتَ فقل: بسم الله والصلاة على رسول الله اللهم افتح لي أبواب فضلك.

يا علي: وإذا سمعتَ المؤذنَ قل مثلَ مقالتِه يُكتبُ لك مثلُ أجره.

يا علي: وإذا فرغت من وُضوئك فقل: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أُمُّك، وتُفتح لك ثمانية أبوابِ الجنة، يقال: ادخلْ من أيّها شئت.

يا علي: إذا فرغت من طعامك فقل: الحمد الله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين.

يا علي: إذا شربتَ ماءً فقل: الحمد لله الذي سقانا ماءً جعله عذباً فراتاً[238] برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا، تُكتبْ شاكراً.

يا علي: إياك والكذب فإن الكذب يسوّد الوجه، ولا يزال الرجل يكذب حتى يسمّى عند الله كاذباً، ويصدقُ حتى يسمى عند الله صادقاً، إن الكذب يجانب الإيمان.

يا علي: لا تغتابَنّ أحداً، فإن الغيبة تفطّر الصائم، والذي يغتاب الناس يأكلُ لحمه يوم القيامة.

يا علي: إياك والنميمة فلا يدخل الجنة قتّات (النمام).

يا علي: لا تحلفْ بالله كاذباً ولا صادقاً.

يا علي: لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم[239] فإن الله لا يرحم ولا يزكي من يحلف بالله كاذباً.

يا علي: املك عليك لسانك وعودّه الخير، فإن العبد يوم القيامة ليس عليه شيءٌ أشدُّ خِيفةٌ من لسانه.

يا علي: إياك واللجاجة[240] فإنها ندامة.

يا علي: إياك والحرصَ فإن الحرص أخرج أباك من الجنة.

يا علي: إياك والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

يا علي: ويل لمن يكذب ليُضحك الناس، ويلٌ له ويلٌ له.

يا علي: عليك بالسواك فإنه مطهرةٌ للفم، ومرضاةٌ للرب تعالى، ومجلاةٌ للأسنان.

يا علي: عليك بالتخلل فإنه ليس شيءٌ أبغض إلى الملائكة أن ترى في أسنان العبد طعاماً، فقال علي ﵁: فقلت يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى: **{فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}**[241] ما هؤلاء الكلمات؟ فقال النبي ﷺ: (إن الله تعالى أهبط آدمَ ﵇ بأرضِ الهند، وحواء بجدة، والحية بأصفهان، وإبليس ببيْسان، ولم يكن في الجنة أحسنُ من الحية والطاووس، وكان للحية قوائم كقوائم البعير، فلما دخل إبليس ـ لعنه الله ـ جوفَها أغوى آدمَ عليه الصلاة والسلام وخدَعه،

فغضب الله تعالى على الحية، فألقى عنها قوائمها، وقال: جعلت رزقك من التراب، وجعلتك تمشين على بطنك، لا رحم الله من رحمك، وغضب الله تعالى على الطاووس، فمسخ رجليه لأنه كان دليلاً لإبليس على الشجرة، فمكث آدم عليه الصلاة والسلام بأرض الهند مائة سنة لا يرفعُ رأسه إلى السماء يبكي على خطيئته، وقد جلس جلسة الحزين، فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام، فقال: السلام عليك يا آدم، الله عز وجل يقرئُك السلام ويقول لك: ألم أخلقْك بيديَّ، وأنفخْ فيك من روحي، ألم أُسجد إليك ملائكتي، ألم أُزوّجْك حواء أَمَتي؟ ما هذا البكاءُ؟ قال: يا جبريلُ وما يمنعني من البكاء وقد أُخْرجتُ من جوار ربي؟ قال جبريل عليه الصلاة والسلام: يا آ دم تكلم بهؤلاء الكلمات، فإن الله تعالى غافرٌ ذنْبكَ، وقابلٌ توبتك، قال: فما هي؟ قل: اللهم إني أسألك بحق محمدٍ وآل محمدٍ سبحانك اللهم وبحمدِك عَمِلتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفرُ لي فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلاّ أنتَ فارحمني وأنت خير الراحمين، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاّ أنتَ عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فتُب عليِّ إنك أنتَ التواب الرحيم، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاّ أنتَ عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين، فهؤلاء الكلماتُ).

يا علي: وأنهاك عن حيَّات البيوت إلاّ الأفطس والأبتر فإنهما شيطانان.

يا علي: وإذا رأيت حيّة في رحْلِك فلا تقتلها حتى تُحَرّجَ[242] عليها ثلاثاً، فإن عادت الرابعة فاقتلها.

يا علي: وإذا رأيت حيّة في الطريق فاقتلها، فإني قد اشترطتُ على الجنّ أن لا يظهروا في صورة الحياتِ في الطريق، فمن فعل خلَّى بنفسه للقتل.

يا علي: أربعُ خصالٍ من الشقاء: جمودُ العين، وقساوةُ القلب، وبُعد الأمل، وحبُّ الدنيا.

يا علي: أنهاك عن أربع خصالٍ عظامٍ: الحسد، والحرص، والغضب، والكذب.

يا علي: ألا أُنبئك بشرّ الناس؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: مَن أكل وَحْده، ومنع رِفْده، وضرب عبْده، ألا أنبئك بشرّ من هؤلاء جميعاً؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: من لا يُرجى خيرُه، ولا يُؤمن شره.

يا علي: إذا صليت على جنازةٍ فقل: اللهم هذا عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أمتِكَ، ماضٍ فيه حكمُك، خلقتَه ولم يكن شيئاً مذكوراً، نزل بك وأنتَ خيرُ منزولٍ به، اللهم لقّنْه حُجّته، وألحِقْه بنبيّه ﷺ، وثبتْه بالقول الثابت، فإنه افتقرَ إليك واستغنيتَ عنه، كان يشهد أنْ لا إله إلاّ أنت، فاغفر له وارحمه ولا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده، اللهم إن كان زاكياً فزكِّه، وإن كان خاطئاً فاغفر له.

يا علي: وإذا صليت على جنازته امرأة فقل: اللهم أنتَ خلقتها وأنتَ أحييّتها، وأنتَ أَمتَّها، تعلمُ سِرِّها وعلانيتها، جئناك شفعاءَ لها، فاغفر لها وارحمها، ولا تحرمنا أجرها ولا تفتنّا بعدها، وإذا صليت على طفل فقل: اللهم اجعله لوالديه سلفاً، واجعله لهما ذخراً، واجعله لهما رشداً، واجعله لهما نوراً، واجعله لهما فرطاً[243]، وأعقب والديه الجنة، ولا تحرمهما أجره ولا تفتِنهما بعده.

يا علي: إذا توضأت فقل: اللهم إني أسألك تمام الوضوء، وتمام مغفرتك ورضوانِك.

يا علي: إن العبد المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنةً أمّنه الله من البلايا الثلاثة: الجنون والجذام والبرص، وإذا أتت عليه ستون سنةً فهو في إقبال، وبعد الستين في إدبارٍ ورزقه الله الإنابة فيما يجب، وإذا أتت عليه سبعون سنةً أحبه أهلُ السموات وصالحو أهلِ الأرض، وإذا أتت عليه ثمانون سنة كتبت له حسناتُه، ومحيت عنه سيئاته، وإذا أتت عليه تسعون سنةً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإذا أتت عليه مائة سنة كتب الله اسمَه في السماء: أسيرُ الله في أرضه، وكان جليسَ الله تعالى.

يا علي: احفظ وصيتي، احفظ وصيتي، إنك على الحق، والحق معك.

صحبة أهل التقوى

قال رجل لِذي النون: والله إني لأحبك، فقال له ذو النون: إن كنت عرفت الله فحسبك الله، وإن كنت لم تعرفه فاطلب مَن يعرفُه حتى يَدُلَّك على الله وتتعلمَ منه حفظَ الحرمة لمولاك، وفي معنى ما قاله ذو النون وأوصى به ما اتفق لنا مع صاحبنا عبدِ الله بن الأستاذ المروزي... وكان من كبار الصالحين، كان له أخٌ مات، فرآه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: أدخلني الجنّة آكلُ وأشربُ وأنكِحُ، قال له: ليس عن هذا أسألك، هل رأيتَ ربَّك؟ قال: لا ما يراه إلاّ مَن يعرفه واستيقظ، فركب دابته وجاء إلينا إلى أشبيلية، وعرّفني بالرؤيا، ثم قال لي: قد قصدتُك لتُعرّفني بالله، فلازمني

حتى عرف الله بالقدْر الذي يمكن للمُحْدَث أن يعرفه به من طريق الكشف والشهود، لا من طريق الأدلة النظرية رحمه الله. وقال بعضهم في وصية: اصحب الذين وصفهم الله في كتابه وهم: أهلُ التقوى الذين هم على سَمْتِ مَحَجّتِه[244]، لعلك أن ترقى في ملكوت السموات، فتكونَ للأبرار جليساً، وللأخبار في أمنِ ذلك المقيل أنيساً، وإن كنت على التقوى عازماً فالنجاءَ النجاءَ فيما بقي من عُمرِك، وقال بعض العلماء: تزود من الدنيا للآخرة وطريقها، فإن خير الزاد التقوى، وسارع إلى الخيرات، ونافسْ في الدرجات قبل فناء العمر وتَقارب الأجل والفوتِ.

وصية: الحذر من تَكَلُّفِ القول

قيل لبعض العلماء: أوْصِنا، قال: إياكم ومجالسةَ أقوامٍ يتكلفون بينهم زُخرفَ القول غروراً، ويتملقون[245] في الكلام خداعاً، وقلوبهم مملوءة غشاً وغلاً ودَغَلاً[246] وحسداً وكبراً وحرصاً وطمعاً وبغضاً وعداوةً ومكراً وختلاً[247]، دينهم التعصبُ، واعتقادُهم النفاقُ، وأعمالهم الرياءُ، واختيارُهم شهوات الدنيا، يتمنون الخُلود فيها مع علمهم بأنهم لا سبيل لهم إلى ذلك، يجمعون ما لا يأكلون، وَيَبْنون ما لا يسكنون، ويؤَمّلون ما لا يُدركون، ويكسبون الحرام، وينفقون في المعاصي ويمنعون المعروف ويرتكبون المنكر.

وصية: مجالس الأولياء

روينا عن يوسف بنِ الحسين قال: قلت لذي النون في وقت مفارقتي إياه: مَن أجالسُ؟ قال: عليك بصحبةِ مَن تُذَكِّرُكَ اللهَ عَزّ وجلّ رؤيتُه، وتقعُ هيبته على باطنك، ويزيد في عملك منطقُه، ويزهدُك في الدنيا عمله، ولا يعصي الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فِعْلِهِ، ولا يعظك بلسان قوله، وهو تاركٌ لما يَدُلّك عليه، أي هو خالٍ من الفضائل التي يعظك بها لأن الرجل قد يكون على عملٍ من أعمال البر يقتضيه حالُه، ويدلك بقوله، على عمل من أعمال البر يقتضيه حالُك ولا يقتضيه حاله في الوقت، فيريد بقوله بلسان فعله، أي أفعاله مستقيمةٌ، وهذا معنى قوله تعالى: {أتأمُرونَ النّاسَ بالبرّ}؟ وما عَيَّنَ بِرّاً من برّ **{وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}**[248].

وصية من عيسى ﷺ

قال عيسى عليه الصلاة والسلام: يا بني إسرائيل اعلموا أن مَثَل دنياكم مع آخرَتِكم كَمَثَل مَشْرِقِكم مع مغربكم، كلما أقبلتم إلى المشرق بَعُدتم عن الغرب، وكلما أقبلتم إلى المغرب ازددتم من المشرق بُعدا. أوصاهم بهذا المثَل أن يقربُوا من الآخرة بالأعمال الصالحة.

وصية: الغافلون

أوصى بعضُ العلماء، قال، إياكم أن تكونوا من قومٍ يتمردون وفي طُغيانهم يَعمهون، لا يستمعون النداءَ، ولا يُجيبون الدعاء، تراهم مُوَلّين مُدبرين، عن الآخرة معرضين، وعلى الأعقاب ناكصين، وعلى الدنيا مكبِّين، يتكالبون تكالب الكلاب على الجِيَف، منهمكين في الشهوات، تاركين الصلاة، لا يسمعون الموعظة، ولا تنفعهم التذكرة، لا جَرَمَ أنّ مَن هذه صفتُه يُمهلون قليلاً ويتمتمون يسيراً، ثم تجيئهم سكرة الموت بالحق، ذلك ما كانوا منه يحيدون، شاؤوا أم أَبَوْا، فيفارقون محبوَبهم على رغمٍ منهم، ويتركون ما جمعوه لغيرهم، يتمتعُ بمال أحدهم حليلُ زوجته، وامرأةُ ابنه، وبعلُ ابنته، وصاحبُ ميراثه، للوارث المهنأة وعليه الوبال، ثقيلٌ ظهره بأوزاره، معذّبُ النفس بما كسبت يداه، يا حسرةً عليه إذا قامت على أبنائها القيامة، فاحذروا أن تكونوا من هؤلاء، وكونوا من الذين أخذوا من عاجلهم لآجلهم، ومن حياتهم لموتهم كما قال ﷺ فيهم: (صَحِبُوا الدنيا بأجسادٍ أرواحُها معلقةٌ بالمحلّ الأعلى).

وصية: المُعطى صلةً والعطاء قطيعةً

قال بعض الصالحين يوصي إنساناً: احذر أن تنقطعَ عنه فتكونَ مخدوعاً، قال له وكيف يكون ذلك؟ قال: لأن المخدوعَ من ينظر إلى عطاياه فينقطعُ عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه، ثم قال: تَعَلّقَ الناسُ بالأسباب، وتعلق الصدِّيقون بولي الأسباب، ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبُهم منه العطايا، ومن علامات تعلق قلب الصدّيق بولي العطايا انصبابُ العطايا عليه وشغلُه عنها

به، ثم قال: ليكن اعتمادُك على الله في الحال لا على الحال، ثم قال: اعقِل فإن هذا من صفوة التوحيد.

وصية نبوية روحية:

قال عيسى عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه يوصيه: صُمْ عن الدنيا، واجعلْ فطرَك الموتَ، وكن كالمداوي جرحَه بالدواء خشيةَ أن يثقل عليه، وعليك بكثرة ذكر الموت، فإن الموت يأتي إلى المؤمن بخيرٍ لا شرّ بعده، وإلى الشرّير بشرّ لا خير بعده.

وصية بتنبيه:

قال ذو النون: ثلاثةٌ من أعلام الإيمان: اغتمامُ القلب بمصائب المسلمين، وبذلُ النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم، وإرشادهم إلى مصالحهم وإنْ جَهَّلوهُ وكرهوه. وقال محمّد بنُ أحمدَ بن سلمة: أوصاني ذو النونُ: لا تَشْغَلَنَّكَ عيوبُ الناس عن عيب نفسك، لست عليهم برقيب، ثم قال: إنّ أحبَّ عبادِ الله إلى الله عز وجل أعقلهُم عنه، وإنما يُستدل على تمام عقل الرجل وتواضعِه في عقله حسنُ استماعه للمحدّث وإنْ كان به عالماً، وسرعةُ قبوله للحق وإن جاء ممن هو دونه، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء به.

وصية: الطريق إلى الله

أوصى بها راهبٌ عارفاً من المسلمين: اجتاز بعضُ العارفين في سياحته براهبٍ في صومعة على رأس جبلٍ فوقف به فناداه: يا راهبُ، فأخرجَ الراهبُ رأسَه من صومعته وقال: من ذا؟ قال: رجلٌ من أبناء جنسك الآدميين، قال: فماذا تريد؟ قال: كيف الطريقُ إلى الله؟ قال الراهب: في خلاف الهوى، قال: فما خيرُ الزاد؟ قال: التقوى، قال: فَلِمَ تبعَّدت عن الناس، وتحصَّنتَ في هذه الصومعة؟ قال: مخافةً على قلبي من فتنتهم، وحذراً على عقلي الحيرَةَ من سوء عِشرتهم، وطلبتُ راحة نفسي من مقاساة مداراتِهم وقبيحِ فعالهم، وجعلتُ معاملتي مع ربي فاسترحت منهم، قال، فخبرني يا أحدَ تبَّاعِ المسيح: كيف وجدتم معاملتَكم مع ربكم؟ واصدقِ القول لي، ودعْ عنك تزويقَ الكلام وزخرفَ

القول، فسكت الراهب ساعةً متفكراً ثم قال: شَرَّ معاملةٍ تكون، قال له العارف: كيف؟ قال: لأنه أمَرَنا بالكد للأبْدان وجهدِ النفوس وصيامِ النهار وقيامِ الليل وتركِ الشهوات المركوزة في الجِبِلَّة، ومخالفة الهوى الغالب، ومجاهدةِ العدوّ المسلطِ، والرضا، وخشونةِ العيش، والصبرِ على الشدائد والبلوى، ومع هذا كلّه جعَلَ الأجر بالنسيئة في الآخرة بعد الموت، مع بُعْد الطريق وكثرةِ الشكوك والحيرةِ والخوفِ من الناس، فهذه حالتنا في معاملتنا مع ربنا، فأخبرْنا عنكم يا معشرَ تُبّاع أحمَد: كيف وجدتم معاملتَكم مع ربكم؟ قال العارف: خيرَ معاملة وأحسَنها، قال الراهب: صفْ لي: ما هي وكيف هي؟ قال العارف، ربُّنا أعطانا سَلَفاً كثيراً قبل العمل: ومواهبَ جزيلة لا تُحصى فنونُ أنواعها من النعم والإحسان والإفضال قبل العمل، ومواهبَ جزيلة لا تُحصى فنونُ أنواعها من النعم والإحسان والإفضال قبل المعاملة، فنحن ليلَنا ونهارَنا في أنواع نعَمِه وفنونٍ من آلائه، ما بين سالف معتاد وآنف مستفادٍ، قال له الراهب فكيف خُصصتم بهذه المعاملة دون غيركم والرب واحد؟ قال العارف: أما النعمةُ والإفضال والإحسان فعمومٌ للجميع قد غمرتنا كلَّنا، ولكنا خُصصنا بحسن الاعتقادِ، وصحةِ الرأي، والإقرار بالحق، والإيمان والتسليم له، ووفقنا لمعرفة الحقائق لمّا أعطينا الانقيادَ للإيمان والتسليمَ وصدقَ المعاملة مع محاسبة النفس، وملازمة الطريق، وتفقدَ تصاريف الأحوال الطارئة من الغيب، ومراعاةَ القلب بما يَرِدُ عليه من الخواطر والوحيِ والإلهام ساعةً ساعة.

قال الراهب: زدني في البيان فإنها وصية عجيبة، ما سمعت بمثلها من أهل هذا الشأن، قال العارف، أُزيدُك، اسمع ما أقوله، وافهم ما تسمع، واعقل ما تفهم: إن الله جلّ ثناؤه لَمّا خلق الإنسان من طين ولم يكُ قبلُ شيئاً مذكوراً، ثم جَعَل نسله من سلالةٍ من ماءٍ مهين، نطفةً من قرار مكين، ثم قَلّبه حالاً بعد حالٍ تسعة أشهر إلى أن أخرجه من هناك خلقاً سوياً ببنيةٍ صحيحة، وصورةٍ تامة، وقامة منتصبة، وحواسٍ سالمةٍ، ثم زوده من هناك لبناً خالصاً لذيذاً سائغاً للشاربين حولين كاملين، ثم رباه وأنشأه وأنماه بفنونِ لطفه وغرائبِ حكمته إلى أن بلغ أشدَّه واستوى، ثم آتاه حُكماً وعلماً، ثم أعطاه قلباً زكياً وسمعاً دقيقاً وبصراً حاداً، وذوقاً لذيذاً وشماً طيباً، ولمساً ليناً ولساناً ناطقاً، وعقلاً صحيحاً وفهماً جيداً، وذهناً صافياً وتمييزاً وفكراً، وَرَوِيّة وإرادة ومشيئةً، واختياراً، وجوارحَ طائعة ويدينِ صانعتين، ورِجلين ماشيتين.

ثم علمه الفصاحة والبيانَ والخطَّ بالقلم، والصنائعَ والحِرف والحرثَ والزراعةَ والبيعَ والشراءَ والتصرف في المعاش وطلبَ وجودِ المنافع، واتخاذَ البنيان، وطلبَ العزّ والسلطان، والأمرَ والنهيَ والرياسة، والتدبيرَ والسياسة، وسخر له ما في الأرض جميعاً من الحيوانات والنبات

وخواصّ المعادن، فغدا متحكماً عليها تحكّم الأرباب، متصرفاً فيها تصرف الملّاك، متمتعاً بها إلى حين. ثم إن الله تعالى جَلّ ثناؤه أراد أن يَزيده من فضله وإحسانه، وجوده وإنعامه غنىً آخر هو أشرفُ وأجلُّ من هذا الذي تقدم ذكرُه، وهو ما أكرم به ملائكته وخالصَ عباده وأهلَ جنته من النعيم الأبدي الأزلي، لا يشوبه شيء من النقص، ولا من التنغيص، إذ كان نعيمُ الدنيا مَشوباً بالبؤس، ولذاتُها بالآلام، وسرورها بالحزن، وفرحها بالغم، وراحتُها بالتعب، وعزّها بالذل، وصفوُها بالكدر، وغناها بالفقر، وصحتها بالسقم، وأهلُها فيها معذبون في صورة المنعَّمين، ومغروررون في صورة الواثقين، مهانون في صورة المكرَمين، وَجِلون غيرُ مطمئنين، خائفون غير آمنين، مترددون بين المتضادين: نورٍ وظلمةٍ، وليلٍ ونهارٍ، وصيفٍ وشتاءٍ، وحرٍ وبردٍ، ورطْب ويابس، وعطش وريّ، وجوعٍ وشبع، ونوم ويقظة، وراحةٍ وتعب، وشباب وهرم، وقوة وضعف، وحياء وموت، وما شاكل هذه الأُمور التي أهلُ الدنيا وأبناؤها فيها مترددون مندفعون إليها، متحيرون فيها.

فأراد ربي أيها الراهبُ أن يخلّصهم من هذه الأُمور، والآلامِ المشوبة باللذات، وينقلهم منها إلى نعيمٍ لا بؤسَ فيه، ولذةٍ لا ألم فيها، وسرور بلا حزن، وفرح بلا غم، وعز بلا ذل، وكرامة بلا هوان، وراحة بلا تعب، وصفو بلا كدر، وأمنٍ بلا خوف، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وحياة بلا موت، وشباب بلا هرم، ومودة بين أهلها بلا ريبة، فهم في نورٍ لا يشوبه ظلمة، ويقظة بلا نوم، وذكر بلا غفلة، وعلم بلا جهالة، وصداقةٍ بين أهلها بلا عداوة ولا حسدٍ ولا غيبة، إخواناً على سررٍ متقابلين آمنين مطمئنين أبدَ الآبدين: ولَمّا لم يكن الإنسان أن يكون بهذا المزاج المظلم الخاص الذي هو محلُّ القاذورات المتولدُ من الأركان التي لا تليق بتلك الدار الآخرة، والصفات الصافية، والأحوالِ الباقية، اقتضت العنايةُ الإلهية بواجب حكمه الباري تعالى أن يُنشئه نشأة أُخرى كما ذكر في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ}**[249] النشأة الآخرة أنها على غير مثال، كما كانت الأولى على غير مثال، فهم في هذه النشأة الأخروية لا يبلون ولا يتغوطون، ولا يَمْتَخطون، وفضلاتُ أطعمتهم وأغذيتهم عَرَقٌ يخرجُ من أعرافهم أطيبَ من ريح المسك، فأين هذه النشأةُ من تلك؟ وأين هذا المزاجُ من ذاك المزاج؟ مع كونها، نشأةً طبيعية معتدلةَ المزاج، متساويةَ الأمشاج قال تعالى: **{وَنُنْشِأَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ}**[250] و **{اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ}**[251] فبعثَ الله جلَّ ثناؤه لهذا السبب أنبياءه إلى عباده يبشرونهم بها، ويدعونهم إليها ويرغبونهم فيها، ويدلونهم على طريقها، كما يطلبونها مستعدين، قبل الورود عليها، ولكي يسهَّل عليهم أيضاً مفارقةَ مألوفاتِ الدنيا من شهواتها ولذاتها، ويخفف عليهم أيضاً شدائد الدنيا ومصائبها إذا كانوا يرجون بعدها ما يعمرها،

ويمحو ما قبلها من نعيم الدنيا وبؤسها، ويحذرهم فوتَ نعيمها، فإنه من فاته فقد خَسِر خسراناً مبيناً، قال العارف: فهذا رأينا واعتقادُنا يا راهبُ في معاملتنا مع ربنا الذي قلتُ لك، وبهذا الاعتقاد طابَ عيشنا في الدنيا، وسهلَ علينا الزهد فيها وترك شهواتها، واشتدت رغبتنا في الآخرة، وزاد حرصنا في طلبها، وخفَّ علينا كَدُّ العبادة فلا نُحِسّ بها، بل نرى ذلك نعمةً وكرامةً وفخراً وشرفاً، إذ جَعَلَنا الله أهلاً أن نذكره، فهدى قلوبَنا، وشرحَ صدورَنا ونوّر أبصارنا، لَمّا تعرفَ إلينا بكثرة إنعامه وفنون إحسانه، فقال الراهب: جزاك الله خيراً من واعظٍ ما أبلَغَه، ومن ذاكرٍ إحسانٍ ما أرفَقه، ومن هادي رشدٍ ما أبصره، ومن طبيب رفيقٍ ما أحذَقَه، ومن أخ ناصح ما أشفَقه.

وصية ونصيحة: من ذي النون

قال ذو النون: ليس بذي لبٍ من كاسَ في أمر دنياه، وَحُمِقَ في أمر آخرته، ولا مَن سَفّه في مواطن حلمه، وتكبر في مواطن تواضعه، ولا مَن فُقد منه الهوى في مواضع طمعه، ولا من غضب من حقّ إن قيل له، ولا من زهد فيما يرغب العاقل في مثله، ولا من رغب فيما يزهد الأكياس في مثله، ولا مَن استقلّ الكثير من خالقه عز وجل، واستكثر قليلَ الشكر من نفسه، ولا مَنْ طلب الإنصاف من غيره لنفسه، ولم يُنصف من نفسه غيره، ولا من نسي الله في مواطن طاعته، وذكَر الله في مواطن الحاجةِ إليه، ولا مَن جَمَعَ العلم فعُرف به، ثم آثر عليه هواه عند متعلّمه، ولا مَن قلَّ منه الحياءُ من الله على جميل ستره، ولا مَن أغفل الشكرَ عن إظهار نعمته، ولا مَن عجز عن مجاهدةِ عدوه لنجاته إذا صبر عدوه على مجاهدته، ولا مَن جعل مروءتَه لباسَه، ولم يجعل أدَبه وورعه وتقواه لباسَه، ولا مَن جعل علمه ومعرفتَه تظرفاً وتزييناً في مجلسه، ثم قال: أستغفر الله إن الكلام كثير، وإن لم تقطعه لم ينقطع، وقام وهو يقول: لا تخرجوا من ثلاثة: النظر في دينكم بإيمانكم، والتزود لآخرتكم من دنياكم، والاستعانة بربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه.

وصية: وصية لقمان الحكيم

قال لقمان لابنه: جالِس العلماءَ وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيي القلوبَ الميتة بنور العلم، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء، وإياك ومنازعة العلماء فإن الحكمة نزلت من السماء صافية، فلما تعلمها الرجال صرفوها إلى هوى نفوسهم.

وصية حكمية: النظر في عيوب الناس

روينا عن ذي النون المصري أنه قال: مَن نظر في عيوب الناس عَمِي عن عيوب نفسه، ومَن اعتنى بالفردوس والنار شُغِل عن القيل والقال، ومَن هرب من الناس سَلِم من شرهم، ومَن شكر المزيدَ زِيدَ له، وقال بعضهم مثَلُ العالم الراغب في الدنيا الحريص في طلب شهواتها، كمثَل الطبيب المداوي غيره، الممرِّضِ نفسَه، فلا يُرجى منه الصلاحُ، فكيف يشفي غيره؟

وصية صحيحة: سبب الذنب

سُئل بعض الأولياء العارفين بالله: ما سببُ الذنب؟ قال: سببه النظرة: ومن النظرة الخطرةُ، فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبتْ، وإن لم تتداركها امتزجت بالوساوس، فيتولد منها الشهوة، وكلٌّ ذلك - بعدُ - باطنٌ لم يظهر على الجوارح، فإن تداركت الشهوة بقمعها وإلاّ تولد منها الطلب، فإن تداركت الطلبَ وإلاّ تولد منه الفعل.

تذكرة: لبني إسرائيل العلماء والفقهاء

تتضمن وصيةً نبويةً... قال عيسى عليه الصلاة والسلام في بعض مواعظه لبني إسرائيل: يا أيها العلماء وأيها الفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فلا أنتم تسيرون فيها فتَدخلوا الجنة، ولا تتركون أحداً يجوزكم إليها، وإنّ الجاهل أعَذرُ من العالِم، وليس لواحدٍ منهما عذر، وقال بعض الصالحين: من ترك الشغلَ بفضول الدنيا فهو زاهد، ومن أنصف في المودة وقام بحقوقِ الناس فهو متواضع، ومَن كظم الغيظ واحتمل الضيم والتزمَ الصبرَ فهو حليم، ومن تمسك بالعدل وترك فضول الكلام وأوجزَ في المنطق، وترك ما لا يعنيه، واقتصد في أُموره فهو عاقل، ومَن تفرغ إلى الأُمور المقربة إلى الله تعالى وتفرغ من نَكَد الدنيا وقال في نفسه: إن لم تأكلْ مُتَّ، وإنْ شبعتَ كسلتَ، وإن زدتَ مرضت فهو عابد.

وصية: من آثر الله

من رجلٍ صالح ناصح لعباد الله، وقد قال له مَن حضر من أصحابه: أوصِنا بوصية لعل الله أن ينفعنا بها، فقال ﷺ: آثِروا الله على جميع الأشياء، واستعملوا الصدقَ فيما بينكم وبينه، وأحبوه بكل قلوبكم، والزموا بابه، واشتغلوا به، وتوسدوا الموتَ إذا نمتم، واجعلوه نُصْب أعينكم إذا قمتم، وكونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بدَّ لكم من الآخرة، واحفظوا ألسنتكم، ولتُحزِنكم ذنوبكم، وليكن افتخاركم بربكم، وكونوا من خالصي أهل الله تَسْلموا ويسلمْ مِنكم الناس فتنالوا غداً مُناكم، ثم قال: استغفرُ الله فإن للكلام حلاوة في الدنيا، وما أعظم مؤنتَها في الآخرة، ثم قال: (ليسألَ الصادقين عن صدقهم) وفي دونِ ما قلتُ كفاية.

وصية نبوية محمدية

أوصى بها رسول الله ﷺ أبا هريرة ﵁، فلنذكر منها ما يَسَّر الله على قلمي الذي أُنشئُ به صورَ الحروف الدالةِ على المعاني، وفي مثل هذا قلتُ أُخاطبُ الخادمَ الذي يَقِدُ لي السراجَ حتى أكتبَ ما يُلقي الله في روعي من الأسرار الإلهية والمعارف الربانية:

قِدِ السراجَ عسى أحظى برؤيته	**وأنشِئُ الملأ المَرْقوم في الورقِ**
فما ترى طبقاً يعنو لخدمتِه	**إلاّ ويُخبر بالأحوال عن طَبَقِ**
في أحرفٍ ما لها حَدٌّ فيحْصُرَها	**تبدو معانيهِ للأبصار في نَسَقِ**
يُخطِّطُ القلمُ العلويُّ صورتها	**على يدِي دائماً ما دام لي رمقي**

قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة: يا أبا هريرة إذا توضأتَ فقل: (بسم الله والحمد لله) فإنّ حَفَظَتَكَ لا تزال تكتب لك حتى تفرغ من ذلك الوضوء.

يا أبا هريرة إذا أكلت طعاماً دسماً فقل: (بسم الله والحمد لله) فإن حَفَظَتَكَ لا تستريح تكتب لك حسناتٍ حتى تنبذه عنك.

يا أبا هريرة إذا غشيتَ أهلَك أو ما ملكتْ يمينُكَ فقل (بسم الله والحمد لله) فإن حفظتَك تكتب لك حسناتٍ حتى تغتسل من الجنابة، فإذا اغتسلتَ من الجنابة غفر لك ذنوبك.

يا أبا هريرة فإنْ كان لك ولدٌ من تلك الوقعة كُتب لك حسناتٌ بعددِ نسل ذلك الولد وعقبِه حتى لا يبقى منه شيءٌ.

يا أبا هريرة إذا ركبت دابة فقل: (بسم الله والحمد لله) تُكتبْ من العابدين حتى تَنزلَ عن ظهرها.

يا أبا هريرة إذا ركبت السفينة فقل (بسم الله والحمد لله) تُكتبْ من العابدين حتى تخرجَ منها.

يا أبا هريرة إذا لبست ثوباً جديداً فقل: (بسم الله والحمد لله) يُكتبْ لك عشرُ حسنات بعدد كل سلك فيه.

يا أبا هريرة لا يَهابَنَّك ما ملكتْ يمينُك فإنك إن مِتَّ وأنت كذلك كنت عند الله وجيهاً.

يا أبا هريرة لا تهجر امرأتَك إلاّ في بيتها، ولا تضربْها ولا تشتمها إلاّ في أمر دينها، فإنك إن كنت كذلك مشيْتَ في طرقات الدنيا وأنت عتيقُ الله من النار.

يا أبا هريرة احمل الأذى عمّن هو أكبرُ منك وأصغرُ منك وخيرٌ منك وشرٌّ منك، فإنك إن كنت كذلك باهى الله بك الملائكة ومن باهى الله به الملائكة جاء يوم القيامة آمناً من كل سوء.

يا أبا هريرة إن كنت أميراً أو وزير أميرٍ أو داخلاً على أميرٍ، أو مشاورَ أميرٍ فلا تُجاوِزَنْ سيرتي وسنتي، فإنه أيما أميرٍ أو وزيرِ أميرٍ، أو داخلٍ على أميرٍ، أو مشاورِ أميرٍ خالفَ سيرتي وسنتي، جاء يوم القيامة تأخذه النارُ من كل مكان.

يا أبا هريرة عدلُ ساعةٍ خير من عبادة ستين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها.

يا أبا هريرة قل للمؤمنين الذين أصابوا الصغائر والكبائر لا يمت أحد منهم وهو مصرٌّ عليها، فإنه من لقي ربه عز وجل على ذلك وهو مصرّ عليها فإن عقوبتها - يعني الصغيرة - كعقوبة من لقي الله على كبيرة وهو مصرّ عليها.

يا أبا هريرة لئن تلقَ الله عز وجل على كبائر قد تبت منها، خيرٌ لك من أن تلقاه وقد تعلمت آية من كتاب الله عز وجل ثم نسيتها.

يا أبا هريرة لا تلعن الولاة فإن الله أدخل أُمةً جهنم بلعنهم ولاتهم.

يا أبا هريرة لا تسبنّ شيئاً إلاّ الشيطان، فإنك إنْ متّ وأنت كذلك صافحتك جميع رسل الله تعالى وأنبياء الله تعالى والمؤمنون حتى تعبر إلى الجنة.

يا أبا هريرة لا تسبَّ من ظلمك تُعطَ من الأجر أضعافاً.

يا أبا هريرة أشبع اليتيم والأرملة وكن كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف، تُعطَ بكل نفس تنفست في دار الدنيا قصراً في الجنة، كلُّ قصرٍ خيرٌ من الدنيا وما فيها.

يا أبا هريرة امش في ظلم الليل إلى مساجد الله عز وجل تُعطَ حسناتٍ بوزن كلِّ شيء وَضَعْتَ عليه قدمك مما تحبُّ وتكره إلى الأرض السابعة السفلى.

يا أبا هريرة ليكن مأواك المساجد والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله، فإنك إن متّ وأنت كذلك كان الله مؤنسك في القبر ويوم القيامة وعلى الصراط ويكلّمك في الجنة.

يا أبا هريرة لا تنهر الفقير فتنهرك الملائكة يوم القيامة.

يا أبا هريرة لا تغضب إذا قيل لك اتّق الله، وإنْ قد هممت بسيئة أن تعملها تكن خطيتك عقوبتها النار.

يا أبا هريرة من قيل له: اتّق الله فغضب، جيء به يوم القيامة فيوقَفُ موقفاً لا يبقى مَلَكٌ إلاّ مرّ به، فقال له: أنت الذي قيل له اتّق الله فغضبَ؟ فيسوءه ذلك، فاتّق مساوئ يوم القيامة أو مساءتي (الشك من الراوي).

يا أبا هريرة أحسن إلى ما خوَّلك الله، فإنه من أساء إلى ما خوله الله فإنه يرصده على الصراط فيتعلق به، فكم من مؤمن يُردُّ من الصراط للقصاص.

يا أبا هريرة على كل مسلم صلاةٌ في جوف الليل ولو قدْرَ حلب شاة، ومن صلى في جوف الليل يريد أن يرضى ربه عز وجل ﵁ وقضى له حاجته في الدنيا والآخرة، فرغم أبو هريرة، قال: قلت يا رسول الله ﷺ: في أي الليل الصلاة أفضل؟ قال: وسط الليل.

يا أبا هريرة إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فافعل تكن من المقربين، ولا تتخذَنّ أحداً من خلق الله غرضاً فيجعلك الله غرضاً لشرر جهنم يوم القيامة.

يا أبا هريرة إذا ذكرت جهنم فاستجر بالله منها، وليبك قلبك منها ونفسكَ ويقشعر جلدك منها يجِرك الله منها.

يا أبا هريرة إذا اشتقت إلى الجنة فاسأل الله أن يجعل لك فيها نصيباً ومَقيلاً، وليحِنّ قلبك شوقاً إليها، وتدمع عيناك وأنت مؤمن بها، إذاً يعطيكها الله تعالى ولا يردَّك.

يا أبا هريرة إن شئت أن لا تفارقني يوم القيامة حتى تدخل معي الجنة أحببني حباً لا تنساني، واعلم أنك إن أحببتني لم تترك ثلاثة: الاقتداء بهديي، والشوق إليّ، وكثرة الصلاة عليَّ، قلت: فوصل إليّ منها سرورٌ عظيم، وارْضَ بقَسْم الله، فإنه من خرج من الدنيا وهو راض بقسْم الله خرج والله عنه راض، ومن رضي اللهُ عنه فمصيره إلى الجنة.

يا أبا هريرة مُرْ بالمعروف وانه عن المنكر، قال: كيف آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر؟ قال: علّم الناس الخير ولقنهم إياه، وإذا رأيت من يعمل بمعاصي الله تعالى لا تخف سوطه وسيفه، فلا يحل لك أن تجاوزه حتى تقول له: اتّق الله.

يا أبا هريرة تعلم القرآن وعلمه للناس حتى يجيئك الموت وأنت كذلك، وإن كنت كذلك جاءت الملائكة إلى قبرك وصلّوا عليك واستغفروا لك إلى يوم القيامة، كما تحج المؤمنون إلى بيت الله عز وجل.

يا أبا هريرة القَ المسلمين بطلاقة وجهك ومصافحة أيديهم بالسلام، إنْ استطعت أن تكونَ كذلك حيث كنت، فإن الملائكة معك سوى حفظتك يستغفرون لك ويصلون عليك، واعلم أنه من خرج من الدنيا والملائكة يستغفرون له غفر الله له.

يا أبا هريرة إن أحببت أن يُفْشى لك الثناء الحسن في الدنيا والآخرة كُفّ لسانك عن غِيبة الناس، فإنه من لم يغتب الناس نصره الله في الدنيا والآخرة، أما نصرته في الدنيا فإنه ليس أحدٌ يتناوله إلاّ كانت الملائكة تكذبهم عنه، وأما نصرته في الآخرة فعفو الله عن قبيح ما صنع ويُتَقبّل منه أحسن ما عمل.

يا أبا هريرة اغدُ في سبيل الله يبسطِ الله لك الرزق.

يا أبا هريرة صِلْ رحمك يأتِك الرزق من حيث لا تحتسب، واحجج البيت يغفر الله لك ذنوبك التي وافيت بها البلد الحرام.

يا أبا هريرة اعتُقِ الرقاب يعتق الله بكل عضوٍ منك عضواً منك وفيه أضعاف ذلك من الدرجات.

يا أبا هريرة أشبع الجائع يكنْ لك مثلُ أجر حسناته وحسنات عقبه، وليس عليك من سيئاتهم شيء.

يا أبا هريرة لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً تعمله، ولو أنْ تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، فإنه خصال البر، والبر كلُّه عظيم، وصغيره ثوابه الجنة.

يا أبا هريرة أُأمر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب، ولا يكن للشيطان في بيتك مدخل ولا مسلك.

يا أبا هريرة إذا عطس أخوك المسلم فشمِّته، فإنه يكتب لك به عشرين حسنةً، فقلت يا رسول الله، بأبي أنت وأُمي كيف ذاك؟ قال: إنك حين تقول له: يرحمُك الله يكتب لك عشر حسنات، وحين يقول لك: يهديك الله يكتب لك عشر حسنات.

يا أبا هريرة كن مستغفراً للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، يكونوا كلُّهم شفعاء لك، ويكن لك مثل أُجورهم من غير أن ينقص من أُجورهم شيء.

يا أبا هريرة إن كنت تريد أن تكون عند الله صدّيقاً فآمن بجميع رسل الله وأنبياء الله وكتبه.

يا أبا هريرة إن كنت تريد أن تحرّم على النار جسدك فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، لا إله إلاّ الله له الملك وله الحمد، لا إله إلاّ الله والله أكبر، لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله).

يا أبا هريرة لا يحلُّ لك أن تدخل على من هو في سكرات الموت ولو كان نبياً حتى تلّقنه شهادة أن لا إله إلاّ الله.

يا أبا هريرة من لقّن مريضاً في سكرات الموت شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له فقالها، كان له مثل جميع حسناته، فإن لم يقلها فله عتق رقبة بقوله لا إله إلاّ الله.

يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلاّ الله رب اغفر لي، فإنها تهدم الذنوب هدماً، فقلت: يا رسول الله، هذا للموتى، فكيف للأحياء؟ فقال: هي أهدم وأهدم، قال فعدّده رسول الله ﷺ عليّ أكثر من عشرين مرة يقول رسول الله ﷺ: أهدم وأهدم.

يا أبا هريرة إن استطعت أنْ لا تمطر السماء مطراً إلاّ صليت عنده ركعتين، فإنك تعطى حسنات بعدد كل قطرة نزلت تلك الساعة، وعدد كل ورقةٍ أَنبتت من ذلك المطر.

يا أبا هريرة تصدق بالماء، فإنه لا يتوضأ أحد إلاّ كان لك مثل حسناته من غير أن ينقص من حسناته شيء.

يا أبا هريرة أما علمت أن رجلاً غُفر له بأنْ احتشّ حشيشاً فجاءت بهيمة فأكلته.

يا أبا هريرة قل للناس حُسْناً تفلح يوم القيامة.

يا أبا هريرة عُدْ على المسكين كافراً كان أو مسلماً، فإنك إن عدت على المسكين الكافر رحمك الله، وأما ثوابك إن عدت على المسكين المسلم فلا أحسن صفته.

يا أبا هريرة إن كنت في مال أبيك أو أُمك أو ولدك فلا يحل لك أن تتصدق منه إلاّ بإذنه.

يا أبا هريرة لا يحل لك من مال امرأتك شيء إلاّ شيءٌ تعطيك من غير أن تسألها، وذلك هو قول الله تعالى: **{فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا}**[252].

يا أبا هريرة قل للنساء لا يحل لهن أن يتصدقن من بيوت أزواجهن شيئاً إلاّ بكل رطب يَخفْن فساده إذا كان غائباً.

يا أبا هريرة علِّم الناس سنتي يكن لك النورُ الساطع يوم القيامة يغبطك به الأولون والآخرون.

يا أبا هريرة كن مؤذناً وإماماً، فإنك إذا رفعت صوتك بالأذان يرفع الله صوتك حتى يبلغ العرش، فلا يمر صوتك على شيء إلاّ كان لك بعدده عشر حسنات، ولك إذا كنت إماماً بعدد من صلى خلفك، ولك مثل صلاتهم لا ينقص من صلاتهم شيء، إلاّ أن تكون إماماً خائناً، قال: قلت يا رسول الله وكيف الإمام الخائن؟ قال: إذا خصصت نفسك بالدعاء دونهم فقد خنتهم.

يا أبا هريرة لا تضربنّ في أدبٍ فوق ثلاث، فإنك إن زدت فهي قصاص يوم القيامة.

يا أبا هريرة أدِّب صغار أهل بيتك بلسانك على الصلاة والطهور، فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً.

يا أبا هريرة عليك بابن السبيل فقدِّمه إلى أهلك أو إلى أهله، تشيعْك الملائكة إلى الصراط.

يا أبا هريرة جالس الفقراء، فإن رحمة الله لا تبعد عنهم طرفةَ عين.

يا أبا هريرة لا تؤذ المسلمين في طريقهم، فإنه مَنْ آذى المسلمين في طريقهم ذمّه المسلمون والملائكة جميعاً.

يا أبا هريرة إذا مررت على أذى في الطريق فغطه بالتراب، يستر الله عليك يوم القيامة.

يا أبا هريرة إذا أرشدت أعمى فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى فإنها صدقة.

يا أبا هريرة من مشى مع أعمى ميلاً يسدده، كان له بكل ذراع من الميل عشر حسنات.

يا أبا هريرة أسمع الأصمَّ الذي يسألك عن خيرٍ يُسمعك الله ما يسرُّك يوم القيامة.

يا أبا هريرة أرشد الضال ترشدك الملائكة إلى أحسن المواقف يوم القيامة.

يا أبا هريرة لا ترشد اليهوديَّ إلى بيعته، ولا النصراني إلى كنيسته، ولا الصابئيِّ إلى صومعته، ولا المجوسيِّ إلى بيت ناره، ولا المشرك إلى بيت وثنه إذا تكتب عليك مثلُ خطاياه حتى ترجع.

يا أبا هريرة لا ترشد أحداً إلى غير حدود الله فيعملَ به إذا يكون عليك مثل ذنبه.

يا أبا هريرة أرشد عباد الله إلى مساجد الله، وإلى البلد الحرام، وإلى قبري يكن لك مثل أُجورهم ولا تنقص من أُجورهم شيئاً.

يا أبا هريرة أبلغ النساء أنه ليس عليهن زيارة قبري، ولكن عليهن حج بيت الله الحرام إذا كان معهن محرم، وإلاّ فلا، قلت: يا رسول الله، وإنْ كانت امرأة مثل الحشفة؟[253] قال: وإن كانت امرأة مثل الحشفة.

يا أبا هريرة إن استطعت أن لا يكون لأحد من الظالمين عليك يدٌ ولا لسانٌ فإني أحب لك ذلك.

يا أبا هريرة لا يكن أمير من أُمرائك إلاّ أميراً يعدل مثل ما تعدل أنت، فإن عدلت أنت وجار هو كنت أنت شريكه في الإثم، ولم تكن شريكه في الأجر.

يا أبا هريرة إن كان لك مال وجبت عليه زكاة فزكِّه، فإن أصابته آفة وقد زكيته مرة واحدة فهي مجزئة إلى يوم القيامة.

يا أبا هريرة إذا لقيت اليهوديَّ والنصرانيَّ فلا تصافحه وأنت على وضوء، فإن فعلت فأعد الوضوء.

يا أبا هريرة لا تكني اليهوديَّ ولا النصراني ولا المجوسي، ولكن سمّه باسمه، فإنك والله تذلُّه بذلك، ولا يحل لك أن تكرمه، إنما لهم من العهد والذمة أن لا يؤخذ من أموالهم إلاّ بطيب أنفسهم، ولا تدخل بيوتهم إلاّ بإذنهم، ولا تحُل بينهم وبين أطفالهم، ولا يخانون في نسائهم فبذلك آمرك ولتعرف الملة.

يا أبا هريرة إذا خلوت بيهودي أن نصراني أو مجوسي فلا يحلُّ لك أن تفارقه حتى تدعوه إلى الإسلام.

يا أبا هريرة لا تجادلنّ أحداً منهم فعسى أن يأتيك بشيء من التنزيل فتكذبه أو تجيء بشيء فيكذبك، بل لا يكون من حديثك إلاّ أن تدعوه إلى الإسلام وهو: قول الله تعالى: **{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**[254] الدعاء إلى الإسلام.

يا أبا هريرة صلِّ إماماً كنت أو غير إمام في ثوب واحد إن كان صفيقاً[255].

يا أبا هريرة أتريد أن يكون أجرك كأجر شهداء أهل بدر؟ فانظر رجلاً مسلماً ليس له ثوب يجمّع فيه يوم الجمعة فأعره ثوبك أو هبه له.

يا أبا هريرة أتريد أن لا تسمع حسيس النار ولا يقع بك شررها؟ فأغث من استغاث بك، حريقٌ كان، لصٌّ كان، سيل كان، غريق كان، هدم كان.

يا أبا هريرة نفِّس عن المكروبين والمغمومين تخرج من غم يوم القيامة.

يا أبا هريرة امش إلى غريمك بحقه تشيعك الملائكة بالصلاة عليك.

يا أبا هريرة مَن عَلم الله منه أنه يريد قضاء دينه رزقه الله من حيث لا يحتسب، وهيأ له قضاء دينه في حياته أو بعد موته.

يا أبا هريرة من أصاب مالاً حلالاً وأدّى زكاته ثم ورّثه عقبه، فكل ما يصنع فيه ورثته من الحسنات فله مثل ذلك من غير أن ينقص من أُجورهم.

يا أبا هريرة من قذف محصناً أو محصنة، حُبس يوم القيامة في وادي خبال هناك يخرج أو يجيء ببيان ما قاله، قال، قلت يا رسول الله: وما وادي خبال؟ قال: وادي خبال: وادٍ في جهنم يسيل فيه قيحُهم وما يخرج من أجوافهم.

يا أبا هريرة من مات وعليه دَينٌ وترك وفاء ذلك فجحده ورثته وليس لهم عليه بينة، ولم يعلم الله منه أنه يريد قضاءه فهو قصاصٌ من حسناته يوم القيامة.

يا أبا هريرة المقتول في سبيل الله يغفر له جميع ذنوبه إلاّ ديناً أو قذف محصنة أو محصن.

يا أبا هريرة كلُّ ذنب غمٌّ يوم القيامة، فربَّ ذنب له ثارةٌ من الغم، وربَّ ذنب له ثارات، ولا ذنب على المسلم أطول ثارات من مظلمة الدم، أو المال أو العرض.

يا أبا هريرة من أصاب شيئاً من ذلك فتاب إلى الله عز وجل قبل موته، واستكان وتضرع، وليس عنده أداء تلك المظلمة، فإن على الله أن يُرضي خصماءه يوم القيامة من عنده بما شاء.

يا أبا هريرة إنْ ظَلَمكَ إنسان فلا تشكه، ولا تسمّع به الناس وتعرّفهم حالته، تكن أنت وهو سواء.

يا أبا هريرة من عفا عن مظلمة صغيرة أو كبيرة فأجرُهُ على الله، ومن كان أجره على الله فهو من المقربين الذين يدخلون الجنة مُدخلاً.

يا أبا هريرة لا تُروِّع أحداً من خلق الله عز وجل فتروّعك ملائكة الله في الآخرة يوم القيامة.

يا أبا هريرة أتريد أن تكون عليك رحمةُ الله حياً وميتاً ومقبوراً ومبعوثاً؟ فقم بالليل وصلّ وأنت تريد به رضا ربك، ثم مُرْ أهلك يصلون، إذا فرغوا يوقظونك، فإنه إذا مرّ عليك من الليل ثلاث ساعات، ومن النهار ثلاث ساعات، وفي بيتك من يعبد الله أعطاك الله مثل ذلك.

يا أبا هريرة صلِّ في زوايا بيتك جميعاً يكن نور بيتك جميعاً في السماء كنور الكواكب في السماء عند أهل الدنيا.

يا أبا هريرة احمل غداءك وعشاءك إلى أقاربك المحتاجين، يكن لك في كل خير يقسمه الله بين أوليائه وأحبائه في الدنيا والآخرة سهم وافر.

يا أبا هريرة ارحم جميع خلق الله يرحمك الله من النار يوم القيامة، قال: قلت يا رسول الله: إني لأرحم الذباب يكون في الماء، فقال رسول الله ﷺ رحمك الله، رحمك الله، رحمك الله.

يا أبا هريرة إذا نزلت بك مصيبة فارض بما أعطاك الله، وليعلم الله منك أن ثواب المصيبة أحبُّ إليك من عدم المصيبة يعطك الله الصلاة والرحمة والهدى.

يا أبا هريرة عَزِّ الحزين كما تحب أن تُعزّى، واذكر ثواب ما أعدّ الله على المصيبة تُعطَ بكل خطوة عتق رقبة.

يا أبا هريرة إذا مررت بجمع نساءٍ فلا تسلم عليهن، فإن بدأنك بالسلام فاردد عليهن.

يا أبا هريرة إذا سلم المسلم على المسلم فردَّ عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة.

يا أبا هريرة الملائكة تتعجب من المسلم يلقى المسلم فلا يسلم عليه.

يا أبا هريرة تعوَّد التسليم فإنه خصلة من خصال الجنة، قال ابن شاهين: وهو تحية أهل الجنة يوم القيامة.

يا أبا هريرة أصبحْ وأمسِ ولسانُك رطب من ذكر الله، تصبح وتمسِ وليس عليك خطيئة.

يا أبا هريرة إن الحسناتِ يُذهبن السيئات كما يُذهب الماءُ الوسَخَ.

يا أبا هريرة استر عورة أخيك يكن الله لك ناصراً.

يا أبا هريرة أُنصر أخاك واستر عليه قبل أن يُرفع إلى السلطان في حدٍ من حدود الله، فإن رفع إلى السلطان فإياك أن تباشر له بنفسك ومالك، فإنه من حَالَتْ شفاعته دون حدٍ من حدود الله فهو كذا وكذا.

وصية: محاسبة النفس والنظر إلى العواقب

قال بعض العلماء في وصية أوصى بها: اعلم أنه من حاسب نفسه ربح، ومن غَفل عنها خسر، ومن نظر إلى العواقب نجا، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم عَلم، وفي التواني والإفراط تكون الهَلكة، وفي التأني السلامة والبركة، وزارع البرّ يحصد السرور، والقليل مع القناعة خيرٌ من الكثير مع السرف في الذل، والتقوى نجاةٌ، والطاعة ملك، وحليف الصدق موفقٌ، وصاحب الكذب مخذولٌ، وصديق الجاهل تعِبٌ، ونديم العالم مغتبَط، فإذا جهلت فسل، وإذا ندمت فأقلِع، وإذا غضبت فاحلُم، وإن ائتمِنْتَ فاكتم، ومن كافأك بالشكر فقد أدى إليك الصنيعة، ومن أقرضك الثناء فأقرضه الفعل، ومن بدأك ببرِّه شغلك بشكره، فتفهم ما وفد مني إليك، واجعله تمثالاً بين عينيك، فإن الذي أفدتك من وصيتي أبلغُ في رفدك من عطيتي، وضع الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب، ولا تضعنَّ معروفك عند اللئام فتضيعه، فإن الكريم يشكر لك ويرصد لك المكافأة، واللئيم يحسب ذلك خوفاً منه، ويؤول أمرُك معه إلى المذمة، قال الشاعر:

إذا وليتَ معروفاً لئيما ... يَعدُّك قد قتلتَ له قتيلا

فكن من ذاك معتذراً إليه ... وقل: إني أتيتك مستقيلا

فإن تغفر 256 فخير من عظيم ... وإن عاقبت لم تَظلم فتيلا

وإن واليتَ ذلك ذا وفاءٍ ... فقد أودعته شكراً جميلا

وصية: لا تنسب لنفسك شيئاً

أوصى بعض العارفين بالله إنساناً فقال: إياك أن تكون في المعرفة مدّعياً، أو تكون بالزهد محترفاً، أو تكون بالعبادة متعلقاً، فقيل له: يرحمك الله، فسِّر لنا ذلك، فقال: أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء أنت معرَّى عن حقائقها كنت مدعياً، وإذا كنت بالزهد موصوفاً بحالة،

وبك دون الأحوال كنت محترفاً، وإذا علّقت قلبك بالعبادة وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا بالله في العبادة كنت بالعبادة متعلقاً.

وصية نبوية: أعمال رجال كأنهم أنبياء

قال رسول الله ﷺ في وصيته لأبي هريرة: عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام إذا فزع الناس لم يفزعوا، وإذا طلب الناس الأمان من النار لم يخافوا، قال أبو هريرة: من هم يا رسول الله؟ حَلِّهم وصفهم لي حتى أعرفهم، قال: قوم من أُمتي في آخر الزمان يُحشرون في يوم القيامة مَحشر الأنبياء، إذا نظر إليهم الناس ظنوهم أنبياء مما يرون من حالهم، حتى أعرِّفهم أنا فأَقول أُمتي أُمتي، فتعرف الخلائق أنهم ليسوا بأنبياء، فيمرون مثل البرق والريح، تغشّى أبصارُ أهل الجمع من أنوارهم، فقلت: يا رسول الله: مُر لي بمثل عملهم، لعلي ألحق بهم، فقال يا أبا هريرة ركب القوم طريقاً صعباً لحقوا بدرجة الأنبياء، آثروا الجوع بعدما أشبعهم الله، والعريَ بعدما كساهم، والعطش بعدما أرواهم، تركوا ذلك رجاءَ ما عند الله، تركوا الحلال مخافة حسابهم، صحبوا الدنيا بأبدانهم، ولم يشتغلوا بشيء منها، عجبت الملائكة والأنبياء من طاعتهم لربهم، طوبى لهم، طوبى لهم، ودِدتُ أن الله جمع بيني وبينهم، ثم بكى رسول الله ﷺ شوقاً إليهم، ثم قال: إذا أراد الله بأهل الأرض عذاباً فنظر إليهم صرف العذاب عنهم، فعليك يا أبا هريرة بطريقتهم، فمَن خالف طريقتهم تعب في شدة الحساب.

وصية: الإنسانية... كمال

كتبتُ إلى بعض معارفِنا بوصيةٍ ضمَّنتها أبياتاً أحرِّضه فيها على تكمِلةِ إنسانيته وهي:

إنْ تَكن رَوحاً ورَيحاناً ... كنت بين الناس إنسانا

إنَّما أعطاكَ صورته ... لِتكن في الخلقِ رحمانا

فالذي قد حاز صورته ... حاز ما يأتي وما كانا

والذي في الغيب من عجبٍ **والذي قد جاءه الآنا**

وإذا يدعوه خالقه **إنمـــــا يدعوه مِحســـــانا**

وأوصى بعض الصالحين إنساناً فقال: أكثِرْ مساءلةَ الحكماء، ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لمن تخدُم، ثم اخدم. سأل إبراهيم الأخميميُّ ذا النون أن يوصيه بوصيةٍ يحفظها عنه، قال: وتفعل؟ قال إبراهيم: قلت: نعم إن شاء الله، فقال: يا إبراهيم احفظ عني خمساً فإن أنت حَفظنهن لم تبالِ ماذا أصبت بعدهن، قلت: وما هن رحمك الله؟ قال: عانق الفقر، وتوسد الصبر، وعادِ الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى الله في أمورك كلها، فعند ذلك يورثك الشكر والرضا والخوف والرجاء والصبر، وتورثك هذه الخمسة خمسةً: العلم، والعمل، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والوفاء بالعهود، ولن تصل إلى هذه الخمسة إلاّ بخمس: علمٍ غزيرٍ، ومعرفةٍ شافيةٍ، وحكمةٍ بالغةٍ، وبصيرةٍ نافذةٍ، ونفسٍ راهبةٍ، والويل كلُّ الويل لمن بُليَ بخمسٍ: حرمانٍ، وعصيانٍ، وخِذلانٍ، واستحسان النفسَ لما يسخط الله، والإزراء على الناس بما يأتي، وأقبح القبح خمسٌ: قبح الفِعال، ومساوي الأعمال، وثقل الظهور بالأوزار، والتجسس على الناس بما لا يحبُّ الله، ومبارزة الله بما يكره، وطوبى ثم طوبى لمن أخلص عشَرة: أخلص علمه وعمله، وحبّه وبغضه، وأخْذه وعطاءه، وكلامه وصمته، وقوله وفعله، واعلم يا إبراهيم أن وجوه الحلال خمسة: تجارة بالصدق، وصناعة بالنصح، وصيد البر والبحر، وميراث حلالِ الأصل، وهدية من موضع ترضاها، وكلُّ الدنيا فضولٌ إلاّ خمسةً: خبزٌ يشبعك، وماءٌ يرويك، وثوب يسترك، وبيت يكنُّك، وعلم تستعمله، وتحتاج أيضاً أن يكون معه خمسة أشياء: الإخلاص، والنية، والتوفيق، وموافقة الحق، وطيب المطعم والملبس، وخمسة أشياء فيها الراحة: ترك قرناء السوء، والزهد في الدنيا، والصمت، وحلاوة الطاعة إذا غِبت عن أعين المخلوقين، وترك الإزراء على عباد الله، حتى لا تزدري على أحد يعصي الله، وعندها يسقط عنك خمس: المراء، والجدل، والرياء، والتزيين، وحبُّ المنزلة، وخمس فيهن جمع الهمّ: قطع كل علاقةٍ دون الله، وترك كلِّ لذة فيها حساب، والتبرم بالصديق والعدو، وخفة الحال، وترك الادخار، وخمس يا إبراهيم يتوقعهن العالم: نعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو ميتة قاضية، أو فتنة قاتلة، أو تزل قدمٌ بعد ثبوتها، حسبك يا إبراهيم إن عملت بما علمتك. ومن قول أبي العتاهية في الوصايا منظوماً في هذا الباب:

ما أنا إلاّ لمن يعاني **أرى خليلي كما يراني**

لست أرى ما ملكتُ طرفي **مكان مَن لا يرى مكاني**

فلي إلى أن أموت رزق **لو جَهِدَ الخلقُ ما عداني**

فاستغنِ بالله عن فلانٍ **وعن فلانٍ وعن فلانِ**

فالمالُ من حِلِّه قوامٌ **للعِرضِ والوجه واللسانِ**

والفقرُ ذلٌ عليه بابٌ **مفتاحهُ العجزُ والتواني**

ورزقُ ربي له وجوهٌ **هن من الـله في ضمانِ**

سبحانَ مَن لم يزل عليّا **ليس له في العلوِّ ثانِ**

قضى على خلقه المنايا **فكلُّ حيّ سواه فانِ**

يا رب لَم نبكِ من زمانٍ **إلاّ بكينا على الزمانِ**

نصيحة عمرية: عن النفاق

قال عمر بن الخطاب ﵁ من أظهرَ للناس خشوعاً فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق.

موعظة: التواضع

تتضمن وصية ونصيحة نبوية، قال رسول الله ﷺ: طوبى لمن تواضعَ في غير منقصة، وذلَّ نفسه في غير مسكنة، وأنفقَ من مالٍ جمَعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحِم أهل

الذِّلة والمسكنة، طوبى لمن طابَ كسبهُ، وصَلُحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شرَّه، طوبى لِمن عَمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضلَ من قوله.

وصية: الفضيل بن عيّاض ينصح هارون الرشيد

الفضيل بن عياض لأمير المؤمنين: روينا أن أمير المؤمنين هارون الرشيد حجَّ ومعه الفضل بن الربيع، قال الفضل: أتاني أمير المؤمنين فخرجت إليه مسرعاً، فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك، فقال: وَيحك، قد حاك في نفسي شيءٌ، فانظر لي رجلاً أسأله، فقلت: ههنا سفيان ابن عيينْة، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعتُ الباب، فقال: مَن ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك، قال: خذْ لما جئناك له رحمك الله، فحدّثه ساعةً، ثم قال له: عليك دَين؟ قال: نعم، فقال لي: اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله، فقلت: ههنا عبد الرزاق، فذكر مثل ما جرى له مع سفيان، وقال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله، فقلت: ههنا الفضيل بن عياض، فقال: امضِ بنا إليه، فإذا هو قائم يصلي يتلو آيةً من القرآن، يردِّدُها، قال: اقرع الباب، فقرعت، فقال: مَن هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين فقال: ما لي ولأمير المؤمنين، فقلت: سبحان الله، أما له عليك طاعةٌ؟ فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجَعَلْنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كفُّ أمير المؤمنين قبلي إليه، فقال: يا لها من كفّ ما ألينها إن نجتْ غداً من عذاب الله عز وجل، فقلت في نفسي ليكلمنّه الليلة بكلامٍ من قلب تقيّ، فقال: خذ لما جئناك له، رَحِمَك الله، فقال له: إن عمر بن عبد العزيز لمّا وَليَ الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظيَّ، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا عليّ، فعَدَّ الخلافة بلاءً، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له[257] سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا، وليكن فطرك منها الموت، وقال له ابن كعب إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ابناً، فوقِّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك، وقال له رجاءُ بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فأحبّ للمسلمين ما تحبُّ لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مُت إذا شئت، وإني أقول لك يا هارون: إني أخاف عليك أشد الخوف، يومٌ تزلُّ فيه الأقدام، فهل معك ـ رحمك الله ـ مَن يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غُشيَ عليه، فقلت[258]: أرفق بأمير المؤمنين، قال: تقتُله أنت وأصحابك، وأرفقُ به

أنا؟ ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله، فقال له: يا أمير المؤمنين بلغني أنّ عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه، فكتب إليه: يا أخي أذكِّرُك سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن يُنصرف بك من عند الله عز وجل، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قَدِم على عمر بن عبد العزيز، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعتَ قلبي بكتابك؟ لا أعود إلى ولايةٍ حتى ألقى الله عز وجل، قال: فبكى هارون بكاء شديداً، ثم قال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عمَّ المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أمِّرني على إمارة، فقال له: يا عمّ إن الإمارة حسرةٌ وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل، فبكى هارون بكاءً شديداً وقال له: زدني - رحمك الله - قال يا حَسَنَ الوجه أنت الذي يسألك الله عزّ وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل، وإياك تصبحَ وتمسي وفي قلبك غِشٌّ لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: من أصبح له غاشّاً لم يُرَح رائحة الجنة، فبكى هارون وقال: عليك دَين؟ فقال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنما يعني من دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، وقد قال عز وجل: **{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ}**[259] فقال سبحان الله أنا أدُلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا، سَلمك الله ووفقك، ثم صمت ولم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب، قال لي هارون: إذا دللتني على رجلٍ فدلّني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين، فدخلتْ عليه امرأة من نسائه، فقالت له: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلتَ هذا المال لفرّجتَ عنّا به، فقال لها: مَثَلي وَمثَلُكم كمَثَل قوم كان لهم بعيرٌ يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخلُ فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه ولا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جاريةٌ سوداء فقالت له: يا هذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف رحمك الله، فانصرفنا.

وقال رجل لذي النون المصري: دلني على طريق الصدق والمعرفة، فقال: يا أخي أدِّ إلى صدقَ حالك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسنة، ولا ترقَ حيث لا ترقى فتزل قدمُك، فإنه إذا دُلَّ بك لم تسقط، وإذا ارتقيت أنت تسقط، وإياك أن تترك ما تراه يقيناً لما ترجوه شكاً.

وصية مشفق ناصح: أحكام الفرائض

ليكن آثرَ الأشياء عندك وأحبها إليك إحكام ما افترض الله عليك واتقاء ما نهاك عنه، فإنه ما تعبَّدك الله به خيرٌ لك وأفضل مما تختاره لنفسك من أعمال البر التي لم تجب عليك، وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد، كالذي يؤدب نفسه بالفقر والتقلل وما أشبه ذلك، إنما ينبغي للعبد أن يراعيَ أبداً ما وجب عليه من فرضٍ فيحكمه على تمام حدوده، وينظر إلى ما نُهي عنه فيتقيه على أحكم ما ينبغي، فالذي قطع العباد عن ربهم عز وجل وقطعهم عن أن يُرزقوا حلاوة الإيمان وعن أن يبلغوا حقائق الصدق، وحجب قلوبهم من النظر إلى الآخرة وما أعدَّ الله فيها لأوليائه وأعدائه حتى يكونوا كأنهم مشاهدون، إنما قطعهم تهاونُهم عن إحكام ما فرض عليهم في قلوبهم وأسماعهم، وأبصارهم، وألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم، وبطونهم، وفروجهم، ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها لأدخَل عليهم البرَّ إدخالاً، يعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم من حسن معرفته وفوائد كرامته، ولكن أكثر القراء والنساك حقَّروا محقرات الذنوب، وتهاونوا بالقليل منها، وما فيهم من العيوب، فحُرموا لذة ثواب الصادقين في العاجل، واستغفرِ الله مما تقول ولا تفعل.

وصية: الوقوف بالنفس عند حدّها

عبدِ الله المغاوري وكان رجلاً كبيراً من أهل لَبْلة من أعمال إشبيلية بغرب الأندلس يُعرف بالأندلسي، كان سبب رجوعه إلى الله أن الموحدين لمّا دخلوا لَبْلة رَمَت امرأة عليه نفسها وقالت له: احملني إلى أشبيلية، ونجِّني من أيدي هؤلاء القوم، فأخذها على عنقه وخرج بها، فلما خلا بها وكان من الشطار الأشدّاء الأقوياء، وكانت المرأة ذات جمالٍ فائقٍ، فدعته نفسُه إلى وقاعها فقال: يا نفسُ هي أمانة بيدي، ولا أحبُّ الخيانة، وما هذا وفاءٌ مع صاحبها، فأبت عليه نفسه إلاّ الفعل، فلما خاف على نفسه أخذ حجراً وجعل ذَكَره عليه، وهو قائم وأخذ حجراً آخرَ فقال به عليه، فرضخه بين الحجرين، فقال: يا نفسي النار ولا العار، فجاء منه واحدُ زمانه، وخرج من حينه يطلب الحجّ: فأقام بالإسكندرية إلى أن مات بها، أدركتُه ولم أجتمع به، فأخبرني أبو الحسن الإشبيلي قال: أوصاني عبد الله المغاوري، فقال لي: يا أبا الحسن آمرك بخمسٍ، وأنهاك عن خمسٍ: آمرك باحتمال أذى الخلق، وإدخال الراحة على الإخوان، وأن تكون أذناً لا لساناً (أي اسمع ما يُتكلم به)، والخامسُ أن تكون مع الناس على نفسك، وأنهاك عن: معاشرة النساء، وحب الدنيا، وحب الرياسة، وعن الدعوى، وعن الوقوع في رجال الله.

وصية حكيم: سرور الأبد

روَيناها من حديث ابن مروان المالكيِّ في المجالسة قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: قال حكيم لحكيم: أوصني فقال: إجعل الله همك، واجعل الحزن على قدر ذنبك، فكم من حزين وقفَ به حزنُه على سرور الأبد، وكم من فرح نقله فرحه إلى طول الشقاء.

وصية نبوية: للموت ذكراً

روينا من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ (توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وَصِلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تُحصنوا[260]، وانهوا عن المنكر تُنصروا، أيُها الناس إن أكيَسكم أكثركم للموت ذكراً، وأحزنَكم[261] أحسنُكم له استعداداً، ألا وإنّ من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور) وأنشد بعضهم:

كنّا على ظهرها والدهرُ في مَهَل ... والعيشُ يجمعُنا والدارُ والوطنُ

ففرّقَ الدهرُ بالتصريف ألفَتَنا ... واليومَ يجمعنا في بطنها الكفَنُ

وصية: الإلحاد بالحرم

الجرهميّ: عمرَو بن لَحيّ بالحرم، قال الله تعالى: **{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}**[262] فكان ابن عباس يسكن الطائف لأجل ذلك، وثبتَ عن رسول الله أنه قال: (احتكار الطعام بمكة إلحادٌ فيه) قال الجرهميُّ يخاطب عمرو بن لحيّ يوصيه:

يا عمرو لا تظلم بمـ ... ـكة إنها بلد حرام

سائِلْ بعادٍ أين هم ... وكـــذاك يخترم الأنام

وصية: نصيحة للفتيان

أوصى ذو النون بعضَ الفتيان: يا فتى خذ لنفسك بسلاح الملامة، واجمعها[264] بردِّ الظلامة تلبس غداً سرابيل السلامة، وأقصرها في روضة الأمان، وذوِّقها فرائض الإيمان، تظفر بنعيم الجنان، وجَرّعها كأس الصبر، ووطِّنها على الفقر، حتى تكون تامّ الأمر، فقال له الفتى: وأيُّ نفسٍ تقوى على هذا؟ فقال: نفسٌ على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خَطرتْ، نفسٌ ابتاعت الآخرة بالدنيا، بلا شرطٍ ولا ثُنيا[265]، نفس تدرّعت رهبانية القلق، ورَمت الدُّجا إلى واضح القلق، فما بالُك بنفس في وادي الحنادس[266] سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى الفناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى النزر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلام الدياجي زهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في غَلس الظلام مشمّرة، وقد نبذت المعايشَ ورعت الحشائش، هذه نفسٌ خدومٌ، عملت ليوم القدوم، وكلُّ ذلك بتوفيق الحي القيوم.

وصية: بالخير موصوفا

أوصى ذو النون أخاه الكفلَ، قال له: يا أخي كن بالخير موصوفاً، ولا تكن للخير وصّافاً.

وصية نبوية: حسن الجوار

حدّثنا بها محمد بن قاسم بمدينة فاس، قال: ثنا هبة الله بن مسعود، ثنا محمد ابن بركات، ثنا محمد بن سلامة بن جعفر، ثنا هبة الله بن إبراهيم الخولانيُّ، حدثني علي بن الحسين بن بُندار، ثنا إسماعيل بن أحمد بن أبي حازم، حدثنا أبي، ثنا عمرو بن هاشم، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأحسن مصاحبة مَن صاحبك تكن مؤمناً، واعمل بفرائض الله تكن عابداً، وارضَ بقَسْم الله تكن زاهداً.

وصية: أبو العتاهية ينصح شعراً

مُحكمة في موعظةٍ منظومةٍ لأبي التاهية:

ألا إنّ خيرَ الذُّخرِ تنالُه   وشرَّ كلامِ القائلين فضولُه

ألم ترَ أنّ المرءَ في دارِ بُلغَةٍ   إلى غيرها، والموتُ فيها سبيلهُ

وأيُّ بلاغٍ يُكتَفى بكثيره   إذا كان لا يكفيكَ منه قليلهُ

مَضاجعُ سكان القبور مَضاجعٌ   يُفارقُ فيهنّ الخليلَ خليلهُ

تزوّد من الدنيا بزادٍ مِنَ التّقى   فكلٌّ بها ضيفٌ وشيكٌ رَحيلهُ

وخذ للمنايا - لا أبا لَك - عُدّةً   فإنَّ المنايا مَن أتت لا تُقيلهُ

وما حادثاتُ الدهرِ إلاّ لعِزّةٍ   تَبتُّ[267] قواها أو لملكٍ تزيلهُ

ومن ذلك له أيضاً مما ضمَّنه ديوانَه:

عيبُ ابن آدمَ ما علمتَ كثيرُ   ومجيئهُ وذهابهُ تقديرُ

غَرّتْك نفسك للحياةِ مُحِبّةً   الموتُ حقٌ والبقاءُ يسيرُ

لا تغبط الدنيا فإن جميع ما   فيها يسيرٌ لو علمتَ حقيرُ

يا ساكنَ الدنيا ألم ترَ زهرة   الدُّنيا على الأيام كيف تصيرُ؟

سَل ما بَدا لك أن تنال من الغنى   إنْ أنت لم تقنع فأنت فقيرُ

يا جامعَ المالِ الكثيرِ لغَيرِه   إنّ الصغيرَ من الذنوبِ كبيرُ

هل في يَدَيك من الحوادث قوةٌ **أو هَل عليك من المنون خَفيرُ[268]؟**

ماذا تقول إذا رحلْتَ إلى البَلى **وإذا خلا بكَ منْكرٌ ونكيرُ**

وصية: مَنْ نعاشر ونصحب

قال بعضهم: سألت أُستاذي: مَن أحادثه من الناس وإلى مَن أسكن؟

فقال: عليك بمحادثةِ مَن لا تكتمه ما يعلمه الله منك، واجعل للناس ظاهرك ولله باطنك، وعاشرهم بالتي هي أحسن.

وصية: القناعة

في حكايةٍ عن بعض أهل الولاية، قال بعض السّياح: كنت جائزاً في بعض سياحاتي في أرض الشام، إذ مررت بنهر يُقال له نهر الذهب، فرأيت في ظهر قرية من قرى ذلك النهر صومعة فيها راهبٌ، فناديته: يا راهب أجبني، فلم يجبني، فناديته الثانية: يا راهب أجبني فلم يجبني، فناديته الثالثة: يا راهب أجبني، أو قال فناديت الثالثة: يا ربانيُّ، فاطّلع فرآني، فقال: ما حاجتك، وما الذي تريد؟ فقلت له: عظةٌ أو وصية أنتفع بها، فقال لي: أَوَ تركتَ الدنيا؟ قلت: نعم فقال لي: كُلْ القوتَ، والزم السكوت، وعلّل[269] النفس فإنك تموت، وذكِّرها الوقوف بين يدي الحي الذي لا يموت، ثم قال:

لوْ قنِعْنا لكفانا **منـــــكِ يا دار اليسيرُ**

أنتِ نُعماكِ قليلٌ **وبلايـــــــاك كثيـــــــرُ**

وقبورٌ تتلاشى **حيـــث لا تمشي القبورُ**

يا مبهْرجْ لا تبرهْرجْ **إنمــــا النّاقـــدْ بصيـــرُ**

قال: فتركته وبتُّ ليلتي، فلما أصبحت عدت إليه، وناديت يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: كلْ مما كسبته يمينك وعَرِقَ فيه جبينك، فإنْ ضَعُفَ فسل ربك فإنه يعينك، ثم قال:

إذا الساعة اقتربت يا لها — وزلزلـــــتِ الأرض زلزالها

فلا بدّ من سائلٍ قائلٍ — من الناس يومئذ ما لها؟

تحدِّث أخبارَها، ربَّها — وربُّك لا شك أوحى لها

وتنفطِر[270] الأرض عن ساعةٍ — تُشيب الكهولَ وأطفالها

ترى الناس سكرى بلا قهوةٍ — ولكن ترى النفسُ ما هالها

ترى النفسُ ما قدمت محضراً — ولو ذرةٌ كان مثقالها

ذنوبي بلائي فما حيلتي — إذا كنت في الحشر حمّالها؟

يحاسِبها مِلِكٌ قادرٌ — فإمّا عليهـــــا وإمّا لها

قال: فتركته وبتُّ ليلتي، فلما أصبحت عدت إليه، وناديته يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: صلِّ الفرض، واذكر العرض، ولا تطلب من أحد الصلة ولا القرض، ثم قال:

متى تهجرُ الدنيا وتنوي لها بغضاً — وتركُك للعصيان حقاً متى يقض؟

متى يا صَفيقَ الوجهِ[271] تضمر توبةً — وعمرك في الدنيا يساق بها ركْضا؟

فلا بد بعد الموت أن تسكن البِلى — يرضك ثقل اللبن تحت الثرى رضّا

وتُعطى كتاباً فيه كلُّ فضيحةٍ — وتشهد أهوال القيامة والعرْضا

فقم في دياجي الليل لله طائعاً — لعلّ الذي أسخطته لعسَى يَرضى

قال فتركته وبتُّ ليلتي، فلما أصبحتُ عدت إليه، وناديته: يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: يا هذا شغلتني عن عبادة ربي، فقمت إليه مودعاً، فقال لي: كل الصبر، والزم الفقر ثم أنشد:

متى تُهدى إلى سبل الرشادِ إذا كنت المصرّ على الفسادِ

نهارَك لاعباً تغترُّ فيه وليلك لا تملُّ من الرُّقادِ

فدع ظلم العباد فليس شيءٌ أضر عليك من ظلم العباد

وَهيِّ الزاد إنك ذو رحيلٍ إلى السفر البعيد على انفراد

تأهب للذي لا بدّ منه فإن الموت ميقات العباد

يسرك أن تكون زميل قومٍ لهم زادٌ وأنت بغير زادِ؟

وروينا عن بعض علماء هذا الشان، من أهل الله الناصحين أنفسهم أنه قال: ينبغي - لمن علم أن له مقاماً بين الله عز وجل ليسأله عما أسلف في هذه الدار - أن لا يؤثرَ القليل على الجزيل الكثير، ولا التواني والتقصير على الجدّ والتشمير، ولا سيما إذا كان ممن قد أيّده الله منه بإتقان العلم، ولقحَ عقله بدلالات الفهم أن لا يتحير في ظلمة الغفلة، التي تحير فيها الجاهلون، والعجب لأهل هذه الصفة: كيف استوحشوا من طاعة الله وأنِسوا بغيره، وركنوا إلى الدنيا وتقلُّب حالاتها، وكثرة آفاتها، ولا زادتهم الدنيا إلاّ هواناً، ولا ازدادوا لها إلا إكراماً، فما مستيقظٌ من وسَنة يخلع وثيق الغلِّ من عنقه، ويهتك جِلباب الران عن قلبه، وإنّ من أنصح النصحاء لك يا أخي من نبّهك مِنْ أمرك على الحجة، وأمرك بالرحلة، ولم يحسن لك (سوف) و(أرجو) و(لعل) و(يكون) فما رأيتُ هذه الخصال تورث صاحبها إلاّ الخسارة والندامة، فكابدوا التسويفَ بالعزم، وبادروا التفريط بالحزم، فقد وضح لهم الطريق، والله المستعان المرشد والدليل.

وصية: علاج الشهوة القوية

سئل بعض أهل الله عن أهون[272] ما يجده العبد على تسكين الشهوة، فقال: الصيام بالنهار، والقيام بالليل، وحذف الشهوات، والتغافل عنها، وترك محادثة النفس بذكرها، فقيل له: فإن الرجل يصوم بالنهار، ويقوم بالليل، ولا يأكل الشهوات ويجد في نفسه حركة واضطراباً، فقال له: ذلك من فرط فضل شهوة مقيمة فيه من الأول، فليقطع أسباب المادة منها جهده، ويمسكها عن نفسه بالهموم والأحزان وتسكين سلطانها بذكر الموت، وتقريب الأجل، وقصر الأمل، وما يشغل القلوب. إقطع عن نفسك الشهوات، واستقبل المراقبة لمن هو عليك رقيب، والمحافظة على طاعة من هو عليك حسيب، نسأل الله تعالى التوفيق على بلاغ الطريق والخروج من كل ضيق، إنه قوي شفيق.

وصية: حسن الاستقامة يوصل الجنة

في ذكرى: قال بعض العلماء: مَن وثِق بالمقادير استراح، ومن صَحَّحَ صُحِّحَ له، ومن تقرب قرِّب، ومن صغى[273] صُغي له، ومن توكل وثق، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه، وقيل لبعضهم: بم ينال العبد الجنة؟

فقال: بحسن استقامة ليس فيها زوَغان، واجتهاد ليس معه سهو: ومراقبةِ الله في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، والمحاسبة لنفسك قبلَ أن تُحاسَب. كن عارفاً خائفاً، ولا تكن عارفاً واصفاً، لا تكن خصماً لنفسك على ربك تستزيده في رزقك وجاهك، ولكن خصماً لربك على نفسك، لا تجمع معك عليك، ولا تلقَ أحداً بعين الازدراء والتصغير وإنْ كان مشركاً، خوفاً من عاقبتك فلعلك تُسلبُ المعرفة ويُرزَقُها، وقال ذو النون: تعوذوا بالله من القِّبْطي[274] إذا استغرب.

وهذه وصية عجيبة مجربة قالها مجرب ولها حكاية، قال ذو النون المصري: رأيت في بربا بموضع يقال له: دندرة[275] مكتوباً فيها: احذروا العبيد المعتقين، والأحداث المتقربن[276]، والجند والمتعبدين، والنبط المستعربين، حدثنا بهذا يونس ابن يحيى بن العباس القصّار تجاه الركن اليماني، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، عن أبي بكر بن عبد الباقي، عن أبي الفضل بن أحمد عن أحمد بن عبد الله، عن محمد بن إبراهيم، قال: سمعت عبد الحكم بن أحمد بن سلام يقول: سمعت ذا النون يقول الحكاية.

وصية: رؤيا حق

وصية إلهية: حدثنا عماد الدين عبد الله بن الحسن المعروف بابن النحاس، قال: حدثني بدرٌ الجندي، قال: قال لي عليٌّ بن الخطاب الجزريُّ بالجزيرة، وكان من الصالحين: رأيت الحقَّ في النوم فقال لي: يا ابن الخطاب تمنَّ، قال: فسكتُّ، فقال لي: يا ابن الخطاب تمنَّ/ فسكتُّ، قال ذلك ثلاثاً، ثم قال لي في الرابعة: يا ابن الخطاب أعرضُ عليك ملكي وملكوتي وأقول لك تمنَّ وتسكت؟ فقال: قلت يا رب إنْ نطقتُ فبِك، وإن تكلمت فبما تجريه على لساني، فما الذي أقول؟ فقال: قل أنت بلسانك، فقلت: يا رب شرفت أنبياءك بكتب أنزلتها عليهم، فشرفني بحديثٍ ليس بيني وبينك فيه واسطة فقال: يا ابن الخطاب: من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكراً، ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدّل نعمة الله كفراً، قال: فقلت يا رب زدني، فقال يا ابن الخطاب: حسبك حسبك.

وصية: أصدق الوصايا من القرآن الكريم

(وصية) بل وصايا إلهية: أصدق الوصايا وأنفعها ما ورد في القرآن العزيز من أوامر الحق عباده ونواهيه، المنزل من حكيمٍ حميد، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، فلنذكر منها ما يسره الله على لساني، مذكِّراً بذلك القلوب الغافلة، وتبركاً بكلام الله تعالى فمن ذلك ما ذكره سبحانه في سورة البقرة: **{لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ}**[277] **{آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ} {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} {فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**- وهنا سرٌّ لمن تفكر، **{فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ} {وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ} {فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} {لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ**

أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ} {آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا} {فَلاَ تَكْفُرْ} {لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا} {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا} {وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} {طَهِّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} {فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ}[278] {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} {فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} {كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ} {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي} {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا} {وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} {وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ} {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} {وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ} {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا} {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} {وَلاَ تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ} {فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُم} {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ} {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا}[279] {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ} {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} {وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} {وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ} {ولاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا} {فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} {فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ} {وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} {وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ} {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا} {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا} {وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}

{فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ} {لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ} {لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} {وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا} {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} {أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ} {لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى} {أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ} {اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا} {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} {إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلاَ تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ}[280] {وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ} {فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ} واعلموا أن الله تعالى قد ذكر في كتابه كلَّ صفة يحمدها الله، وكلَّ صفة يذمها الله وصيةً لنا وتعريفاً أن نجتنب ما ذمّ من ذلك، ونتصف بما حدّ من ذلك، وقرّر على أُمور وَبّخ بها عباده، ونعتَ كلَّ صاحب صفةٍ بما هو عليه عند الله، فممّا حَمِدَ {الَّذِين يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} والإيمانُ بما أُنزل على الرسل عليهم السلام، والإيقانُ بالآخرة، وقال فيهم {أُولَئِكَ عَلَى هُدَىً مِنْ رَبِّهِمْ}[281] أي على بيانٍ وتوفيقٍ حيث صَدقوا ربهم فيما أخبرهم به مما هو غيب في حقهم {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الناجون من عذاب الله الباقون في رحمة الله. ومما ذمّه: الكافرُ والمنافقُ فالكافر ذو الوجه الواحدِ الذي أظهر معاندةَ الله فسواء عليه أعلمه الحقُ أو لم يعلمه، فإنه لا يؤمن بشيء من ذلك لا عقلاً ولا شرعاً، وأخبر أن الله تعالى ختم على قلبه بخاتم الكفر، فلا يدخله الإيمان مع عمله به، وختم على سمعِ فهمه وهو الجاهل فلم يعلم ما أراد الله بما قاله، وعلى أبصارِ عقولهم غشاوةٌ، حيث نسبوا ما رأوه من الآيات إلى السحر، وقال في ذي الوجهين وهو المنافق: إنه يقول: آمنا بالله وبما جاء من عند الله وهو ليس كذلك، وإنما يفعل ذلك خداعاً لله والذين آمنوا، وجعل الفساد صلاحاً، والصلاح فساداً، والإيمان سفها، والمؤمنين سفهاء، ويأتي المؤمنين بوجه يرضيهم، ويأتي الكافرين بوجهٍ يرضيهم، فأخبرَ الله أنّ هؤلاء هم الذين

اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، وأنهم الصُمُّ عن سماع ما ذكرهم الله به، البكُم عن الكلام بالحق، العمْي عن النظر في آيات الله، وأنهم لا يرجعون، ومما ذمّ الله: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعونَ ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، فأخبر أن أُولئك هم الخاسرون، وقررَ: **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**[282]ومما وبخ به: من أمر بالبرّ ونسي نفسه **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}**[283] ومما ذم: من أعطاه الأنفس فطلب الأدْوَن لقلةِ علمه ودناءة همته، فقال **{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ}** يشير إلى أنّ الصبر مع الله صعبٌ **{فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا}** فقال لهم **{أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى}** وهو ما ذكروه **{بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ}** وهو ما أنزل الله عليهم من المنّ والسلوى، فأشار إلى دناءة همتهم بقوله **{اهْبِطُوا مِصْرًا}**، لما نزلوا من الأعلى إلى الأدنى قيل لهم **{اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ}** إنما هي أعمالكم تردُّ عليكم **{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ}** لأنهم هبطوا **{وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ}**[284] لأنهم لم يختاروا ما اختار الله لهم وكفروا بالأنبياء وبآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير حق، وعصوا واعتدوا. ومما ذمهم به القساوةُ فقال بعد تقرير ما أنعم الله به عليهم **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}**[285] وإنما كانت أشد قسوة لأن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشققُ فيخرج منها الماء، وإن منها لما يهبطُ من خشية الله، وأنتم ما عندكم في قلوبكم من هذا شي، يذمهم بذلك، ومما ذم من يقولُ ما توسوس به نفسه وما يوسوس له شيطانه: هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً من الجاه والرئاسة عليهم، وما يحصلونه من المال، فأخبر الله تعالى أن لهم الويلَ من الله من أجل ذلك، هذا كله ذكره الله لنا في كتابه لنجتنبَ مثل هذا الصفات، ومما أوصى به عباده مما بحمده أن لا تعبدوا **{إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}**[286] فمن لم يعمل بوصيته ووصف حاله على جهة الذم، يسمعنا تعالى ما جرى من عباده حتى لا نسلك مسلكهم الذي ذمه الله به، فقال عقيب هذا القول: **{ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}**[287] **{ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}**[288]؟ كما قال في حقهم وحقّ أمثالهم **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً}**[289] فأخبر أن هؤلاء هم الكافرون

حقاً وقال {**فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**} فإنه أخبر عن هؤلاء أنهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون، كما اشترى أُولئك الضلالةَ بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، كما اشترى أمثالهم العذابَ بالمغفرة، فعجب الله من صبرهم على النار بقوله: {**فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**}[290] فدل على أنهم عرفوا الحقّ وجحدوا مع اليقين كما قال في حق مَن هذه صفته في النمل {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**}[291] يعني: الآيات براهين على صدقهم فيما أخبروا به عن الله {**ظُلْمًا وَعُلُوًّا**} وأي آية كانت للعرب معجزةً مثل القرآن، ولذلك قال {**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**}[292] وقال في الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب {**أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ**}[293] وأنه من سئل عن تعين عليه الجواب عنه - وهو يعلمه فكتمه وهو مما أنزله الله - ألجمَهُ الله بلجامٍ من نار، وأن الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب واشتروا به ثمناً قليلاً أي بكتمانهم لِما حصّلوه من المال والرئاسة بذلك أن أُولئك لا خلاقَ لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وأوصى عباده أيضاً فقال لهم: {**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**}[294] فأخبر أن أُولئك الذين صَدقوا وأُولئك هم المتقون، وأوصى وليَّ الدم أن يعفوَ ويخلّي بين القاتل والمقتولِ يوم القيامة، وأخبر ﷺ أن حكم القاتل قَوَداً حكمُ القاتلِ اعتداءً وهو قوله تعالى: {**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**}[295] فقال في صاحب التسعة: إما إن قتله كان مثلَه فتركه ولم يقتله {**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**} من ولي الدم {**وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**} من القاتل إلى ولي الدم {**فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ**} أي إن قتله بعد ذلك غدراً وقد رضي بالدية وبما عفا عنه منها {**فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[296]، وذكر في حق مَن حضرتْهُ الوفاةُ أن يوصيَ لَهُ التصرف فيه من ماله وهو: الثلث للأقربين، وهم الذين لاحظَّ لهم في الميراث، وللوالدين وهو مذهب ابن عباس، حتى إنه يعصي عنده من لم يوص لوالديه عند الموت بالمعروف وهو أن لا يتجاوز ثلثَ ماله، وأخبر أنه {**حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**}، وأخبر أنه مَن بدّله بعد ما سمعه من الموصي فإنما إثمه على الذين يبدلونه من الأولياء والحكام، وأخبر عن الساعي بالصلح بين الموصي والموصَى له أنه لا إثم عليه، فهذه كلُّها وصايا إلهية منصوص عليها، ومنها أيضاً: أخبر الحقُّ أنه لا يتبع المتشابهَ من

الكتاب ويتأوله على ما يعطيه نظره إلاّ مَن في قلبه زيغ - أي ميل عن الحق - وأخبر أنه ما يعلم تأويله إلاّ الله، وأن الراسخين في العلم يقولون **{آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}**، ومن جعله معطوفاً فيكون - الراسخون في العلم - مَن أعلمهم الله بتأويل ما أراد بذلك، وأقام الله عذرَ عباده في قوله: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}**[297] الآيات، وأخبر - عن الذين يقولون **{رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ}**[298] وهم الذين اتّقوا - أنّ لهم **{عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ}** وأخبر سبحانه أن الذين يقتلون النبيين بغير حق - ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس - أن لهم عذاباً أليماً وما لهم من ناصرين ينجونهم[299] من ذلك العذاب، ونهانا أن نتخذ الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين في نصرة دينه إلاّ أن نتقي منهم تقاة، وأنه من فعل ذلك فليس من الله في شيء، وقد حذرنا الله نفسه، وقال ﷺ حين نهانا عن التفكر في ذات الله، لأنه ليس كمثله شيء، وقال الله لنبيه ﷺ أن يقول لنا **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}**[300].

وصية: من الله الغنى

وصية إلهية في ذكر مَن يغبطُ الله من عباده، قال الله تعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشِّرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك).

وصية: أحب الأولياء إلى الله

وصية إلهية، يقول الله تعالى: (إن أغبط أوليائي عندي المؤمن الخفيف الحاذّ[301] ذو حظّ من صلاةٍ، أحسنَ عبادة ربِّه وأطاعه في السر والعلانية، وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر على ذلك) ثم نقر رسولُ الله ﷺ عندما قال هذا الحديثَ عن ربه بيديه، ثم قال: (عُجِّلَت منيته، وقلّت بواكيه، وقل تراثه).

وصية: الجنان لمن عفا عن أخيه

وصية في إصلاح ذات البين، قال أنس بن مالك: بينما رسول الله ﷺ جالسٌ إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله، بأبي أنت وأُمي؟ قال: (رجلان من أُمتي جَثَيا بين يدي ربّ العزة تعالى، فقال أحدهما: يا رب خُذ لي بمظلمتي من أخي، فقال: أعطِ أخاك مظلمته، قال: يا رب لم يبقَ من حسناتي شيءٌ، قال يا رب فليحمل عني من أوزاري) وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: (إن ذلك ليوم عظيم، يومٌ يحتاج الناس فيه أن يحمل من أوزارهم) قال: (فيقول الله عز وجل للطالب: ارفع رأسك فانظر إلى الجنان، فرفع رأسه فقال: يا ربِّ أرى مدائن من فضةٍ، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا، لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطاني الثمن: قال: يا رب: ومن يملك ذلك؟ قال، أنت تملكه، قال: بماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب قد عفوتُ عنه، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة) ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: (اتّقوا الله وأصلحوا ذاتَ بينكم، فإن الله تعالى يُصلح بين المؤمنين يوم القيامة).

وصية إلهية من التوراة:

روينا من حديث كعبِ الأحبار أنه قال: وجدتُ في التوراة اثنتي عشرة كلمةً فكتبتها وعلّقتها في عنقي أنظر فيها كلّ يوم إعجاباً بها (يا ابن آدم إن رضيتَ بما قسمتُ لك أرحتُ قلبك وبدنَك وأنت محمود، وإن لم ترضَ بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركضَ فيها ركضَ الوحش في البرية، وعزتي وجلالي لا تنال منها إلاّ ما قدّرت لك وأنت مذموم، يا ابن آدم كلٌّ يريدك له وأنا أُريدك لك، وأنت تفرُّ مني، يا ابن آدم ما تنصفني خلقتك من تراب، ثم من نطفةٍ ولم يعيني خلقك، أفيعييني رغيفٌ أسوقه إليك في حين؟ يا ابن آدم إني وحقي لك محبٌّ، فبحقي عليك كن لي محباً، يا ابن آدم خلقتك من أجلي، وخلقت الأشياء من أجلك فلا تهتك ما خلقتُ من أجلي فيما خلقتُ من أجلك، يا ابن آدم كما لا أُطالبك بعمل غد، لا تطالبني برزقِ غدٍ، يا ابن آدم: لي عليك فريضة، ولك عليَّ رزق، إن خنتني في فريضتي لم أخنك في رزقك على ما كان منك، يا ابن آدم لا تخافَنَّ فوتَ الرزق ما دامت خزائني مملوءةً، وخزائني مملوءةٌ لا تنفد أبداً، يا ابن آدم لا تخافَنَّ من ذي سلطانٍ ما دام سلطاني باقياً، وسلطاني باقٍ لا ينفد أبداً، يا ابن آدم لا تأمن مكري حتى تجوز على الصراط).

وصية: معصية الحبيب للحبيب شديدة

وصية خليلية في الوَجل من الله تعالى، لما قال الله تعالى لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: يا إبراهيم ما هذا الوَجل الشديد الذي أراه منك؟ قال: فقال له إبراهيم: يا ربِّ وكيف لا أوجل ولا أكون على وجلٍ؟ وآدم أبي كان محلُّه في القرب منك، خلقته بيديك ونفختَ فيه من روحك، وأمرتَ الملائكة بالسجود له فبمعصية واحدةٍ أخرجته من جوارك، فأوحى إليه: يا إبراهيم أما علمت أن معصية الحبيب على الحبيب شديدة.

وصية: محجوب عن الله

وصية إلهية بما يَحجب عن الله فعلُه، أوحى عز وجل إلى داود ﵇: يا داود حَذِّر بني إسرائيل أكلَ الشهوات، فإن القلوبَ المتعلقة بالشهوات محجوبةٌ عني.

وصية: مناجاة

وصية إلهية بذكر الله على كل حال، قال موسى ﵇: أي رب أبعيدٌ أنت فأناديَك، أم قريبٌ فأناجيَك، فقال الله تعالى له: أنا جليس من ذكرني، ومن ذكرني فأنا معه، قال فأي العمل أحب إليك يا رب؟ قال: تُكْثِر ذكري على على كل حال.

وصية: قيام الليل

وصية إلهية بقيامِ الليل، يقول الله تعالى إذا نزل في الثلث الباقي من الليل إلى السماء الدنيا: كذَبَ من ادّعى محبتي ونام عنِّي، أليس كلُّ محبٍ يَطلب الخلوةَ بحبيبه؟ أنا ذا مُطِّلِع على أحبابي، وقد مَثَّلوني بين أعينهم، وخاطبوني على المشاهدة، وكلموني بحضورٍ، غداً أُقِرُّ أعينهم في جناتي.

وصية من الله لعبادة هامة

(وصايا بما كلّم الله عزّ وجلّ نبيه موسى عليه الصلاة والسلام، وذِكرى) يا موسى أُدنُ مني واعرف قدري فإني أنا الله، يا موسى أتدري لِمَ كلمتك من بين خلقي، واصطفيتُك برسالاتي

وبكلامي دون بني إسرائيل؟ قال: لا يا رب، قال: لأني اطّلعت على أسرار عبيدي فلم أرَ قلباً أصفى لمودتي من قلبك، قال موسى: لِم خلقتني يا ربّ ولم أكُ شيئا؟ قال: أردت بك خيراً، قال: ربِّ مُنّ عليَّ، قال: أسكنتُك جنتي في جواري مع ملائكتي، فتكونُ هناك منعَّماً مخلداً ملتذاً، فرحاً مسروراً أبدَ الآبدين، فقال موسى: يا رب فما الذي ينبغي لي أن أعمل؟ قال: لا يزال لسانُك يكون رطباً من ذكري، وقلبك وَجلاً من خشيتي، وبدنك مشغولاً بخدمتي، ولا تأمن مكري ولو ترى رجلَك في الجنة، قال موسى: يا رب فلِمَ ابتليتني بفرعون؟ قال: إنما اصطنعتك لنفسي أُخاطب بلسانك بني إسرائيل فأسمعهم كلامي، وأُعلمهم شريعة التوارة، وسنة الدِّين، وطرائقَ الآخرة، من اتّبعك منهم ومن غيرهم كائناً من كان، يا موسى: بلِّغ بني إسرائيل وقل لهم: إني لما خلقت السموات والأرض، خلقت لهما أهلاً وسكاناً، فأهل سمواتي هم الملائكة وخالص عبادي الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يا موسى بلِّغ عني بني إسرائيل وقل لهم: مَن قبِل وصيتي، وأوفى بعهدي، ولم يعصني رقّيته إلى رتبة ملائكتي، وأحللته جنتي معهم، وجازيتهم بأحسن ما كانوا يعملون، يا موسى قل لبني إسرائيل عني: إني لما خلقت الجِن والإنس والحيوانات ألهمتهم مصالح الحياة الدنيا، وعرفتهم كيفية التصرف فيها لطلب منافعها، والهرب من مضارها، كلُّ ذلك لِما جعلت لهم من السمع والبصر والفؤاد والتمييز أجمع، فهكذا ألهمت أنبيائي ورسلي، والخواصّ من عبادي، وعرّفتهم أمرَ المبدأ والمعاد، والنشأة الأُخرى، وبيّنت لهم الطريق وكيفية الوصول إليها، يا موسى قل لبني إسرائيل: يَقبلون من الأنبياء وصيتي ويعملون بها، واضمَنْ لهم عني أن أكفيَهم كلَّ ما يحتاجون إليه من مصالح الدنيا والآخرة جميعاً، إذا أوفَوا بعهدي، أو في بعدهم كائناً من كان من سائر بني آدم، وألحقهم بأنبيائي وملائكتي في الدار الآخرة، دارِ القرار، فقال موسى: يا رب لو خلقتنا في الجنة وكفيتَنا مِحَنَ الدنيا ومصائبَها وبلاياها، أليس كان خيراً لنا؟ قال: يا موسى قد فعلت بأبيكم آدم ما ذكرتَ، ولكن لم يعرف حقّها، ولم يحفظ وصيتي، ولم يوفِ بعهدي، بل عصاني فأخرجته من الجنة، فلما تاب وأناب وعدته أن أردّه إليها، وآليت على نفسي أن لا يدخلها أحدٌ من ذريته إلاّ مَن قبِل وصيتي، وأوفى بعهدي، فلا ينال عهدي الظالمين، ولا يدخل جنتي المتكبرون، لأني جعلتها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين، يا موسى أُدعُ إليَّ عبادي وذكِّرهم بآلائي، فإنهم لا يذكرون شيئاً من ذلك إلاّ كان خيراً لهم سالفاً وآنفاً، عاجلاً وآجلاً. يا موسى الويل لمن تفوته جنتي، ويا حسرةً عليه وندامةً حين لا تنفعانه، يا موسى: خلقت الجنةَ يومَ خلقت السمواتِ والأرض، وزينتُها بألوان المحاسن، وجعلت نعيم أهلها وسرورَها رَوحاً وريحاناً، فلو نظر

أهل الدنيا إليها نظرةً من بعيدٍ لم تعجبهم الحياة الدنيا بعدها، يا موسى: هي مذخورةٌ لأوليائي وعبادي الصالحين، تحيتهم يوم يلقونه سلام، طوبى لهم وحسن مآب.

وصية: للإنسان من الله هامة

يا ابن آدم صَلِّ أربعَ ركعات في أول النهار أكفِكَ آخره، أخرجه النّسائي.

يقول الله: يا ابن آدم أنّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدَلتك، مشيتَ بين يديك، وللأرض منك وئيدٌ (يعني صوتاً) ثم جمعتَ ومنعت، حتى إذا بلغت التراقيَ[302] قلتَ: أتصدق، وأنىّ أوان الصدقة؟

وصية إلهية بإشفاق:

يقول الله: يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضلَ خيرٌ لك، وإن تمسكه شرٌّ لك، ولا تلامُ على كفافٍ، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى.

وصية إلهية فيها لطف:

حدثني بها موسى بن محمدٍ القرطي بمكة، والضياءُ عبد الوهاب بن سكينة ببغداد، عند اجتماعي به برباطه، وقال: يقول الله: إذا أحدثَ عبدي ولم يتوضأ فقد جفاني، وإذا توضأ ولم يصَلِّ فقد جفاني، وإذا صلّى ولم يدعني فقد جفاني، وإذا دعاني ولم أجبه فقد جفوته، ولست بربٍ جافٍ، ولست بربٍ جافٍ، ولست بربٍ جافٍ.

وصية إلهية نافعة في طهارة الجوارح:

يقول الله: يا أخا المرسلين، ويا أخا المنذرين يعني سيدنا محمداً ﷺ يُبلِّغها إلينا عن ربه عزّ وجل: أن لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلاّ بقلوبٍ سليمة، وألسنٍ صادقة، وأيدٍ نقية، وفروجٍ طاهرة، ولا

تدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحدٍ من عبادي عند أحدٍ منهم ظلامة، فإن العبد ما دام قائماً بين يديّ يصلي، فإني لا أقبل صلاته حتى يردّ تلك الظلامة إلى أهلها، فإذا فعل ذلك، فأكون سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين في الجنة.

وصية: الواثب على الدنيا

وصية إلهية في توبيخ الواثب على الدنيا، قال الله تعالى: يا ابن آدم رَهَصَتْك[303] الدنيا ثلاثَ رَهَصات: الفقر والمرض والموت، ومع ذلك إنك لوثّاب.

وصية: التواضع

وصية مَلكية بالتواضع، أوحى الله إلى محمد ﷺ - وعنده جبريل - إن شئتَ نبياً عبداً، وإن شئتَ نبياً مِلكاً؟ فنظر إلى جبريل، فأومأ إليه جبريل أن تواضع، قال: فقلت نبياً عبداً، فلو قلت نبياً مَلِكاً لسارت الجبال معي ذهباً وفضةً.

وصية: تعظيم الأولياء

وصية إلهية بتعظيم الأولياء، يقول الله تعالى: من أهانَ لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وفي رواية: فقد آذنتهُ بحربٍ، وقال أحبُّ عبادي عندي صاحب النصيحة، وقال تعالى: يا ابنَ آدم: خيري إليك نازلٌ وشرُّك إليّ صاعد، وأنا أتحبَّب إليك بالنعم، وأنت تتبغض إليّ بالمعاصي، وفي كلِّ يوم يأتيني مَلك كريمٌ بقبيح فعلك، يا ابن آدم ما تراقبني؟ أما تعلم أنك بعيني؟ يا ابن آدم: في خلوتك وعند حضور شهواتك اذكرني وسلني أن أنزعها من قلبك، وأعصمك عن معصيتي، وأُبغضها إليك، وأُيسر لك طاعتي وأحببِّها إليك، وأُزين ذلك في عينك، يا ابن آدم: إنما أمرتك ونهيتك لتستعين بي وتعتصم بحبلي، لا أن تعصيني وتتولى عني، وأُعرض عنك، أنا الغني عنك، وأنتَ الفقير إليّ، إنما خلقتُ الدنيا وسخرتها لك لتستعدّ للقائي، وتتزود منها لئلا تعرض عني، وتخلد إلى الأرض، واعلم

بأن الدار الآخرة خيرٌ لك من الدنيا، فلا تختر غيرَ ما اخترت لك، ولا تكره لقائي فإنه من كَره لقائي كرهتُ لقاءه، ومن أحبّ لقائي أحببت لقاءه.

وصية: لله سيف لا ينام

وصية إلهية برغبةٍ ورهبة، رويناها من حديث محمد بن مسلمة بن وضّاح، من أهل قرطبة رحمه الله، قال: قال الله لبني إسرائيل: رغبّناكم في الآخرة فلم ترغبوا، وزهّدناكم في الدنيا فلم تزهدوا، وخوّفناكم بالنار فلم تخافوا، وشوقناكم إلى الجنة فلم تشتاقوا، ونُحنا عليكم فلم تبكوا، بَشِّر القاتلين بأن لله سيفاً لا ينام، وهو دار جهنم.

وصية: مودة من لا يحبك

لا تثق بمودة مَن لا يحبك إلاّ معصوماً. مَنْ صحبك ووافقك على ما تحبُّ، وخالفك فيما تكره فإنما يصحب هواه، ومن صحب هواه فإنما هو طالبُ راحة الدنيا، يا معشر المريدين: مَن أراد منكم الطريق فليلقَ العلماء بالجهل، والزهادَ بالرغبة، وأهلَ المعرفة بالصمت. وأوصاني شيخي رحمه الله أولَ ما دخلتُ عليه قبل أن أرى وجهه، فقال لي وقد قلت له: أوصني قبل أن تراني فأحفظَ عنك وصيتَك، فلا تنظر إليّ حتى ترى خلعتَك عليّ، فقال ﵁: هذه همةٌ عالية شريفة يا ولدي: سُدّ الباب، واقطع الأسباب، وجالس الوهّاب، يكلمْك من غير حجاب، فعملت على هذه الوصية حتى رأيتُ بركتها، ودخلتُ عليه بعد ذلك فرأى خلعتَها عليّ فقال: هكذا هكذا وإلاّ فلا لا، ثم قال: امحُ لي ما كتبتَ، وانسَ ما حفِظتَ، واجهل ما علمتَ ولا تقف عند ما عرفت، وافنَ دائماً أبداً ما عشت، واتق به فيما عملت، واعتصم به فيما أردت، فعملت بها حتى أشرقت عليّ بركتُها، ثم دخلت عليه فقال: إذا فتح لك باب السير فيه فلا تقف معه تحجبْ عنه، وافنَ عن كل ما يبدو لك منه، وإياك وإفشاء سرِّه فصنه، وكن هذا معه على كلِّ حال، لا تتحدث معه بما علمته، فإن في ذلك تضييعَ الوقت، واطلب المزيد كما أمرك في قوله لنبيه ﷺ يأمره وأُمّتَه **{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}**[304]، إطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحُكم، يقول الله لأبي يزيدَ البسطاميّ: تقرب إليّ بالذِّلةِ والافتقار، وقال له: أُترك نفسَك وتعال.

أوحى الله تعالى إلى موسى ﵇: كن كالطير الوَحداني، يأكل من رؤوس الأشجار، ويشربُ من الماء القراح[305]، إذا جَنَّه الليل أوى إلى كهف من الكهوف، استئناساً بي واستيحاشاً ممن عصاني، يا موسى آليت على نفسي أني لا أتمم لمدبرٍ من دوني عملاً، يا موسى لأقطعنَّ أمَل كلِّ مؤملٍ أمّل غيري، ولأقصِمنّ ظهر من استندَ إلى سواي، ولأطيلنّ وحشة من استأنس بغيري، ولأُعرِضنّ عمن أحبّ حبيباً سواي، يا موسى: إن لي عباداً إن ناجَوني أصغيت إليهم، وإن نادَوني أقبلتُ عليهم، وإن أقبلوا عليّ أدنيتُهم، وإن دَنوا مني قربتُهم، وإن تقربوا مني اكتنفتُهمن وإن والَوْني واليتهم، وإن صافَوني صافيتهم، وإن عملوا لي جازيتهم، هم في حِمايَ، وبي يفتخرون، أنا مدبِّرُ أُمورهم، وأنا سايس قلوبهم، وأنا متولي أحوالهم، لم أجعل لقلوبهم راحةً في شيء إلاّ في ذكري، فذكري لأسقامهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء، لا يستأنسون إلاّ بي، ولا يَحُطُّون رحال قلوبهم إلاّ عندي، ولا يستقر بهم القرارُ إلاّ إليّ.

وصية: سر خلق الله للإنسان

حُكي في زمان النبوَّة الأولى أن بعض من يوحى إليه من المتقدمين فكَّر في أمر التكليف والبلوى، ولم يتجه له وجهُ الحكمة في ذلك، وقد أمره الله بالتفكر له ولعباده، فأخذ يناجي ربَّه في خلوته بِسرِّه ولسانه، فقال: يا رب خلقتني ولم تستأمرني، ثم تميتني ولا تستشيرني، وأمرتني ونهيتني ولا تُخيرني، وسلّطتَ عليَّ هوىً مردياً، وشيطاناً مغوياً، وركبّت في نفسي شهواتٍ مركوزةً، وجعلتَ بين عينيَّ دنيا مزينة، ثم خوفتني وزجرتني بوعيدٍ وتهديد، وقلت (استقم كما أُمِرتَ) ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيلي، واحذر الشيطان أن يغويك، والدنيا لا تغرّنك، وتجنب شهواتك لا ترديك، وآمالَك وأمانيك لا تلهيك، وأوصيك بأبناء جنسك فدارِهم، ومعيشتَك فاطلبها من وجهٍ حلال، فإنك مسؤول عنها إن لم تطلبها، ومسؤول عنها إن طلبتها من غير وجهها، ولا تنسَ الآخرة كما لم تنس نصيبَك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغِ الفساد في الأرض، ولا تُعْرِض عن الآخرة فتخسَر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، فقد خصلتُ - يا رب - بين أُمور متضادةٍ، وقوىً متجاذبة، وأحوالٍ متقابلة، فلا أدري كيف أعمل، ولا أهتدي أيّ شيء أصنع، وقد تحيرتُ في أُموري، وضللت عن حيلتي، فأدركْني يا رب، وخذ بيدي، ودلني على سبيل نجاتي، وإلاّ هلكتُ، فأوحى الله عز وجل إليه: يا عبدي ما أمرتُك بشيء تعاونني فيه، ولاّ نهيتُك عن شيء كان يضرني إن فعلتَه، بل إنما أمرتُك لتعلم أن لك ربّاً وإلهاً هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشِئك،

وحافظك، وصاحبك وناصرك ومعينك، ولتعلمَ بأنك محتاج في جميع ما أمرتك إلى معاونتي، وتوبتي، وهدايتي، وتيسيري، وعنايتي، ولتعلم أيضاً بأنك محتاج في جميع ما نهيتُك عنه إلى عصمتي وحفظي ورعايتي، وأنك إليّ محتاجٌ في جميع تصرفاتِك وأحوالك في جميع أوقاتك، من أُمور دنياك وآخرتك، ليلاً ونهاراً، وأنه لا يخفي عليّ من أُمورك صغيرٌ ولا كبير، سراً وعلانيةً، وليتبينَ لك وتعرفَ أنك مفتقر ومحتاج إليّ، ولا بدَّ لك مني، فعند ذلك لا تعرضُ عني، ولا تتشاغل عني، ولا تنساني، ولا تشتغل بغيري، بل تكون في دائم الأوقات في ذكري، وفي جميع أحوالك وجميع حوائجك تسألني، وفي جميع تصرفاتك تخاطِبُني، وفي جميع خلواتك تناجيني وتشاهدني وتراقبني، وتكونُ منقطعاً إليَّ من جميع خلقي، ومتصلاً بي دونهم، وتعلمُ أني معك حيثُ ما تكون، أراك وإن لم ترني، فإذا أردتَ هذه كلّها وتيقنت، وبان لك حقيقة ما قلت، وصحة ما وصفت، تركتَ كلَّ شيء وراءك، وأقبلتَ إليّ وحدَك، فعند ذلك أقرِّبك مني، وأوصلك إليّ، وأرفعُك عندي، وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي، في جواري مع ملائكتي، مكرماً مفضلاً مسروراً فرِحاً منعماً ملذذاً آمناً، مُبْقى سرمداً أبداً دائماً، فلا تظنّ بي عبدي ظنَّ السوء، ولا تتوهم عليّ غير ما يقتضيه كرمي وجودي، واذكر سالفَ إنعامي عليك، وقديم إحساني إليك، وجميلَ آلائي لديك، إذ خلقتك ولم تكُ شيئاً مذكوراً، خلقاً سوياً، وجعلت لك سمعاً لطيفاً، وبصراً حاداً، وحواسَّ دركة، وقلباً ذكياً، وفهماً ثاقباً، وذهناً صافياً، وفكراً لطيفاً، ولساناً فصيحاً، وعقلاً رصيناً، وبنيةً تامة، وصورةً حسنة، وأعضاءَ صحيحةً، وأدوات كاملة، وجوارح طائعة، ثم ألهمتك الكلام والمقال، وعرَّفتك المنافع والمضار، وكيفية التصرف في الأفعال والصنائع والأعمال، وكشفتُ الحجبَ عن بصرك، وفتحتُ عينك لتنظر إلى ملكوتي، وترى مجاريَ الليل والنهار، والأفلاك الدوارة، والكواكب السيارة، وعلمتُك حسابَ الأوقات والأزمان والشهور، والأعوام والسنين والأيام، وسخّرت لك ما في البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان، تتصرف فيها تصرفَ المُلاك، وتتحكم فيها تحكّم الأرباب، فلما رأيتُك متعدياً جائراً باغياً، خائناً ظالماً طاغياً، متجاوزَ الجدّ والمقدار، عرّفتُك الحدود والأحكام، والقياسَ والمقدار، والعدل والإنصاف، والحقّ والصواب، والخير والمعروف، والسيرة العادلة، ليدوم لك الفضلُ والنِّعم، ويُصرف عنك العذاب والنِّقم، وغرّضتك لما هو خيرٌ لك وأفضلُ، وأشرفُ وأعزُّ وأكرم، وألذُّ وأنعم، ثم أنت تظنُّ بي ظنونَ السَّوء، وتتوهم عليّ غيرَ الحق، يا عبدي إذا تعذّر عليك فعل شيء مما أمرتك به، فقل: {لا حولَ ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم} كما قالت العرش لما ثَقُل عليهم حملهُ، وإذا أصابتك مصيبةٌ فقل: **{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}**[306] كما يقول أهلُ صفوتي

ومودتي، وإذا زلّت بك القدمُ في مصيبيتي فقل ما قال صفيّي آدم وزوجه: **{رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**[307]. وإذا أشكلَ عليك أمرٌ، وأهمّك رأيٌ، أو أردتَ رشداً وقولاً صواباً، فقل كما قال خليلي إبراهيم: **{وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ * وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}**[308]. وإذا أصابتك مصيبةٌ فقل كما أعلمتُك فيما أنزلته عليك من قولِ يعقوب: **{إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}**[309]. وإذا جَرَت منك خطيئةٌ فقل كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: **{هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ}**[310]. وإذا صُرفتْ عنك معصيةٌ فقل كما قال يوسفُ عليه الصلاة والسلام أو صاحبتُه **{وَمَا أُبَرِّيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}**[311]. وإذا ابتلاك الله ببليةٍ فافعل ما ذكر الله عن داود عليه الصلاة والسلام **{فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ}**[312] وإذا رأيتَ العصاةَ من خلق الله والخاطئين من عباده، ولم تدرِ ما حكمُ الله فيهم، فقل كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام: **{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**[313]. وإذا استغفرت الله وطلبتَ عفوه فقل كما قال محمد ﷺ وأنصاره **{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}**[314]. وإذا خِفْت عواقبَ الأُمور، ولم تدر بماذا يُخْتم لك فقل كما يقول الأصفياء **{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}**[315].

وصية: لا تظلم أحداً لا تحتاج دعائي

وصية في موعظة: دخل محمد بن واسعٍ على بلال بن أبي بردة، في يوم حار، وبلالُ في جيشه وعنده الثلج، فقال بلال: يا أبا عبد الله: كيف ترى بيتنا هذا؟ قال: إن بيتَك لطيبٌ، والجنة أطيب منه، وذِكر النار يلهي عنه، قال: فما تقول في القَدر؟ قال: على جيرانِك[316] أهل القبور فتفكر فيهم فإن فيهم شغلاً عن القَدر، قال: إدعُ لي قال: وما تصنع بدعائي، وعلى بابك كذا وكذا؟ وكلٌ يقول: إنك قد ظلمتهم، يرتفع دعاؤهم قبل دعائي، لا تظلم أحداً، ولا تحتاج إلى دعائي.

ومن كلام الحسن البصري: مالي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً؟ أرى أناساً ولا أرى أنيساً؟ دخلوا ثم خرجوا، عرفوا ثم أنكروا.

ومن كلامه أيضاً ﵁ عجباً لقومٍ أُمروا بالزاد، ونوديَ فيهم بالرحيل، وحُبِس أولاهم على أخراهم، وهم قعود يلعبون، يا ابن آدم: السِّكين تحدُّ والتنور يسْجر، والكبش يُعْتلف، كفى بالتجارب تأديباً، وبتقلب الأيام عظةً، وبذكر الموتِ زاجراً عن المعصية، ذهبت الدنيا بحال وبالها، وبقيت الأيام قلائد في الأعناق، إنكم تسوقون الناس، والساعة تسوقكم، وقد أُسرع بخياركم، فماذا تنظروا؟ أتنتظرون المعاينة؟ فكأنْ قد جاءتكم.

ومن كلام عمر بن عبد العزيز: إن لكل سفر زاداً لا محالة، فتزودوا - لسفركم من الدنيا إلى الآخرة - وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا، ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم، فوالله ما بَسَط أملاً مَن لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسي بعد صباحه، ولربما كانت بين ذاتِك خطفات المنايا، فكم رأيتم «ورأينا» من كان بالدنيا مغتراً، وإنما تَقَرُّ عين من وَثِق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمِنَ من الأهوال يوم القيامة، فأما من لا يداوي كَلْماً، أصابه جرحٌ من ناحية أُخرى، أعوذ بالله أن آمرَكم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي، لقد عنيتم بأمر لو عنيَت به النجوم لانكدرت[317]، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلةٌ؟ وأنكم صائرون إلى أحدهما.

وصية: الخلق ليس عبثاً

ومن وصاياه في مواعظه ﷺ: إن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً، ولم يدعْ شيئاً من أُموركم سدى، إنّ لكم معاداً يَنزل الله فيه للحكم والقضاء بينكم، فخاب وخسرَ مَن خرج من رحمة الله عز وجل، وحُرم الجنةَ التي عرضُها السموات والأرض، فاشترى قليلاً بكثير، وفانياً بباقٍ، وخوفاً بأمن، ألا ترون أنكم في أسلاب[318] الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك، حتى تُرَدَّ إلى خير الوارثين، في كلِّ يومٍ وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى، قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صَدعٍ[319] من الأرض، ثم تدعوه غيرَ ممهدٍ ولا موسدٍ، قد خلعَ الأسباب، وفارق الأحباب وسكن التراب، وواجه الحساب، مرتهناً بعمله، فقيراً إلى ما قدَّم، غنياً عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت، وايمُ الله إني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحدٍ من الذنوب ما أعلم عندي، وما يبلغني عن أحدٍ منكم حاجةٌ إلاّ أحببتُ أن أسدّ من حاجته ما قدرت عليه، وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعه ما عنده إلا وَدِدت أنه يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه، وايم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش، لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكن سبق من الله كتابٌ ناطق وسنّةٌ عادلة حَثّ فيها على طاعتِه، ونهى فيها عن معصيته، ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق وبكى الناس.

وصية: برسول الله أسوة حسنة

وعليك بالاقتداء برسول الله ﷺ في أحواله وأقواله وأفعاله، إلاّ ما نصَّ عليه أنه مختص به مما لا يجوز لنا أن نفعله، أو خاطب به أحداً من الناس أن يفعله، ونهى غيرَه عن ذلك.

بَزَق رجلٌ في النيل بحضور ذي النون المصري، فقال: تعِستَ يا بغيضُ، تبزق على نِعَم الله؟ وكان ذو النون في ذلك الوقت في مشاهدة النِّعم الإلهية التي أحوجنا إليها فلذلك حَكم عليه حالُه فنطق بما نطق به، وكان شيخنا أبو مدين، وقع بينه وبين أبي الحسن بن الدقاق، وكان ابن الدقاق ممن يغشاه ويحضر مجلسه، فانقطع عن حضور مجلسه لأجل ذلك، فاستدعاه الشيخ وقال له: يا أبا

الحسن: ما شأنك انقطعت؟ إن شيطاني خاصم شيطانك، ونحن على وُدِّنا كما كنا، ما تغيرنا، ولا ندخل أنفسنا بينهما، فتذكر أبو الحسن، وقَبِل وصية الشيخ، واستغفر الله ورجع إلى حضور مجلسه.

وصية: البلاء نعمة

وصية بمكاتبة: اعتلّ رجل من إخوان ذي النون فكتب إليه أن يدعو له، فكتب إليه ذو النون: سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم؟ واعلم يا أخي أن العلة مجازاة يأنس بها أهل الصفاء، والهمم والضياء في الحياة ذكرك للشفاء، ومَن لم يعدَّ البلاء نعمةً فليس من الحكماء، ومَن لم يأمن الشفيقَ على نفسه فقد أمِن أهل التهم على أمره، فليكن معك يا أخي حياءٌ يمنعك عن الشكوى والسلام.

وقال بعضهم: كتبت إليّ تسألني عن حالي، فما عسيتُ أن أُخبرك به من حال، وأنا بين خلالٍ موجعاتٍ، أبكاني منهن أربعٌ: حبُّ عيني للنظر، ولساني للفضول، وقلبي للرئاسة، وإجابتي إبليس عدوَّ الله فيما يكرهُ الله، وأقلقني منها أربعٌ: عينٌ لا تبكي من الذنوب المنتنة، وقلب لا يخشع عند نزول الموعظة، وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا، ومعرفة كلما قلّبتها وجدتني بالله أجهل، وأضناني منها أربع: أني عدمت خير خصال الإيمان: الحياء، وعدمت خير زاد الآخرة: التقوى، وأفنيت أيامي بمحبة الدنيا، وتضييعي قلباً لا أقتني مثله أبداً.

وودعه إنسان فقال له: قل لأبي يزيدَ إلى متى النومُ والراحة وقد جازتِ القافلة؟ فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: الرجلُ من ينامُ الليلَ كلّه ثم يصبح في المنزل قبل القافلة، فقال ذو النون: هنيئاً له، هذا كلامٌ لا تبلُغه أحوالنا. وكان العلماء يكتبُ بعضهم إلى بعض بثلاث: مَن أحسن لله سريرته أحسنَ الله علانيته، ومن أحسنَ آخرته أحسنَ الله له أمرَ دنياه، ومَن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس. وكتب رجلٌ إلى عالم: ما الذي أكسبك علمك من ربك، وما أفادك في نفسك ودينك؟ فكتب إليه العالمُ: أثبتَ العلمُ الحجة، وقطعَ عمودَ الشك والشبهة، وشغلتُ أيام عمري بطلبه، ولم أدركْ منها ما فاتني، فكتب إليه الرجل: العلم نورٌ لصاحبه، ودليلٌ على حظّه، ووسيلةٌ إلى درجة السعداء، فكتب إليه العالم: أبليتُ إليه في طلبه جدَّ الشباب، فأدركني حين علمتُ الضعف عن العمل به، ولو اقتصرتُ منه على القليل كان لي فيه مُرشداً إلى السبيل. وكان شيخنا أبو عبد الله المجاهدُ، وشيخنا تلميذه أبو عبد الله بن قسوم نائبهُ في التدريس والإمامة، لايبرحان إلاّ والورقُ

والمدادُ والقلمُ معهما، يكتبان كلَّ يوم ما قُدّر لهما من العلم رغبة أن يحشرا غداً عند الله من طلاب العلم.

وصية: إلا ما كان لله

دخل رجلٌ على عبد الملك بن مروان، ممن كان يُوصف بالفضل والأدب، فقال له عبد الملك بن مروان: تكلمْ، قال له: بمَ أتكلم وقد علمتُ أن كلَّ كلام يتكلم به المتكلم وبالٌ عليه إلاّ ما كان لله؟ فبكى عبد الملك، ثم قال: يرحمُك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصَوْن، فقال الرجل: يا أميرَ المؤمنين إن للناس في القيامة جولةً لا ينجو من غُصص مرارتها، ومعاينةِ الرّدى فيها إلاّ مَن أرضى الله بسخطِ نفسه، قال فبكى عبد الملك، ثم قال: لا جَرَمَ والله لأجعلنّ هذه الكلمات مثالاً نُصبَ عيني ما عشت أبداً.

وصية: عند أمير صالح

وصية مشفقٍ ناصح عند أميرٍ صالح: لما قَدم عمرُ بن هُبيرة العراق والياً، أرسل إلى الحسن والشعبي فأمر لهما ببيتٍ، فكانا فيه شهراً أو نحوه، ثم إنّ الخصي غدا عليهما ذاتَ يوم فقال: إن الأمير داخلٌ عليكما، فجاء عمر متوكئاً على عصا له، فسلم ثم جلس معظماً لهما، فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، يكتب إليّ كُتُباً، أعرفُ أن في إنفاذها الهلاكَ، فإن أطعتهُ عصيتُ الله، وإن عصيته أطعتُ الله، فهل تريان لي في متابعتي إياه فرجاً؟ فقال الحسن للشعبي: يا أبا عمرو أجبِ الأمير، فتكلم الشعبي بكلامٍ يريد به إبقاء وجهٍ عنده، فقال ابن هبيرة: ما تقول أنتَ يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعتَ، قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك مَلَكٌ من ملائكة الله تعالى فظٌ غليظ لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعةِ قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمرُ بن هبيرة: إن تتقِ الله يعصمك من يزيدَ بن عبد الملك، ولن يعصمك يزيدُ بن عبد الملك من الله إن أطعته وعصيت الله، يا عمرُ بن هبيرة: لا تأمنْ أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيدَ بن عبد الملك فيغلقَ باب المغفرة دونك، يا عمرُ بن هبيرة: لقد أدركتُ ناساً من صدر هذه الأُمة كانوا عن الدنيا - وهي مقبلةٌ - أشدَّ إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمرُ بن هبيرة: إني أُخوّفُك مقاماً خوّفكه الله، فقال: **{ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ**

وَعِيدِ}[320] يا عمرُ بن هبيرة: إن تكُ مع الله في طاعته كفاك يزيدَ بن عبد الملك، وإن تكُ مع يزيدَ بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه، فبكى عمرُ بن هبيرة، وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما، فأكثر جائزةَ الحسن ونَقَص جائزةَ الشعبي، فخرج الشعبي إلى المسجد، فقال، أيها الناس مَن استطاع منكم أن يُؤثرَ الله على خلقه فليفعلْ، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسنُ منه شيئاً فجهلتُه، ولكني أردتَ وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه.

قلت[321] وكتبتُ إلى عزّ الدّين كياكاووس سلطان بلاد الروم، جوابَ كتابٍ كتبَ به إليّ من أنطاكية، وكنتُ مقيماً بملطية:

كتبتُ كتابي والدموعُ تسيلُ	**ومالي إلى ما أرتضيه سبيلُ**
أُريدُ أرى دينَ النبي محمدٍ	**يقام ودين المبطلين يزولُ**
فلم أرَ إلاّ الزوَر يعلُوْ وأهلُه	**يعِزّون، والدينُ القويمُ ذليلُ**
فيا عِز دينِ الله سمعاً لناصحٍ	**شفيقٍ فنُصّاحُ الملوك قليلُ**
وحاذرْ بتأييدِ الإله بطانةً	**تشيرُ بأمرٍ ما عليه دليلُ**
لينمى بيتُ المال والبيت ساقط	**فجُدْ وتوكلْ فالإله كفيلُ**

وصية: التفافات ولاة الأمور

وصية بمراقبة الألفاظ المسموعة. بلغني أنّ عمر بن العزيز لما ولي الخلافة، أخذ أقطاعَ أميرٍ كبير، كان أقطعه إياها سليمانُ بن عبد الملك، والوليدُ بن عبد الملك، فلما مات عمرُ بن عبد العزيز وولي يزيدُ بن عبد الملك، جاء الأمير إليه فقال له: إن أخاك سليمانَ أمير المؤمنين، والوليد أقطعاني شيئاً قطعه عني أمير المؤمنين عمر بن العزيز ﵁، فأريد منك أن تردّه عليّ، فقال: لا أفعل، قال: ولمَ؟ قال: لأن الحقَّ فيما فعل عمر بن عبد العزيز، قال: وبمَ ذلك؟ قال: لأن أخويّ أحسنا إليك وذكرتهما وما دعوتَ لهما، وعمر بن عبد العزيز أساء إليك وذكرته فترضيتَ عنه، فعلمتُ أن

عمر آثرَ الله على هواه فيك، وأن سليمان بن عبد الملك، والوليد آثرا هواهما على حق الله: فوالله لا رأيتَه مني أبداً، وهذا مِنْ أحسن ما يحكى من التفافات ولاةِ الأُمور.

وصية: حكمة بالغة

وصية في موعظة. قال سعيد بن سليمان: كنت بمكة وإلى جانبي عبد الله بن عبد العزيز العُمري، وقد حج هارون الرشيد، وقال له إنسان: يا أبا عبد الله هو ذا أمير المؤمنين يسعى وقد أُخلي له المسعى، قال العُمري المرجل: لا جزاك الله عني خيراً، كلفتني أمراً كنت عنه غنياً، ثم قام فتبعه، فأقبل هارون الرشيد من المَرْوة يريد الصّفا، فصاح به: يا هارون، فلما نظر إليه، قال: لبيك يا عُمري ارقَ الصفا، فلما رقاها قال: إرمِ بطرفك إلى البيت، قال: هارون: قد فعلت، قال: كم هم؟ قال: ومَنْ يُحصيهم؟ قال: فكم في الناس مثلُهم؟ قال: خلقٌ لا يحصيهم إلاّ الله، قال: اعلم أيها الرجل أن كلَّ واحدٍ منهم يُسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تُسأل عنهم كلَّهم، فانظر كيف تكون، قال: فبكى هارون الرشيد وجلس، وجعل يُعطونه منديلاً للدموع، فقال العُمري: وأُخرى أقولها؟ قال: قل يا عم، قال: والله إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجْر عليه، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين، ثم مضى وهارون يبكي، قال البَغوي: فبلغني أن هارون الرشيد كان يقول: إني لأُحب أن أحجّ كلَّ سنةٍ، ما يمنعني إلاّ رجلٌ من ولد عمر يُسمعني ما أكره.

وصية: الإنسان لا يقنع بالقليل ولا يشبع بالكثير

وصية نبوية في موعظة إلهية: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تعالى: يا ابن آدم كلّ يوم نرزقُك وأنت تحزن، وينقص كلّ يوم من عمرك وأنتَ تفرح، أنت فيما يكفيك وتطلب ما يطغيك، لا بقليلٍ تقنع ولا بكثير تشبع).

وصية: موعظة العلماء للأفراد

حجّ أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور، فبينما هو يطوف بالبيت ليلاً إذ سمع قائلاً يقول: (اللهم إناّ نشكوا إليك ظهورَ البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحقّ وأهله من الطّمع)

فخرج المنصور فجلس ناحيةً من المسجد، ثم أرسل إلى الرجل، فصلى ركعتين، ثم استلم الرّكن، وأقبل مع الرسول، فسلم عليه بالخلافة، فقال له المنصور: ما الذي سمعتك تذكر؟ قال: إنْ أمّنتني يا أميرَ المؤمنين أعلمتُك بالأُمور من أُصولها، وإلاّ اقتصرت على نفسي ففيها لي شغلٌ شاغل، قال فأنتَ آمنٌ على نفسك، فقال، يا أمير المؤمنين إن الله استرعاك أمرَ عباده وأموالهم، فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر، وأبواباً من الحديد، وحرّاساً معهم سلاح، ثم سجنت نفسك منهم، وبعثت عمالك في جبايةِ الأموال وجمعِها، وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس إلاّ فلانٌ، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف إليك، ولا أحدَ إلاّ وله في هذا المال حقٌّ، فلما رأك النفرُ - الذين استخلصتهم لنفسك، وآثرهم على رعيتك، وأمرت أن لا يُحجبوا دونك - تجبي الأموال وتجمعها، قالوا: هذا خانَ الله، فما لنا لا نخونُه، فأتمروا أن لا يصل إليك من علم أخبارِ الناس إلا ما أحبوه، ولا يخرجَ لك عاملٌ خوّنوه وعابوه حتى تسقط منزلته عندك، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم، أعظمهم الناسُ وهابوهم، وصانعوهم ليصلوا إلى ظُلم مَنْ دونهم، وكان أولَ من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليبقوا بذلك عمالَك على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذو المقدرة والأموال من رعيتك ليصلوا إلى ظلم مَنْ دونهم، فامتلأتْ بلادُ الله بغياً وفساداً، وصارَ هؤلاء القومُ شركاءَك وأنتَ غافلٌ، فإن جاء مُتظلم حِيْلَ بينك وبينه، وإن أراد رفعَ قضيةٍ إليك وجدك قد نهيتَ عن ذلك، ووقفت للناس رجلاً ينظر في مصالحهم، فإن جاء ذلك المتظلم وبلغَ بطانتك خبرُه، سألوا صاحبَ المظالم أن لا يرفع مَظلِمته إليك، فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به، ويشكوا ويستغيث ويدفعه، فإذا جهد وخرج ظهر لك وصرخ بين يديك فضُرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره، وأنت تنظرُ فلا تُنكر، فما بقاء الإسلام على هذا؟ قال: فبكى المنصورُ بكاءً شديداً وقال: ويحك، كيف أحتال لنفسي، قال: يا أمير المؤمنين، إنَّ للناس أعلاماً يفزعون إليهم من دينهم ويرضون بهم في دنياهم وهم: العلماءُ وأهلُ الدّيانة، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم يسُدوك، فقال: قد بعثتُ إليهم فهربوا مني، فقال: خافوا أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتحْ بابك، وسهّل حجابك، وانصر المظلومَ، واقمع الظالمَ وخذِ الفيء، والصدقات على وجوهها، وأنا ضامنٌ عنهم أنهم يأتونك ويساعدونك على صلاح الأُمة، ثم أُذّن بالصلاة فقام يصلي، وعاد إلى مجلسه ثم طلب الرجلَ فلم يجده.

وصية: إصلاح الآخرة

رويناها من حديث الهاشمي يبلغ بها، أنّ النبي ﷺ قال: (أيها الناس أقبلوا على ما كُلفتموه من إصلاح آخرتكم، وأعرضوا عمّا ضُمِن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارحَ غذيتْ بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم التماسَ مغفرته، واصرفوا هممكم إلى التقرب إليه بطاعته، إنه مَنْ بدأ بنصيبه من الدنيا فإنه نصيبُه من الآخرة، ولا يدركُ منها ما يريد، ومَنْ بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبُه من الدنيا وأدرك من الآخرة ما يريد).

وصية: اعتذار مقبول

منظومةٌ من ذي علمٍ في الاعتذار:

إذا اعتذر الصديقُ إليك يوماً — من التقصير عذرَ أخٍ مقرّ

فَصُنْه من عِتَابك واعفُ عنه — فإن العفوَ سيمةُ كلِّ حُرّ

وصية: كُنْ أكن، أنفِقْ أُنْفِقْ عليك

يقول الله تعالى: يا ابن آدم إذا ذكرتني شكرتني، وإذا نسيتني كفرتني، وقال: أنفقْ أُنفقْ عليك، أنا مع عبدي إذا ذكرني تحركت بي شفتاه، لا أجمعُ على عبدي خوفين، ولا أجمعُ له أَمنين: إن خافني في الدنيا لم يخفْ في الآخرة، وإن أَمنني في الدنيا لم يأمن في الآخرة. أين المتحابون بجلالي، اليومَ أظلهم في ظِلّي. أنا عندَ ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني، يقول الله لأهونِ أهلِ النار عذاباً: لو أنّ لك ما في الأرض من شيء كنتَ تقتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتُك ما هو أهونُ من هذا وأنتَ في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئاً فأبيتَ إلا الشركَ. الكبرياءُ ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار. يقول الله لموسى: إن هذا دينٌ أرتضيه لنفسي، لا يُصلحه إلاّ السخاءُ وحسنُ الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه، يا موسى إنك لن تتقربَ إليّ بشيء أحبّ إليّ من الرضا بقضائي، ولن تعملَ عملاً أحفظَ لحسناتِك من النظر في أُمورك، يا موسى: لا تتضرعْ إلى أهل الدنيا فأسخطَ عليك، ولا تجُدْ بدينك لدينك فأُغلِقَ عليك أبواب رحمتي، يا موسى: قل للمؤمنين التائبين: أبشروا، وقل للمؤمنين المُختبين أخبتوا[322] وأحسنوا. أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ

رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر. من رجا غيري لم يعرفني ومن لم يعرفني لم يعبُدني، ومن لم يعبدني فقد استوجبَ سخطي، ومَنْ خاف غيري حَلّت به نقمتي، يا موسى: خفْ ثلاثةً: خفني، وخفْ نفسك، وخفْ من لا يخافني (أي يقول: خذ حذرك من هؤلاء). يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغتْ ذنوبُك عنانَ السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أُبالي، يا ابن آدم: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأَتيتُك بقِرابها مغفرة. إذا قال العبد {بسم الله الرحمن الرحيم} يقول الله: ذكرني عبدي، وإذا قال {الحمد لله رب العالمين} يقوك الله: حمدني عبدي، وإذا قال {الرحمن الرحيم} يقول الله: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: {مالِك يوم الدين} يقول الله: مَجّدني عبدي وفَوّض إليّ عبدي، وإذا قال: {إياك نعبدُ وإياك نستعين} يقول الله: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، وإذا قال {إهدنا الصراط المستقيم صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوب عليهم ولا الضالين} يقول الله: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال (آمين) يقول الله: قد أجبتُ. الإخلاصُ سرٌّ من أسراري استودعتُه قلبَ من أحببتُ من عبادي، إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا (يعني عينيه) لم يكن له جزاءٌ عندي إلاّ الجنة. قال رسول الله ﷺ (يخرج في آخر الزمان رجالٌ يطلبون الدّنيا بالدين، ويلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله: أبي يغترون، أم عليّ يجترؤون؟ فبي حلفت لأُتيحنّ على أولئك منهم فتنةً تدع الحكيم منهم حيران)، قال رسول الله ﷺ (يُجاء يوم القيامة بابن آدم كأنه بذج[323] فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول الله تعالى له: أعطيتُك وخوّلتُك وأنعمت عليك، فماذا صنعت؟ فيقول: جمعتُه وثمرّته وتركتُه أكثر ما كان، فأرجعني آتِك به، فإذا به عبدٌ لم يُقدّم خيراً، فيُمضى به إلى النار) يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً وأسدُّ فقرك، وإلاّ تفعلْ أملأ يديك شغلاً ولم أسدّ فقرك. يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طولِ ما ترجو مِنْ أملك، وقصرت مِنْ حرصك وحيلك، وابتغيت الزيادة في عملك، وإنما تلقى الندم لو قد زلتْ بك القدم، وأسلمك الأهل والحشم، وانصرف عنك الحبيبُ، وأسلمك الغريب فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد، فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة. وقال الله تعالى (إنمّا أتقّبل الصلاةَ ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطلْ بها على خَلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة علماً، ومَثَله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة)، (يا موسى إني أُعلمك خمس كلمات هنّ عماد الدين: ما لم تعلم أنْ

قد زال مُلكي فلا تترك طاعتي، وما لم تعلم أنْ خزانتي نفدت فلا تهتمّ برزقك، وما لم تعلم أنّ عدّوك قد مات فلا تأمنْ فجأته ولا تدع محاربته، وما لم تعلم أني قد غفرت لك فلا تَعِبِ المذنبين، وما لم تدخل جنتي فلا تأمن مكري).

قال رسول الله ﷺ: (قال موسى: يا ربّ علّمني شيئاً أذكُرك به وأدعوك به، قال: يا موسى قل: لا إله إلاّ الله، قال موسى: يا رب كلُّ عبادِك يقول هذا، قال: قل: لا إله إلاّ الله، قال: لا إله إلاّ أنتَ، إنما أريد شيئاً تخُصني به، قال: يا موسى لو أن السمواتِ السبعَ وعُمارهن، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلاّ الله في كفة مالت بهن لا إله إلاّ الله).

يقول الله لمحمد ﷺ: (يا محمد أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحدٌ إلاّ صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحدٌ إلاّ سلمت عليه عشراً)؟ وقال الله: (وجبت محبتي للمتحابين فيّ، وللمتجالسين فيَّ، والمتباذلين فيّ، وللمتزاورين فيّ)، يقول الله عز وجل (يا دنيا اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك) وقال الله: (إنّ عبداً أصلحت له جسمه، ووسّعت عليه في المعيشة، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليَّ لمحرومٌ) وقال رسول الله ﷺ: (إن الله سيُخلِص رجلاً من أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشُر عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كلُّ مثلُ مدّ البصر، ثم يقول له: أتنكرُ من هذا شيئاً؟ أظلمتك كَتَبَتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفَلَك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندي حسنةً، فإنه لا ظلَم عليك اليوم، فُيخرج بطاقةً فيها: أشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضرْ وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقةُ مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلَمُ، قال: فيوضعُ السجلاتُ في كِفّة، والبطاقةُ في كِفّة فطاشت السجلات وثقُلتِ البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيءٌ) وقال رسول الله ﷺ: (يوقفون - يعني الملائكة - بين يدي الله، ويشهدون - يعني للعبد - بالعمل الصالح المخلّص لله، فيقول لهم: أنتم الحفظةُ على عمل عبدي، وأنا الرقيب على ما في قلبه، إنه لم يُردني بهذا العمل، وأراد به غيري فعليه لعنتي).

وقال رسول الله ﷺ: (إن الله إذا كان يومُ القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكلُّ أُمةٍ جاثيةٌ، فأوّلُ من يُدعى به: رجلٌ جَمَع القرآن، ورجلٌ قُتِل في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المال، فيقول الله للقارئ: ألم أُعلّمكَ ما أنزلتُه على رسولي؟ بلى يا رب، قال: فماذا عملتَ فيما عَلِمتَ؟ قال: كنتُ أقوم به آناء الليل وأطرافَ النهار، فيقول الله له: كذبتَ، وتقول له الملائكةُ: كذبتَ، ويقول الله له: إنما قرأتَ ليقال: فلانٌ قارئٌ، فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أوسّع عليك حتى لم

أدَعْك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب؟ قال: فماذا عملت فيما أتيتك؟ قال: كنتُ أصِلُ الرِّحِمَ، وأتصدقُ، فيقول الله له: كذبتَ، وتقول الملائكة له كذبتَ، ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلانٌ جوادٌ، فقيل ذلك، ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقول اللّه: فيم ذا قتلتَ؟ فيقول: أمرتَ بالجهاد في سبيلك، فقاتلتُ حتى قُتلت، فيقول الله، له كذبتَ، وتقول الملائكة له: كذبت، ويقول الله له: بل أردتَ أن يقال: فلانٌ جريءٌ فقد قيل ذلك)، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبة أبي هريرة ثم قال: (يا أبا هريرة: أولئك الثلاثةُ أوّلُ مَنْ تُسَعّر بهم النار يوم القيامة) فكان أبو هريرة إذا حدّث بها الحديث يُغشى عليه، ويتلو قول الله تعالى **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}**[324]:

كم تمنيتُ فأحسنتُ المقالْ	**وفعلتُ الخيرَ جَهْراً ليُقالْ**
وإذا واسيتُ يوماً سائِلاً	**أطلبُ الشكرَ عليها ليُقالْ**
وإذا أَقتُلُ يوماً كافراً	**أطلبُ الذّكر عليه ليُقالْ**
وإذا ما صُمتُ يوماً صائفاً	**أشتكي الجوعَ عشِيّاً ليُقالْ**
وإذا صليتُ والناسُ معي	**أتأنّى في صلاتي ليُقالْ**
وأنا في خلوتي أنقُرها	**حيث لا أخشى عليها أن يُقالْ**
عملي عُجبٌ وصنعٌ ورِيا	**يا لها من عثراتٍ لا تُقالْ**
فاهجُروني واطرُدوني عنكمُ	**إنّ أحمالي وأوزاري ثِقالْ**
نسألُ الله تعالى توبةً	**خالِصَ الصدقِ له لا ليُقالْ**

وصية: عظة القبر

وصية اعتبارٍ لأحد الأبرار، بلغني أنّ عمر بن عبد العزيز، شيّع جنازةً، فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابُه ناحيةً عن الجنازة، فقال له بعضُ أصحابه: يا أمير المؤمنين، جنارةٌ أنت وليّها تأخرت عنها وتركتها؟ فقال: نعم ناداني القبرُ من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز، ألا تسألُني ما صنعتُ بالأحبة؟ قلت: بلى قال: أحرقت الأكفانَ، ومزّقت الأبدان، ومَصَصْت الدَمَ، وأكلت اللحم، قال: ألا تسألني ما صنعت بالأوصال[325]؟ قلت: بلى، قال: نزعت الكَفّين من الذراعين، والذراعين من العضُدين، والعضُدين من الكتفين والوَركَيْن[326] من الفخدين، والفخدين من الرُّكبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين، ثم بكى عمر ثم قال: ألا إنّ الدنيا بقاؤها قليلٌ، وعزيزُها ذليلٌ، وغنيُّها فقيرٌ، وشابُّها يهرم، وحيُّها يموت، فلا يغرنّكم إقبالُها مع معرفتكم سرعة إدبارها، فالمغرور من اغتُر بها، أين سكانها الذين بنوا مدائنها، وشقّوا نهارها، وغرسوا أشجارها، وأقاموا فيها أياماً يسيرة؟ غرّتهم بصحتهم فاغتروا بنشاطهم، فركبوا المعاصي، إنهم كانوا والله في الدنيا مغبوطين بالأموال، على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه، ماذا صنع التراب بأبدانهم، والرمل بأجسادهم، والدّيدان بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا في الدنيا على أُسرّةٍ ممهدة، وفرشٍ منضودة، بين خدمٍ يخدُمون، وأهلٍ يُكرمون، وجيرانٍ يعضُدون، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً ومُرّ بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، واسأل غنيّهم ما بقي من غناه، واسأل فقيرهم ما بقي من فقره، واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، واسألهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة: ما صنع بها الديدان؟ مَحَتِ الألوانَ، وأكلت اللُّحْمَان[327]، عفّرتِ الوجوه، ومحتِ المحاسن، وكسرت الفَقَار، وأبانت الأحشاء، ومزقت الأشلاء[328] وأين حُجّابهم ونوابُهم، وأين خدمُهم وعبيدهم وجَمعُهم ومكنونهُم؟ والله ما فرشوا فراشاً، ولا وضعوا هنالك متكأ، ولا غرسوا لهم شجراً، ولا أنزلهم من اللحّدِ قراراً، أليسوا في منازلِ الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلَهِمّة ظلماءَ؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة، فكم من ناعمٍ وناعمةٍ أصبحوا ووجوهم باليةٌ، وأجسادهم من أعناقهم نائيةٌ، وأوصالهم متمزقةٌ، وقد سالت الحدقات على الوجنات، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً، ودبت دوابُّ الأرض في أجسادهم ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا والله إلاّ يسيراً، حتى عادت العظام رميماً، قد فارقوا الحدائق، وصاروا بعد السِّعة إلى المضائق، وقد تزوجت نساؤهم، وترددت في الطريق أبناؤهم، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره، الغضُّ الناضر فيه، المتنعم بلذته، يا ساكن القبر غداً: ما الذي غرّك من الدنيا، هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك؟ أين دارك

الفيحاء، ونهرك المطِّرد؟ وأين ثمرتك الحاضرة يُنعها، وأين رقاق ثيابك، وأين طيبك، وأين بخورك، وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخَلاً، وهو يرشح عرقاً، ويتلظى عطشاً، يتقلب في سكراتِ الموت وغمرته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجلّ ما لا يمتنع منه، هيهات يا مُغمض الوالِد والأخِ والولدِ وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخليّه في القبر وراجعاً عنه، ليت شعري: كيف كنت على خشونةِ الثرى؟ ليت شعري: بأي خدّيك يبدأ البلى؟ وأيُّ عينيك سالت أوّلاً؟ يا مجاورَ الهلكاتِ، صرت في محل الموتى، ليت شعري: ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا، وما يأتيني به من رسالة ربي؟ ثم تمثل ناظماً:

تُسرُّ بما يفنى وتُشغل بالمُنى	**كما اغترَّ باللذات في النوم حالمُ**
نهارك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ	**وليلك نومٌ والرّدى لك لازمُ**
وتعمل شيئاً سوف تكره غِبَّه[329]	**كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ**

ثم انصرف، فما بقي بعد ذلك إلاّ جمعةًّ ثم مات رضي الله تعالى عنه، ومن نظمنا في ذلك:

شابَ فوداي[330] وشبّ الأملُ	**ومضى العمرُ وجاء الأجلُ**
عسكرُ الموتِ لنا منتظرٌ	**فإذا صرنا إليهمُ رحلُوا**
ليت شعري، ليت شعري هل دَرَوْا	**أنني بَعْدَهم مُنتقلُ؟**
في فنون اللهو أفنى طرباً	**غافلاً عمّا له أنتقِلُ**

ولنا في هذا المعنى أيضاً:

ضمّتْ لنا آرامُنا[331] الآراما[332]	**فكـأن ذاك العيش كان مناما**
يا واقفينَ على القبور تعجّبوا	**من قائمينَ غدوا به ونياما**

تحت التراب مُوسِّدين أكفَّهم   قد عاينوا الحسناتِ والإجراما

لا يُوقظون فيخبرون بما رأوا   لا بُدّ من يومٍ تكونُ قياما

ورأيت على قبرٍ أبياتاً، وهي على لسان صاحبه:

يا أيها الناس كان لي أملُ   قصّر بي عَنْ بلوغه الأجلُ

فليتقِ الله ربّه رجلٌ   أمكنه في حياته العملُ

ها أنا وحدي كما نُقِلتُ تَرَوْا   كلٌّ إلـــى مثلـــه سينتقِلُ

ورأيت أيضاً مكتوباً على قبر:

يا مَنْ بدنياه اشتغل   وغـــــره طـــولُ الأمـــلْ

ولم يزل في غفلةٍ   حتى دنـــا منـــه الأجلْ

الموت يأتي بغتةً   والقبـــــر صندوق العملْ

ورأيت مكتوباً على قبر أم ابن البسبلي، وكان ابنها من أصدقائي، وقد علاّه، وشيّده، وأنفق على بنائه مالاً كثيراً، فكتب شخصٌ من أصحابنا أبياتاً عليه لبعضهم يخبر عن صورةِ الحال، وهي:

أرى أهل القصور إذا تُوفُّوا   بنوا تلك المقابر بالصخورِ

أبوا إلاّ مباهاةً وفخراً   على الفقراء حتى في القبورِ

فإن يكن التفاضلُ في ذُراها   فإن العدل منها في القُعورِ

لعمر أبيهم لو أبرزوهم   لما علِموا الغنيَّ من الفقيرِ

ولا عرفُوا العبيدَ من الموالي   ولا عرفوا الإناثَ من الذكورِ

ولا البدن الملبّس ثوب صوفٍ ولا البدن المنعّم في الحريرِ

إذا ما مات هذا ثمّ هذا فما فضلُ الغني على الفقير؟

وكان على قبرٍ مكتوباً بمدينة سلا منقطع التراب بيتان على لسان صاحب القبر:

ولقد نظرتَ كما نظرتُ ولقد نظرتُ فما اعتبرتُ

فانظرْ لنفسك سيدي قبلَ الحصولِ كما حصلتُ

وصية: الغنى عمّا في أيدي الناس

وصية سنيةٌ من ذوي همة علية:

لا تضرعنّ لمخلوقٍ على طمعٍ فإن ذاك مضرٌ منك بالدِّينِ

واسترزقِ الله رزقاً من خزائنِه فإنما هو بين الكافِ والنونِ

وفي هذا المعنى قال أبو حازمٍ الأعرجُ لبعض الخلفاء، وقد سأله الخليفة ما مالُك يا أبا حازم؟ فقال: الرضا عن الله، والغنى عن الناس:

للناس مالٌ ولي مالانِ ما لَهُمَا إذا تحارسَ أهلَ المال حرّاسُ

مالي: الرِّضا بالذي أصبحت أملكه وما ليَ: اليأسُ مما يملك الناسُ

قال له خاله هشام بن عبد الملك لما ولي البحرين: ما طعامك يا أبا حازم؟ قال الخبز والزيت، قال: أفلا تسأمُهما؟ قال: إذا سأمتُهما تركتهما حتى أشتهيهما.

وصية: لا تدري

وصية إلهية مذكّرة {**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**}[333].

وما هذه الأيام إلاّ معارةٌ	**فما إسْطَعْتَ من معروفها فتزودِ**
فإنك لا تدري بأيةِ بلدةٍ	**تموت وما يُحدثُ الله في غدِ**
يقولون: لا تبعُد ومن يك بعده	**ذراعين من قربِ الأحبة يبعُدِ**

وصية: وصية امرأة

وصية من امرأة من ولدِ حسان بن ثابت:

سلِ الخيرَ أهلَ الخير قدماً ولا تسلْ	**فتىً ذاقَ طعمَ العيش منذُ قريبِ**

وصية: مع هارون الرشيد وبهلول

وصية مجنونٍ عاقل، قالها عند خليفةٍ غافل: حجّ هارون الرشيد راجلاً من أجل يمينه حين حنث، فقعد يستريح في ظل ميل، فمر به بهلول المجنون، وكان في الركب، فقال له، يا أمير المؤمنين:

هبِ الدُّنيا تُواتيكا	**أليسَ الموت يأتيـــــكا؟**
ألا يا طالب الدُّنيا	**دعِ الدنيـــــا لشـــانِيكا**
إلى كم تطلب الدّنيا؟	**وظـــلُّ الميـــلِ يكفيكا**

وصية: أحبُّ الإخوانِ إليّ المباسطةُ

وصية حكيمٍ في صفةِ الحميم: قيل لخالد بن صفوانَ: أيُّ الإخوان أحبُّ إليك؟ قال: الذي يغفر زلتي، ويسدُّ خَلتي، ويقيل عثرتي. وكتب رجل إلى صديق له: إني وجدت المودة متقطعةً ما كانت الحشمة منبسطة، وليس يُزيل سلطان الحشمة إلاّ المؤانسة، ولا تقع المؤانسة إلاّ بالبر والملاطفة. وبتنا ليلةً عند أبي الحسن ابن أبي عمرو بن الطفيل بأشبيلية سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكان كثيراً ما يحتشمني، ويلزم الأدب بحضوري، وبات معنا أبو القاسم الخطيب، وأبو بكر ابن سامٍ، وأبو الحكم بن السراج، وكلُّهم قد منعهم احترامُ جانبي الانبساط، ولزموا الأدب والسكون، فأردت أن أعمل الحيلة في مباسطتهم، فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا، فوجدت طريقاً إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم، فقلت له: عليك من تصانيفنا بكتابٍ سميناه (الإرشادَ في خرق الأدبِ المعتادِ) فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله، فقال لي: أشتهي ذلك، فمددت رجلي في حجره، وقلت له: كَبّسني، ففهم عني ما قصدت، وفهمت الجماعة، فانبسطوا وزال عنهم ما كان بهم من الانقباض والوحشة، وبتنا بأنعم ليلة في مباسطة دينية.

وصية: عظة

إفصاحٌ بغالب الأحوال ممن يُعدُّ من الأبدال: قال الحسن البصري: ما أُعطي رجلٌ شيئاً من الدنيا إلاّ قيل له: خذه ومثلَه من الحرص، وقال: أشدُّ الناس صراخاً يوم القيامة: رجلٌ سنّ ضلالةً فاتُّبع عليها، ورجلٌ سيءُ الملَكة، ورجل فارغٌ استعان بنعم الله على معاصيه.

وصية: مثال - الحلم العمل - العالم - العدل

يا وليّ راقب إيمانك، وأضف إلى حسن صورته زينة العِلم، فإذا زيّنته به ظهر بصورة لم يكن عليها من الحسن، فإذا أعجبك فأضف إليه زينة العمل بالعلم، فتزيد حسناً إلى حسن، فإذا تعشقتَ بصورة العمل لما ترى من حسنها، ربما أدّاك ذلك إلى أن تحمّل النفس فوق طاقتها، فزين العملَ بالرفق، فإن المُنبتّ: لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى، وقد قيل: ما أُضيف شيءٌ إلى شيء أزينَ من حلمٍ إلى حلم، وإذا سبّك إنسانٌ فانظر فيما سبّك به: فإن كان ما سبّك به صفة فيك، فلا تلُمه، فما قال إلاّ حقاً، ولُم نفسك، وأزلْ عنها تلكَ الصفة المذمومة، واشكره على ما ظهر منه، فقد بالغ في نُصحك، وإن لم يقصده، ولكن الله أنطقه فارغَ له ذلك، وإن سبّك بما ليس فيك فخذ ذلك منه تذكرةً

وتحذيراً يحذّرك بما ذكره أن تذكره، لئلا تتصف به فيما تستقبلُه من زمانك، فقد نصحك على كلِّ حال، فإن صدَق فيما قال فقل: غفر الله لي ولك وللمسلمين، وإن كذب فيما قال فقل: غفر الله لك فقد نبهتني على أمرٍ ربما لو لم تنبهني وقعتُ فيه، وأنشدْه:

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ لعزّة من أعراضنا ما استحلّتِ

كانت لي كلمةٌ مسموعة عند بعض الملوك، وهو الملكُ الظاهر غازي صاحبُ مدينةِ حلب، رحمه الله ابن الملك الناصر لدين الله صلاح الدين يوسف بن أيوب، فرفعت إليه من حوائجِ الناس في مجلسٍ واحد - وكان جاء لزيارتي - مائةً وثمانَ عشرةَ حاجة، فقضاها كلَّها، وكان منها: أني كلمتُه في رجل أظهرَ سرّه وقدَح في مُلكه، وكان من جملة بطانته، وعزم على قتله، وأوصى به نائبه في القلعة بدرَ الدين إيدمُور أن يخفي أمره حتى لا يصل إليّ حديثُه، فوصلني حديثه فلما كلمتُه في شأنه، أطرقَ وقال: حتى أعرّفَ ذنبَ هذا المذكور، وأنه من الذنوب التي لا تتجاوزُ الملوك عن مثله، فقلت له: يا هذا تخيلتُ أن لك همةَ الملوك، وأنك سلطان، والله ما أعلمُ في العالم ذنباً يقاوم عفوي، وأنا واحد من رعيتك، فكيف يقاومُ ذنبُ رجلٍ عفوك في غير حدٍ من حدود الله؟ إنك لدنيءُ الهمة، فخجل وسرحه وعفا عنه، وقال: جزاك الله خيراً من جليس، مثلُك من يجالس الملوك، وبعد ذلك المجلس ما رفعتُ إليه حاجةً إلاّ سارع في قضائها من فوره من غير توقف كانت ما كانت.

يا وليُّ: إحبس نفسك عن القليل من الذَّم تأمن كثيره، فإن النفس فيها لجاجة، إذا نُوزعت صدعت، وإذا سكنتَ عنها انقمعت، قال الأحنف بن قيس في هذا المعنى: من لم يصبر على كلمة أَسمع كلماتٍ، وربَّ غيظٍ قد تجرّعته مخافةَ ما هو أشدُّ منه، يا وليُّ والله ما عاقبتُ أحداً يجب عليّ أدبُه في حال غضبي، ولا امتلائي بغيظي، فإذا ذهبت عني حالةُ الغضب والغيظ، ورأيتُ المصلحةَ في الأدب أدّبتُه، وما يرجعُ إليَّ فأعفو عنه عن طيب نفس وعدمِ إقامةٍ على دَغَل وحقد، وأبذُل جهدي في إيصال الخير إليه، وأسارعُ في قضاء حوائجه، وما أدري أني أقرضتُ أحداً قرضاً وفي نفسي أني أطلبُه منه، فلا أطلبه، فإن جاء به وأرى حاجتي إليه آخذه منه، وإن علمت أنه ضيقَ على نفسه فيه أنظرتُه إلى ميسرة، هذا فيما يختص بنفسي وحكمُ الجار الأقرب حكمُ العيال، له حقٌ يطلبه، أنا مأمور بإيصاله إليه إذا قدرتُ عليه.

يا وليٌّ اعلم أن الحاكم لا بد إذا أرضى أحدَ الخصمين أن يُسخط الآخر، وأنت حاكمٌ والخصمان في مجلس قلبك: المَلَكُ، والشيطان، فأرض المَلَك، وأسخط الشيطان، فإنه يقول للإنسان (أكفر) فإذا كفر {قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}[334] واعلَم أن الدين أقوى جُنةٌ وأحصن، والعدل أقوى عُدةٍ يتخذها الحاكم لقتال من يُسخطه من الخصمين، فإنه يقاتل هواه فيه، ولا سيما إن كان المبطلُ حميمَه وصاحبَه، وإذا أردت أن لا تخاف أحداً فلا تُخِفْ أحداً، تأمنُ من كلّ شيء إذا أمن منك كلُّ شي. مررت في سفري في زمن جاهليتي، ومعي والدي، وأنا ما بين قرمونة وَبْلمة من بلاد الأندلس، وإذا بقطيع حُمُرٍ وحشٍ ترعى، وكنتُ مولعاً بصيدها، وكان غلماني على بُعدٍ مني، ففكرت في نفسي، وجعلتُ في قلبي أني لا أوذي واحداً منها بصيدٍ، وعندما أبصرها الحصان الذي أنا راكبه هشّ إليها، فمسكتُه عنها، ورمحي بيدي إلى أن وصلت إليها ودخلتُ بينها، وربما مرّ سِنان الرمح بأُسنِمةِ بعضها، وهي في المرعى، فوالله ما رفعتْ رؤُوسها حتى جُزتُها، ثم أعقبني الغلمان، ففرت الحُمُر أمامهم، وما عرفت سبب ذلك إلى أن رجعت إلى هذا الطريق، أعني طريق الله، فحينئذٍ علمت من نظري في المعاملة ما كان السبب، وهو ما ذكرناه، فسرى الأمانُ في نفوسهم الذي كان في نفسي لهم، فكُفَّ عن ظلمك واعدل في حكمك ينصرك الحقُّ ويُطعك الخلقُ، وتصفُ لك النعمُ، وترتفع عنك التُّهم، فيطيبَ عيشُك، ويسكنَ جأشُك، وملكتَ القلوب، وأمنت محاربة الأعداء، وأخفى ودَّك في نفسه من أظهر لك العداوةَ في حسه لحسدٍ قام به، فهو حبيب في صورة بغيض.

ومن منشور الحكم والوصاية قال بعضهم: العدلُ ميزان الباري سبحانه، ولذلك هو مبرئٌ من كل زيغ وميل. قال بعضهم في وصيةِ ملكٍ: إذا حسُنت سيرته وصَلُحت سريرته صيّر رعيته جنداً، وإن أول العدل أن يبدأ الرجلُ بنفسه فيلزمها كل خلة زكيةٍ، وخصلةٍ رضية، في مذهب سديد، ومكسبٍ حميد، ليسلم عاجلاً ويسعد آجلاً، وإن أول الجور أن يعمد إليها فيجنبها الخير، ويعودّها الشر، ويُكسبها الآثام، ويُلبسها المذام، ليعظم وزرُها، ويقبح ذكرها، وقال بعضهم: من بدأ بنفسه فساسَها أدركَ سياسة الناس، أصلحوا أنفسكم تصلح لكم آخرتُكم، أصلح نفسك لنفسك تكن الناسُ تبعاً لك، أحسن العظات ما بدأتَ به نفسك، وأجريت عليه أمرك.

من رضي عن نفسه سخِط الناس عليه، من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدَم دينه كان لمجده أهدَم، وخيرُ الآداب ما حصل لك ثمرُه، وظهر عليك أثرُه، ومن تعزّز بالله لم يُذله سلطان، ومن توكل عليه لم يَضرّه شيطان، ليكن مرجعك إلى الحق، ومنزعك إلى الصدق، فإن الحقّ أقوى

مُعين، والصّدق أفضل قرين، من لم يرحمِ الناس منعه الله من رحمته، ومن استطالَ بلسانه سلبه الله من قدرته. إنّ العدلَ ميزان وضعه الله للخلق، ونصبه للحق، فلا تُخالفه في ميزانه، ولا تُعارضه في سلطانه، استعنِ عن الناس بخلّتين: قلةِ الطمع، وشدةِ الورع. من طال كلامه سُئِم، ومن قلّ احترامُه شُتم.

ودخلت على بعض الصالحين بسبتة على بحر الزُقاق، وكان قد جرى بيني وبين السلطان من الكلام ما يوجب وَغرَ الصدر، ويضع من القَدْر، فوصل إليه الخبر فلما أبصرني قال لي: يا أخي ذَلّ من ليس له ظالمٌ يعضُده، فقلت له: وضَلّ من ليس له عالم يرشده، فقال: يا أخي الرفق الرفقَ، فقلت له: ما دام رأس المال محفوظاً - أعني الدِّين - فقال: صدقتَ، وسكت عني. لا تحاجَّ من يُذهلك خوفُه، ويملكك سيفه، فربّ حجةٍ تأتي على مهجة، وفرصةٍ تؤدي إلى غُصة، وإياك واللجاجَ فإنه يوغر القلوب، ويُنتج الحروب، عِيٌّ تَسْلُم به خيرٌ من نطقٍ تندمُ عليه، واقتصر من الكلام على ما يُقيم حجتّك ويُملكك حاجتك، وإياك وفضوله، فإنه يُزل القدم ويُورث الندم، عِيٌّ يزري بك خيرٌ من براعة تأتي عليك.

وصية: ليس بغائب ما قسم لك الآخرة - إنّ مع العزّ ذلاً - خصل الإيمان

قال رسول الله ﷺ لرجل يوصيه: (أقللْ من الشهوات يسهُلْ عليك الفقرُ، وأقللْ من الذنوب يسهُلْ عليك الموتُ، وقدّم ما لك أمامك يسُرّك اللحاقُ به، واقنعِ بما أُوتيتَه يخفَّ عليك الحساب، ولا تتشاغل عما فُرض عليك، بما قد ضُمن لك، إنه ليسَ بفائتك ما قُسم لك، ولست بلاحقٍ ما زُوي عنك، ولا تكُ جاهداً فيما يُصبح نافداً، واسعَ لملكٍ لا زوالَ له في منزلٍ لا انتقالَ عنه).

ومن الوصايا النبوية أيضاً: قال رسول الله ﷺ (ما سكنَ حبُّ الدنيا قلبَ عبدٍ إلاّ التاطَ منها بثلاث: شغلٍ لا ينفكُّ عنه عَنَاه، وفقرٍ لا يُدرك غناه، وأملٍ لا يُنال منتهاه). (إنّ الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان، فطالبُ الآخرة تطلبُه الدنيا حتى يستكمل رزقَه، وطالبُ الدنيا تطلبُه الآخرة حتى يأخذَ الموتُ بعنقه، ألا وإنّ السعيدَ من اختارَ باقيةً يدوم نعيمها على فانيةٍ لا ينفدُ عذابها، وقدّمَ لما يقدم عليه مما هو الآن في يديه قبل أن يُخلِّفه لمن يسعدُ بإنفاقه وقد شقي هو بجمعه واحتكاره). (ومنها أيضاً) قال رسول الله ﷺ: (كأن الموت على غيرنا كُتب، وكأنّ الحقَّ فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذين نشيّع من الأموات سفرٌ، عما قليلٍ إلينا راجعون، نهيئ لهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنا

مُخلّدون بعدهم، نسينا كلَّ واعظةٍ، وأمِنّا كلَّ جائحةٍ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه في غير معصية، وجالسَ أهل الفقه والحكمة وخالط أهلَ الذلة والمسكنة، طوبى لمن ذَلّت نفسه، وحسُنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شرّه، طوبى لمن أنفقَ الفضلَ من ماله، وأمسكَ الفضل من قوله، ووسِعته السُّنة ولم تستهوه البدعة). (ومن مواعظه ﷺ) قوله: (يا قيسُ) يريد قيسَ بن عاصم الفهريّ (إنّ مع العز ذلاً، وإن مع الحياةِ موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنةٍ ثواباً، ولكل سيئةٍ عقاباً، وإن لكل أجلٍ كتاباً، لا بُدّ يا قيسُ: من قرينٍ يُدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلاّ معك، ولا تُبعث إلاّ معه، ولا تُسأل إلاّ عنه، فلا تجعله إلاّ صالحاً، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلاّ به، وإن كان فاحشاً، لم تستوحش إلاّ منه وهو: فعلُك)، (ومن وصايا ﷺ) قال: (أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحةِ قبل أن تشتغلوا، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقةَ تُرزقوا، وأمروا بالمعروف تُحصنوا، وانهوا عن المنكر تنصروا، يا أيها الناس إن أكيسكم أكثُركم للموت ذكراً، وأحزمكم أحسنكم له استعداداً، ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهبَ ليوم النشور).

ومنها أيضاً عنه ﷺ قال: (أيها الناسُ إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم، إن المؤمن بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليأخذِ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نفسُ محمد بيده ما بعدَ الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دارٌ إلاّ الجنة أو النار).

ومما ورد عنه ﷺ في خصال الإيمان ما حدّثنا به أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميميُّ بالمسجد الأزهر بعينِ الخيل من مدينة فاس، سنة إحدى وتسعين وخمسمائة من لفظه، وأنا أسمعُ، وأسنَدهُ إلى رسول الله ﷺ مُعنعناً قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يُكمل عبدٌ الإيمانَ حتى يكون فيه خمسُ خصال: التوكلُ على الله، والتفويضُ إلى الله، والتسليمُ لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والصبر على بلاء الله، إنه من أحبّ لله، وأبغضَ لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان). وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: (الإيمان بضعٌ وسَبعون شعبةً، أدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، وأرفعها: قول لا إله إلاّ الله).

قال رسول الله ﷺ: (لا خيرَ في العيش إلاّ لعالمٍ ناطق، أو مستمعٍ واعٍ، يا أيها الناس إنكم في زمانِ هُدنة، وإن السيرَ بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهارَ كيف يُبليان كلَّ جديد، ويُقربان كلّ بعيد، ويأتيان بكل موعود) فقال له المقداد: وما الهدنةُ يا رسول الله؟ فقال ﷺ: (دارُ بلاءٍ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الأُمورُ كقِطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافعٌ مشفعٌ وشاهدٌ مصدَّق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضحُ دليلٍ إلى خير سبيل، من قال به صُدّق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، وإن العبدَ عند خروج نفسه وحلول رمَسه يرى جزاءَ ما أسلف، وقلة غِنى ما أخلف، ولعله من باطلٍ جمعه، ومن حقٍ منعه).

وصية: أخلاق المسلم

بتذكرةٍ، قال رسول الله ﷺ: (إن العبدَ لا يُكتب في المسلمين حتى يَسْلَمَ الناسُ من يده ولسانه، ولا ينال درجةَ المؤمنين حتى يأمنَ جاره بوائقه، ولا يُعد من المتقين حتى يدعَ ما لا بأس به حذراً مما به البأس، يا أيها الناسُ إنه من خاف البيوت[335] أدْلج، ومن أدلج في السير وصل، وأنتم تعرفون عواقب أعمالكم لو قد طويت صحائف آجالكم، إن نيةَ المؤمن خيرٌ من عمله، ونيةَ المنافق شرٌ من عمله).

وصية: عاقبة التوكل على الله

قال رسول الله ﷺ: (من انقطع إلى الله كفاه الله كلَّ مؤنة، ومن انقطع إلى الدنيا وَكلَه الله إليها، ومن حاول أمراً بمعصية الله كان أبعدَ له مما رجا، وأقربَ مما اتّقى، ومن طلب محامدَ الناس بمعاصي الله عاد حامده منهم ذامّاً، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله إليهم، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرَهم، ومن أحسن فيما بينه وبين الناسَ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمرَ دنياه).

وصية: آداب

قال رسول الله ﷺ: (رحم الله امرءاً تكلم فغنم، أو سكت فسلم، إنّ اللسان أمْلكُ شيءٍ للإنسان، آلا وإن العبد كلَّه عليه إلاّ ذكر الله، أو أمراً بمعروفٍ، أو نهياً عن منكرٍ، أو إصلاحاً بين مؤمنين) فقال له معاذُ بن جبل، يا رسول الله أنؤاخَذُ بما نتكلم به؟ قال ﷺ: (وهل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلاّ حصائدُ ألسنتهم؟ فمن أرادَ السلامةَ فليحفظ ما جرى به لسانُه، وليحرُس ما انطوى عليه جنانه، وليحسن عمله وليُقصر أمله).

وصية: محاسن الدنيا

قال رسول الله ﷺ: (لا تسبّوا الدنيا فنعمتْ مطيةُ المؤمن، عليها يبلغ الخيرَ وبها ينجو من الشر، إذا قال العبد: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه) قلنا: من هنا قال قتادة ﵁: ما أنصف أحدٌ الدنيا، ذُمّت بإساءةِ المسيء فيها، ولم تُحمد بإحسان المحسن فيها، وفي عكس هذا يقول بعضهم في الدنيا:

إذا امتحنَ الدّنيا لبيبٌ تكشفتْ   له عن عدوٍ في ثيابِ صديقِ

هذا إنما يريد الحياة الدنيا التي لا يقصد بها الآخرة، وقد ذمّ الله ذلك.

وصية: عبر الموت

قال رسول الله ﷺ: (أكثروا ذكر هاذمِ اللذات، فإنكم إن ذكرتموه في ضيقٍ وَسَّعَه عليكم ورضيتم به فأُجِرتم، وإن ذكرتموه في غنى بغّضه إليكم به فأثبتم، إن المنايا قاطعاتُ الأمال، والليالىّ مدنياتُ الآجال، وإن المرء بين يومين: يومٍ قد مضى أحصِي فيه عمله فختم عليه، ويومٍ قد بقي لا يدري لعله لا يصل إليه).

وصية: الرزق مقسوم

قال رسول الله ﷺ (إن الرزق مقسوم، لن يعدوَ إمرؤٌ ما كُتِب له فأَجملوا في الطلب، وإن العمر محدودٌ لن يجاوز أحدُكم ما قدّر له، فبادروا قبل نفادِ الأجل، والأعمال مُحصاةٌ لن يُهمل منها

صغيرةٌ ولا كبيرة، فأَكثروا من صالح العمل، أيها الناس إن في القنوع لسعةً، وإن في الاقتصاد لبُلغلةً، وإن في الزهد لراحةً، ولكل عملٍ جزاءٌ، وكلٌّ آتٍ قريب).

وصية: لبيب واعتبار

قال رسول الله ﷺ: (أما رأيتَ المأخوذين على الغِرّة، المُزعجين بعد الطمأنينة؟ الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا إلى الشهواتِ، حتى أتتهم رسلُ ربّهم، فلا ما كانوا أمّلوا أدركوا، ولا إلى ما فاتهم رجعوا، قَدِموا على ما عملوا، وندِموا على ما خلّفوا ولم يُغنِ الندم، وقد جفّ القلم، فرحم الله امرءاً قدّم خيراً وأنفق قصداً، وقال صدقاً، ومَلَك دواعي شهواته، ولم تمِلكه، وعصى أمرَ نفسه فلم تُهلكه).

وصية: الصمت وحسن الخلق

قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس لا تُعطوا الحكمة غيرَ أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تُعاقبوا ظالماً فيبطلَ فضلكم، ولا تراؤوا فيحبط عملكم، ولا تمنعوا الموجودَ فيقلَّ خيرُكم، أيها الناس إن الأشياءَ ثلاثة: أمرٌ استبان رشده فاتّبعوه، وأمرٌ استبان غيُّه فاجتنبوه، وأمرٌ اختلف عليكم فردّوه إلى الله، أيها الناس ألاّ أُنبئكم بأمرين خفيفٍ مؤنتهما، عظيمٍ أجرُهما، لم يُلق الله بمثلهما: الصمتُ، وحسنُ الخلق).

وصية: العافّين عن الناس

قال رسول الله ﷺ، (إنما يؤتى الناسُ يومَ القيامة من إحدى ثلاث: إما من شبهةٍ في الدين ارتكبوها، أو شهوة للذة آثروها، أو غضبةٍ لحميّةٍ أعملوها، فإذا لاحت لكم شبهةٌ فاجْلُوها باليقين، وإذا عرضت لكم شهوةٌ فاقمعوها الزهد، وإذا عنّت لكم غضبةٌ فادرؤوها بالعفو، إنه ينادي منادٍ يوم القيامة: من له أجرٌ على الله فليقُم، فيقوم العافّون عن الناس، ألم تر إلى قوله عز وجل: **{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}**[336].

وصية: المشاعر

قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تعالى يا ابن آدم تؤتى كلَّ يومٍ يرزقك، وأنت تحزن، ويُنقص كلّ يوم من عمرك وأنت تفرح، أنت فيما يكفيك، وتطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع).

وصية: صفةٌ يحبها الله

قال رسول الله ﷺ، وقد قيل له: يا رسول الله، مَنْ أولياءُ الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال: (الذين نظروا إلى باطنِ الدنيا حين نظر الناسُ إلى ظاهرها، واهتموا بآجل الدنيا حين اهتمّ الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنْ سيترُكهم، فما عارضهم من نائلها عارض إلاّ رفضوه، ولا خادعهم من رفقها خادع إلاّ وضعوه، خَلقت الدنيا عندهم فما يجددونها، وخرُبت بيوتهم فما يعمرونها، وماتت في صدورهم فما يُحيونها، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهُم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلّت بهم المثلاثُ، فما يرون أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون).

وصية: الندم

قال رسول الله ﷺ: (إنما أنتم خَلَفُ ماضين، وبقيةُ متقدمين، كانوا أكثرَ منكم بسطةً، وأعظمَ سطوةً، أُزعجوا عنها أسكنَ ما كانوا إليها، وغدرت بهم أوثقَ ما كانوا بها، فلم تغنِ عنهم قوة عشيرةٍ، ولا قُبِلَ منهم بذل فدية، فأرحلوا أنفسكم بزادٍ مُبلغ قبل أن تؤاخذوا على فجأة وقد غفلتم عن الاستعداد، ولا يغني الندم وقد جفّ القلم).

وصية: حال المؤمن في الدنيا

قال رسول الله ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل، وعُدّ نفسك في الموتى، وإذا أصبحتَ فلا تحدّثها بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تحدّثها بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لوفاتك، فإنك لا تدري ما اسمُك غداً).

وصية: من شغل بالدنيا من الآخرة

قال رسول الله ﷺ: (لا تشغلنّكم دنياكم عن آخرتكم، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعةِ ربكم، ولا تجعلوا إيمانكم ذريعةً لمعاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، ومهّدوا لها قبل أن تعذبوا، وتزودوا للرحيل قبل أن تُزعجوا، فإنما هو موقفٌ عدل، واقتضاءُ حق، وسؤال عن واجب، ولقد بلغ في الإعذار من تقدم في الإنذار).

وصية: اهتمال العاقل

وصية نبوية بما ينبغي أن يُقبل عليه ويُعرض عنه: قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس، أقبلوا على ما كلفتموه من صلاح آخرتكم، وأعرضوا عما ضُمِن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارحَ غذيتْ بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم بالتماسِ مغفرته، واصرفوا هِمَمَكُمْ إلى التقرب إليه بطاعته، إنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبُه من الآخرة، ولا يُدرك منها ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا وأدرك من الآخرة ما يريد).

وصية: خطر فضول الطعام

وصية نبوية فيما ينبغي أن يُترك من الفضول: قال رسول الله ﷺ: (إياكم وفضولَ المطعم، فإن فضول المطعم يَسِم القلب بالقساوة، ويُبطِىء بالجوارح عن الطاعة، ويُصِمّ الهمم عن سماع الموعظة، وإياكم وفضولَ النظر، فإنه يبذُر الهوى، ويولّد الغفلة، وإياك واستشعارَ الطمع فإنه يُشرب القلبَ شدةَ الحرص، يختم على القلب بطابعِ حبِّ الدنيا، فهو مفتاح كل سيئة، وسببُ إحباط كلِّ حسنة).

وصية: ما يُرجى وما يُتّقى

قال رسول الله ﷺ: (إنما هو خيرٌ يُرجى، أو شرٌّ يتقى، وباطل عُرف فاجتُنب، وحق تُيُقِّنَ فطُلب، وآخِرةٌ أظلَّ إقبالها فسُعي لها، ودنيا أزف نفادها فأُعرض عنها، وكيفَ يعمل للآخرة مَن لا تنقطع عن الدنيا رغبتُه، ولا تنقضي فيها شهوتُه؟ إنّ العجبَ كلَّ العجب لمن صدّق بدار البقاء وهو يسعى لدار الفناء، وعَرَف أن رضا الله في طاعته وهو يسعى في مخالفته).

وصية: إلى الله صائرون

قال رسول الله ﷺ: (حَلّوا أنفسكم بالطاعة، وألبسوها قناع المخافةِ، واجعلوا آخرتكم لأنفسكم، وسعيكم لمستقركم، واعلموا أنكم عن قليلٍ راحلون، وإلى الله صائرون، ولا يغني عنكم هنالك إلاّ صالحُ عملٍ قدمتموه، أو حسنُ ثوابٍ حُزتُموه، إنكم إنما تقدَّمُون على ما قدّمتم، وتجازون على ما أسلفتم، ولا تخدعنّكم زخارفُ دنيا دنيةٍ عن مراتبِ جنابٍ عليّة، فكأنْ قد كُشف القناع، وارتفع الارتياب، ولاقى كلٌّ إمرىء مستقرّه، وعرف مثواه ومنقلبه).

وصية: المكر والخداع

قال رسول الله ﷺ: (ولا تكونوا ممن خدعته العاجلةُ، وغرّته الأُمنية، واستهوته الخدعة فركن إلى دارٍ سريعة الزوال، وشيكة الانتقال، إنه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلاّ كإناخةِ راكبٍ، أو صَرّ[337] حالب، فعلام تُعرّجون، وماذا تنتظرون، فكأنكم والله بما قد أصبحتم فيه من الدنيا كأنْ لم يكن، وما تصيرون إليه من الآخرة كأنْ لم يَزُل، فخذوا الأُهبة لأُزُوف النُّقلة، وأعدّوا الزادّ لقرب الرحلة، واعلموا أن كلّ امرىء على ما قدّم قادم، وعلى ما خلّف نادم).

وصية: نسيان الأجل

وصية نبوية في ذم إنبساط الأمل ونسيان الأجل: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس: بسيطُ الأمل متقدّم حلولَ الأجل، والمعادُ مضمارُ العمل، ومغتبطٌ بما احتقب[338] غانمٌ، ومبتئسٌ بما فاته من العمل نادمٌ، أيها الناس: إن الطمعَ فقرٌ، واليأسَ غنى، والقناعةَ راحةٌ، والعزلةَ عبادة، والعمل كنزٌ، والدنيا معدن، والله ما يسرني ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بُردي هذا، وما بقي منها أشبهُ بما مضى من

الماء بالماء، وكلٌّ إلى نفاد وشيكٍ، وزوال قريبٍ، فبادروا وأنتم في مَهَل الأنفاس، وجدةِ الأحلاس[339] قبل أن يؤخذ الكَظَم[340] ولا يغني الندم).

وصية: أصناف الناس

قال رسول الله ﷺ: (تكون أُمتي في الدنيا على ثلاثة أطباق، أما الطبق الأول فلا يرغبون في جمع المال وادخاره، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره، إنما رضاهم من الدنيا سدُّ جوعة، وستر عورة، وغناهم فيها ما بلغ إلى الآخرة، فأُولئك الذين لا خوف عليهم ولا يحزنون، وأما الطبق الثاني فيحبون جمعَ المال من أطيب سبيله، وصرفه في أحسن وجوهه، يصلون به أرحامهم، ويبرّون به إخوانهم، ويواسون به فقراءهم، ولَعَضُّ أحدهم على الرَّضْفِ[341] أسهلُ عليه من أن يكسب درهماً من غير حلّه، وأن يضعه في غير وجهه، وأن يمنعه من حقه، وأن يكون خازناً له إلى حين موته، فأولئك الذين إن نوقشوا عُذّبوا، وإن عفي عنهم سلموا، وأما الطبق الثالث فيحبون جمعَ المال مما حَلّ وحرم، ومنعه مما افتُرِض أو وجب، إن أنفقوه، إسرافاً وبداراً، وإن أمسكوه أمسكوه بخلاً واحتكاراً، أُولئك الذين ملكت الدنيا أزِمَّةَ قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم).

وصية: ضعف اليقين

وصية نبوية في التحذير من ضعفاء اليقين وما أشبه ذلك: قال رسول الله ﷺ: (إن من ضعف اليقين أن تُرضي الناسَ بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجُرّه حرصُ حريص، ولا يرده كراهيةُ كاره، إن الله تبارك اسمه جعل الرَّوح والفرحَ في الرضا واليقين، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط، إنك لم تدع شيئاً تقرباً إلى الله إلاّ أجزلَ لك الثوابَ عليه، فاجعل همّك وسعيك لآخرة لا ينفد فيها ثوابُ المرضيّ عنه، ولا ينقطع فيها عقابُ المسخوط عليه).

وصية: أجملوا في طلب الرزق

وصية نبوية تحرّض على أخلاق سنية مرضية: قال رسول الله ﷺ: (إنه ليس شيءٌ يباعدكم من النار إلاّ وقد ذكرتُه لكم، ولا شيءٌ يقربكم من الجنة إلاّ وقد دللتُكم عليه، إن روح القدس نفث في روعي أنه يموت عبدٌ حتى يستكمل رزقه، فأجملوا في الطلب، ولا يحملنّكم استبطاءُ الرزق على أن تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصيته، فإنه لا يُنال ما عند الله إلاّ بطاعته، ألا وإن لكل إمرىءٍ رزقاً يأتيه هو لا محالة، فمن رضي به بورك له فيه فوسِعَه، ومن لم يرض به لم يُبارك فيه ولم يَسَعَه، إن الرزق ليطلُب الرجلَ كما يطلبه أجله).

وصية: دار بلاء

قال رسول الله ﷺ: (إن الدنيا دارُ بلاء، ومنزل قلعةٍ وعَنَاء، قد نزعت عنها نفوسُ السعداء، وانتُزِعت بالكُرهِ من أيدي الأشقياء، وأسعد الناس أرغبُهم عنها، وأشقاهم بها أرغبُهم فيها، هي الغاشّة لمن استنصحها، والمغويةُ لمن أطاعها، والخاترةُ[342] لمن انقاد لها، والفائزُ من أعرض عنها، والهالك من هوى فيها، طوبى لعبد اتّقى فيها ربّه وناصحَ نفسه، وقدّم توبته، وآخّر شهوته، من قبل أن تلفِظه الدنيا إلى الآخرة، فيُصبحَ في بطن موحشةٍ مؤنسة، مدلهمّةٍ ظلماء، لا يستطيع أن يزيد في حسنةٍ ولا ينقص من سيئة، ثم يُنشر فيحشر إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو نارٍ لا ينفك عذابها).

وصية: بين يدي الساعة

في الأُهبة للرّحلة، قال رسول الله ﷺ: (شمروا فإن الأمر جدٌّ، وتأهبوا فإن الرحيل قريبٌ، وتزودوا فإن السفر بعيد، وخففوا أثقالكم فإن وراءكم عقبةً كؤداً لا يقطعها إلاّ المخفّون، أيها الناس إن بين يدي الساعة أُموراً، شِداداً، وأهوالاً عظاماً، وزماناً صعباً، تتملك فيه الظَّلمة، وتتصدرالفَسقة، فيُضطهد فيه الآمرون بالمعروف، ويُضام الناهون عن المنكر، فاعِدّوا لذلك الإيمانَ، وعضّوا عليه بالنواجذ، والجؤوا إلى العمل الصالح، وأكرهوا عليه النفوس، واصبروا على الضراء تفضوا إلى النعيم الدائم).

وصية: حب الدنيا

قال رسول الله ﷺ: (إرغبْ فيما عندَ الله يحبَّك الله، وازهدْ فيما في أيدي الناس تحبّك الناس، إن الزاهد في الدنيا يُريح قلبَه وبدنه في الدنيا والآخرة، ليجيئنّ أقوامٌ يوم القيامة لهم حسناتٌ كأمثال الجبال، فيؤمر بهم إلى النار) فقيل: يا نبيَّ الله أيُصلّون؟ قال: (كانوا يصلوّن ويصومون ويأخذون وَهناً[343] من الليل، لكنهم كانوا إذا لاح شيءٌ من الدنيا وثبوا عليه).

وصية: وصف الدنيا

قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس إن هذه الدارَ دارُ التواء، لا دارُ استواء، ومنزل تَرَحٍ لا منزلُ فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، ألا وإن الله خلق الدنيا دارَ بلوى، والآخرة دارَ عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثوابَ الآخرة من بلوى الدنيا عِوضاً، فيأخذُ ليعطي، ويبتلي ليجزي، وإنها لسريعةُ الذهاب، وشيكةُ الانقلاب، فاحذروا حلاوةَ رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا لذيذَ عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا في عُمران دارٍ قد قُضي خرابُها، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها، فتكونوا لسخطه متعرضين، ولعقوبته مستحقين).

وصية: محاب الله من الأعمال

وصية نبوية بما يرضي الله من الأخلاق: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس اتّقوا الله حقّ تقاته، واسعوا في مرضاته، وأيقنوا من الدنيا بالفناء، ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت، فكأنكم بالدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل، أيها الناس، إن من الدنيا ضيفٌ، وما في يده عاريةٌ، وإن الضيفَ مرتحل، والعاريةَ مردودة، ألا وإن الدنيا عرض حاضرٌ، يأكل منها البرُّ والفاجِر، والآخرةَ وعدٌ صادق، يحكم فيها مَلك قادر، فرحم الله امرءاً نظرَ لنفسه، ومهد لرمسه، ما دام رسنُه مُرخى، وحبلُه على غاربه[344] مُلقى، قبل أن ينفدَ أجله فينقطع عمله).

وصية: اتّباع الهوى

قال رسول الله ﷺ: (إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة قد تجمَّلت مقبلةً، ألا وإنكم في يومٍ عملٍ ليس فيه حساب، ويوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل، وإن الله يُعطي الدنيا من

يُحب ويُبغض، ولا يعطي الآخرة إلاّ من يحب، وإن للدنيا أبناءً وللآخرة أبناءْ، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، إن شرّ ما أتخوفُ عليكم اتّباعُ الهوى، وطولُ الأمل، فاتباع الهوى يصرفُ بقلوبكم عن الحق، وطولُ الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا، وما بعدهما لأحد خيرٌ من دنيا ولا آخرة).

وصية: مَلَك الموت

وصية نبوية بموعظة تذكر الموت وتُؤذن بالرحيل: قال رسول الله ﷺ: (ما من بيتٍ إلاّ ومَلَكُ الموت يقف على بابه في كل يومٍ خمس مراتٍ، فإذا وجد الإنسانَ قد نفِد أكلُه، وجاء أجلُه، ألقى عليه غمّ الموت، فغشيته كرُباته، وغمرته سكراتُه، فمن أهل بيته الناشرةُ شعرها، والضاربةُ وجهها، والباكيةُ لِشجوها، والصارخةُ بويلها، فيقول مَلَكُ الموت عليه السلام: ويلكم، مَمّ، الفزعُ، وفيمَ الجزعُ؟ ما أذهبتُ لواحدٍ منكم رزقاً، ولا قرّبتُ له أجلاً، ولا أتيته حتى أُمرت، ولا قبضت روحه حتى استأمرت، وإن لي فيكم عودةً ثم عودةً حتى لا أُبقي منكم أحداً) قال النبي ﷺ: (فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لو يرون مكانه، ويسمعون كلامه، لذهِلوا عن ميّتهم، ولبكوا على نفوسهم، حتى إذا حُمل الميت على نعشه، رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادي، يا أهلي، ويا ولدي، لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبتْ بي، جمعتُ المالَ من حِلّه، ومن غير حِلّه، ثم خلّفتُه لغيري، فالمهنأةُ له والتبّعةُ عليّ، فاحذروا أن يحل بكم مثلُ ما حلّ بي).

وصية: الشبلي وابن الأدهم

وصية من زاهد تحتوي على فوائد: روينا عن الشّبلي رحمه الله أنه قال في وصيته: إن أردتَ أن تنظرَ إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مَزْبلة، فهي الدنيا، وإن أردتَ أن تنظر إلى نفسك، فخذ كفاً من تراب فإنك منها خلقت، وفيها تعود، ومتى أردت أن تنظر ما أنت، فانظر إلى ما يخرجُ منك في دخولك الخلاءَ، من كان حاله كذا فلا يجوز له أن يتطاول أو يتكبر على مَن هو مثلُه، وقال بعضهم: من كان همتُه ما يُدخله في جوفه قيمتُه ما يخرج منه، وكتب إبراهيم بن أدهَم إلى أخٍ له: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله الذي لا تحِلُّ معصيتُه، ولا يُرجى غيره، ولا يدرَك الغنى إلاّ به، فإنه من استغنى عزّ وشبع ورَوِي، وانتقل عندما أبصر قلبُه عمّا أبصرتْ

عيناه من زهرة الدنيا، فتركها وجانب شبُهها، فليرضَ بالحلال الصافي منها إلاّ ما لا بدّ منه من كِسرة يشُدّ بها صلبه، وثوب يواري به عورته أغلظَ ما يجده وأخشنه والسلام. وقال رسول الله ﷺ (حسبُ ابن آدم لقيماتٌ يُقِمْنَ صلبْه). وروي أن عمر بن عبد العزيز ﷺ جيء إليه قبل الخلافةِ بحُلّة بثلاثةِ آلافِ درهم فاستخشنها، ثم جيء إليه في خلافته بثوبٍ ليشتريه فيلبسه بثلاثة دراهم فاسترقّه، وقال: عسى أخشنُ من هذا، فانظر يا أخي أين هذا من ذاك؟ ﷺ، مثل هذا ينبغي أن يليَ أُمورَ عبادِ الله. وكتب ابن السّماك إلى أخ له، وقد سأله أن يصف له الدنيا: أما بعد، فإن الله حفّها بالشهوات، ثم ملأها آفات، مزج حلالها بالرّزِيّات، وحرامها بالتّبعات، فحلالها حسابٌ وحرامها عقاب.

وصية: أَجِرْ مَنْ استجار

وصية مختارة بإجارة من استجار: كتب إلينا أبو حفص عمر بن عبد المجيد من روايته أن الله تعالى نادى موسى بن عمران، يا ابن عمران لا تخيّبْ من قصدك، وأجِرْ من استجارَ بك، قال فبينما موسى عليه الصلاة والسلام في سياحته إذا بجارحٍ يطردُ حماماً، فلما رآه الحمامُ نزل على كتفه مستجيراً به، ونزل الجارح على الكتف الآخر، فلما همّ به الجارحُ نزل الحمام على كمّه، فناداه الجارحُ بلسان فصيح: يا ابن عمران، إني قاصدك فلا تُخيّبني ولا تحُل بيني وبين رزقي، وناداه الحمامُ: يا ابن عمران، إني أنا مستجيريك فأجِرني، فقال موسى ما أسرع ما ابتليتُ به، ثم مدّ يده ليقطع من فخذه قطعةً للجارح وفاءً لهما، وحفظاً لما عهدا إليه فيهما، فقالا له: يا ابن عمران، لا تعجل إنا رسولا ربك، أرسلنا إليك ليرى صحة ما عهدَ إليك:

أيا سامعاً ليس السماعُ بنافعٍ	**إذا أنت لم تعقل[345] فما أنتَ سامعُ**
إذا كنتَ في الدنيا عن الخير عاجزاً	**فما أنت في يوم القيامة صانعُ؟**

وكان ابن السماك يقول: لا تشتغلْ بالرزق المضمونِ عن العملِ المفروضِ، وكنِ اليوم مشغولاً بما أنتَ عنه مسؤول غداً، وإياك والفضولَ فإن حسابها يطول، ولابن أدمة الليثي:

إني علمتُ - وخير العلمِ أنفعُه -	**أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني**

أسعى له فيُعييني تطلّبُه	**ولو قعدتُ أتاني لا يُعنّيني**
وأنّ رزقَ إمرىءٍ غيري سيَبلغه	**لا بدّ لا بدّ أن يجتازه دوني**

وصية: بعض أشراط الساعة

وصية تتضمن علامةً باقتراب القيامة: قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ: سئل رسول الله ﷺ عن أشراطِ الساعة، فقال: (إذا رأيتَ الناس قد ضيّعوا الحقَّ، وأماتوا الصلاةَ، وأكثروا القذفَ، واستحلّوا الكذب، وأخذوا الرشّوة، وشيّدوا البنيان، وعظّموا أرباب الأموال، واستعملوا السفهاء، واستحلوا الدماء، فصار الجاهلُ عندهم ظريفاً، والعالمُ ضعيفاً، والظلمُ فخراً، والمساجدُ طرقاً، وتكثرُ الشُّرطُ، وحُلّيَتِ المصاحف، وطوّلَتِ المناراتُ، وخربت القلوب من الدين، وشُربتِ الخمور، وكثرُ الطلاق وموتُ الفجأة، وفشا الفجورُ وقولُ البهتان، وحلفوا بغير الله، وأُتمن الخائن، وخوّن الأمين، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، فعندها قيام الساعة) هذا حديث حسن.

وصية: عند الموت

وصية بالتأهب للموتِ بموعظةٍ في رؤيا، كان أمير المؤمنين المنصور ذات ليلةً نائماً، فانتبه مرعوباً، ثم عاودَ النوم، فانتبه كذلك فزعاً مرعوباً، ثم راجعَ النوم، فانتبه كذلك، فقال يا ربيع، قال الربيع: قلتُ لبيك يا أميرَ المؤمنين، قال: لقد رأيتُ في منامي عجباً، ما رأيتَ - جعلني الله فداءك؟ - قال: رأيتُ كأن آتياً أتاني فهيتم[346] بشيء لم أفهمه، فانتبهتُ فزعاً، ثم عاودت النوم، فعاودني يقول ذلك الشيء، ثم عاودني بقوله حتى فهمته وحفظته وهو:

كأني بهذا القصرِ قد بادَ أهله	**وعُرّي منه أهله ومنازله**
وصار رئيسُ القوم من بعد بهجةٍ	**إلى جَدَثٍ[347] تُبنى عليه جنادله**

وما أحسبُني يا ربيع إلاّ وقد حانت وفاتي، وحَضُرَ أجلي، ومالي غيرُ ربي، قم فاجعلَّ لي غُسلاَ، ففعلتُ، فقام فاغتسل وصلى ركعتين، وقال: أنا عازمٌ على الحج، فهّيء لنا آلة الحج، فخرجَ

وخرجنا حتى انتهى إلى الكوفة ونزل النّجفَ، فأقام أياماً، ثم أمرَ بالرحيل، فتقدمتُ نوابه وجنده، وبقيت أنا وهو بالقصر، وشاكريتُه[348] بالباب، فقال لي: يا ربيع جئني بفحمةٍ من المطبخ، فجئته، فقال لي أُخرجْ وكن مع دابتي إلى أن أخرج، فلما خرج وركب رجعتُ إلى المكان كأني أطلب شيئاً، فوجدته قد كتب على الحائط بالفحمة:

المرءُ يهوى أن يعيش   وطولُ عيشٍ قد يضُرهُ

تفنى لذاذته ويبقى بعد   حُلــو العيــش مُــرهْ

وتصرّفُ الأيامُ حتى   ما يــرى شـيئاً يُسرهْ

كم شامتٍ بي إنْ   هلكـــتُ وقائلٍ لله درُّهْ

وصية: أشرف المواقف

اعتراف عارفٍ في أشرف المواقف: وقف مُطّرفُ وبكر بن عبد الله بعرفةَ، والفضيلُ بن عياضٍ، فقال مطرف: اللهم لا تردّهم اليومَ من أجلي، وقال: بكرٌ ما أشرفه من موقفٍ وأرضاه لأهله لولا أني فيهم، ورفع الفضيلُ رأسه إلى السماء وقد قبض على لحيته، وهو يبكي بكاء الثَّكلى ويقول: واسوأتاه منك وإن عفوت.

وصية: يوم العفو

وصية على الحياء من الله: روينا من طريق الشيخ عبد الرحمن بن الأستاذ عن ابن باكويه الشيرازي، عن أبي الأديان، قال: ما رأيت خائفاً إلاّ رجلاً واحداً، كنتُ بالموقف فرأيتُ شاباً مطرقاً منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص، فقلت: يا هذا إبسطْ يديك بالدعاء، فقال لي: ثَمَّ وحشةٌ، فقلت له: هذا يومُ العفو من الذنوب، فبسط يديه، ففي بسطه وقع ميتاً.

وصية: لقمة بلقمة وسلام من الله

وصية نبوية بالصدقة: قال رسول الله ﷺ: (أتى سائل امرأةً في فمها لقمةٌ، فلفظتها وناولتها إياه، فلم تلبث أن رزقت غلاماً، فلما ترعرعَ جاء ذئبٌ، فاحتمله فخرجتْ تعدو في إثر الذئب، وهي تقول: إبني إبني، فأمر الله مَلَكاً: إلحق الذئبَ فخذِ الصبيَّ من فيه، وقل لأُمه: إن الله يُقرئك السلام وقل: هذه لقمةٌ بلقمة).

وصية: جنان الخلد

وصية برّ بحضور مجالس الذكر: قال عمار بن الراهب: رأيتُ مسكينةَ الطفاوية في منامي بعد موتها، فقلت: مرحباً يا مسكينةُ، مرحباً، فقالت هيهات يا عمارُ هيهات، ذهبت المسكنةُ وجاء الغنى الأكبر، قلت: هَيْهِ، قالت: ما تسألُ عمن أبيحَ له الجنة بحذافيرها، تظلُّ فيها حيث تشاء، قلت: وبم ذاك؟ قالت: بمجالس الذّكر والصبر على الحق، قال عمار: وكانت تحضُر معنا مجلسَ عيسى بن زادان[349] بالأُبلّة[350]، تنحدرُ من البصرة حتى تأتيه قاصدةً، قال عمار: قلت: يا مسكينةُ، فما فعل عيسى بن زاذان رحمه الله؟ قال: فضحكت وقالت:

قد كُسِي حلّةَ البهاء وطافتْ	**بالأباريــق حولــه الخدّامُ**
ثمّ حُلّيْ وقيل: يا قارىءُ إرقا	**فلعمري لقد براك الصيامُ**

وصية: العلماء والأمراء

وصيةٌ ونصيحةٌ كتبتُ بها إلى السلطان الغالب بأمر الله كيكاوس صاحب بلاد الشمال: بلادِ يونان، رحمه الله جوابُ كتاب كتب به إلينا، سنة تسع وستمائة: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل الاهتمام السلطاني الغالب بأمر الله العزيز أدام الله عدل سلطانه إلى والده الداعي له محمدَّ بن العربي، فتعين عليه الجوابُ بالوصيةِ الدينية والنصيحةِ السياسية الإلهية على قدر ما يُعطيه الوقت، ويحتمله الكتاب، إلى أن يُقدّر الاجتماع ويرفع الحجاب، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الدين النصيحة) قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وأنت يا هذا بلا

شك من أئمة المسلمين، وقد قلّدك الله هذا الأمرَ، وأقامك نائباً في بلاده، ومتحكماً بما توفق إليه في عباده، ووضع لك ميزاناً مستقيماً تقيمه فيهم، وأوضح لك محجة بيضاء تمشي عليها، وتدعوهم إليها، على هذا الشرط ولاّك، وعليه بايعناك، فإن عدلت فلك ولهم، وإن جُرت فلهم وعليك، فاحذر أن أراك غداً بين أئمة المسلمين من أخسر الناس أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً، ولا يكون شكرك ـ لما أنعم الله عليك من استواء ملكك ـ بكفران النعم، وإظهار المعاصي، وتسليط النواب السوء بقوة سلطانك على الرعية الضعيفة، فيتحكمون فيها بالجهالةِ والأغراض، وأنت المسؤول عن ذلك، فيا هذا قد أحسن الله إليك وخلعَ خِلعَ النيابة عليك، فأنت نائبٌ لله في خلقه، وظلُّه الممدودُ في أرضه، فأنصفِ المظلومَ من الظالم، ولا يغرنّك أن الله وسّع عليك سلطانك، وسوّى لك البلاد ومهدها، مع إقامتك على المخالفة والجورِ، وتعدي الحدود، فإن ذلك الاتّساعَ مع بقائك على مثلِ هذه الصفات إمهالٌ من الحق لا إهمال، ما بينك وبين أن تقفَ بأعمالك إلاّ بلوغُ الأجل المسمّى، وتصلُ إلى الدار التي سافر إليها أبوك وأجدادُك، ولا تكن من النادمين، فإن الندم في ذلك الوقت غيرُ نافع. يا هذا، ومن أشدّ ما يمرُّ على الإسلام والمسلمين، وقليلٌ ما هم، رفع النواقيس، والتظاهر بالكفر، وإعلاء كلمة الشرك ببلادك، ورفع الشروط التي اشترطها أمير المؤمنين وإمام العالمين عمر بن الخطاب ﷺ، على أهل الذمة من أن لا يُحدثوا في مدينتهم وما حولها كنيسةً، ولا قَلّيّة[351]، ولا صومعة راهب، ولا يجددوا ما خرب منها، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحدٌ من المسلمين ثلاث ليالٍ يطعمونهم، ولا يأووا جاسوساً، ولا يكتُموا غشاً للمسلمين، ولا يُعلموا أولادهم القرآن، ولا يُظهروا شركاً، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إذا أرادوه، وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوسَ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم، في قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا يتسمَّوا بأسماء المسلمين، ولا يتكنَّوا بكُناهم، ولا يركبوا سرجاً، ولا يتقلدوا سيفاً، ولا شيئاً من سلاح، ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمورَ، وأن يجزّوا مقادم رؤوسهم وأن يلزموا زيّهم حيثما كانوا، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم، ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في طريق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس إلاّ ضرباً خفياً، ولا يرفعوا أصواتهم في كنائسهم، بالقراءة من شيء من حضرة المسلمين، ولا يُخرجوا شعانين[352] ولا يرفعوا مع أمواتهم أصواتهم، ولا يُظهروا النيرانَ معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، فإن خالفوا شيئاً مما شُورطوا عليه فلا ذمة لهم، وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق، فهذا كتابُ

الإمام العادل عمر بن الخطاب ﵁، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تبنى كنيسةٌ في الإسلام، ولا يُجدّد ما خَرُبَ منها) فتدبّر كتابي ترشدْ إن شاء الله تعالى ما لزمت العملَ به والسلام، ثم أوقعتُ له بشعرٍ عملتُه في الوقت أخاطبُه به:

إذا أنتَ أعززتَ الهُدى وتبَعتهُ	**فأنتَ لهذا الدين عزٌّ كما تُدعى**
وإن أنتَ لم تحفلْ به وأهنتهُ	**فأنت مذل الدين تخفِضُه وضعا**
فلا تأخذِ الألقابَ زوراً فإنه	**لتُسئل عنها يومَ يجمعُكم جمعا**
يقال لعزّ الدين: أعززتَ دينه؟	**ويُسئل دين الله عن عزّكم قطعا**
فإن شهِد الدين العزيز بعزّكم	**تكن مع دين الله في عِزّة شفعا**
وإن قال دين الله: كنتُ بملكه	**ذليلاً، وأهلي في ميادينه صرعى**
وما زلتُ في سلطانه ذا مهانةٍ	**وفي زعمه بي أنه مُحسنٌ صُنعا**
فما حجة السطانِ إن كان قوله	**كما قلتُ؟ فليسكب لما قلته الدّمعا**
وأدمِن لبابِ الله إن كنت تبتغي	**تجاوزه عن ذنبك الضربَ والقرعا**
عسى جوده يوماً يجودُ بنفحةٍ	**فيبرزُ عفو الله يدفعه دفعا**
فيا ربِّ رفقاً بالجميع فيا لها	**إذا اجتمع الخصمان من وقعةٍ شنعا**
فأنتَ إمامُ المتقين ورأسُهم	**إذا لم تجبرُ الدين الهدى صدعا**
لكم نائب في الأمر أصبح مُلحداً	**وأضحى لأهل الدين يقطعُهم قطعا**
فما لكَ لم تغلبه واسمُك غالبٌ	**وما لكَ لم تعزله إذ أثرَّ النَّقعا**

فيا أيها السلطانُ حقق نصيحتي	**لكم وارعني منكم لما قلتُه سمعا**
فإني لكم واللهِ أنصحُ ناصحٍ	**أذودُ الرّدى عنكم وأمنعُه منعا**
وأجلبُ للسلطانِ من كلّ جانبٍ	**من الدّين والدنيا العوارفَ النّفعا**

والله ينفعني بوصيتي، ويجازيني على نيتي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وحسبُنا الله.

وصية: حِكَمٌ بالغات

من منشور الحكم وميسور الكَلِم، تنسبُ إلى جماعةٍ من العلماء والصالحين: من اكتفى باليسير استغنى عن الكثير، من صحَّ دينه صح يقينه. من استغنى عن الناس أمنَ من عوارض الإفلاس. الدين أقوى عصمةٍ، والأمن أسنى نعمةٍ. الصبر على المصائب من أعظم المواهب. عش ما عشت في ظلّ يقيك، وقوتٍ يكفيك. البخيل حارس نعمةٍ، وخازن ورثةٍ. من لزم الطمعَ عدِم الورع. الحسدُ شرُّ عرض، والطمعُ أضرُّ غرض. الرّضا بالكفاف خيرٌ من السعي للأشراف. أفضل الأعمال ما أعقبَ الأجر، وأنفع الأموال ما أوجبَ الشكرَ، لا تثق بالدّولة فإنها ظلٌّ زائل، ولا تعتمدْ على النعمة فإنها ضيفٌ راحل، ما لكَ إلاّ ما زجَّى[353] يومك وتوفر أجره وثوابه عليك. الكريمُ من كفّ أذاه، والقويُّ من غلب هواه. من ركبَ الهوى أدركَ العمى. من غالبَ الحقّ لانَ، ومن تهاون بالدين هانَ. المومن غرٌّ[354] كريم، والمنافق خَبٌّ[355] لئيم. إذا ذهب الحياءُ يُحلُّ البلاء. كلُّ إنسان طالبٌ أُمنية، ومطلوبٌ لمنيّةٍ. علمٌ لا ينفع كدواءٍ لا ينجع. أحسنُ العلم ما كان مع العمل، وأحسنُ الصمت ما كان عن الخطل[356]. إعص الجاهلَ تسلم، وأطعِ العالم تغنم. من صبر على شهوته بالغ في مروءته.

مَنْ كثُر ابتهاجه بالمواهب اشتدّ انزعاجه للمصائب. من تمسّك بالدين عزّ نصره، ومن استظهر بالحقّ ظهر قهرُه. من استقصر بقاءه وأجله قصّر رجاءه وأمله. لا تبت على غير وصية، وإن كنتَ من جسمك في صحة، ومن عمرُك في فسحة، فإن الدّهر خائنٌ، وما هو كائنٌ كائنٌ. لا تخلِّ نفسك من فكرةٍ تزيدك حكمةً، وتُفيدك عصمة. من جعل ملكه خادماً لدينه انقادَ له كلُّ سلطان، ومن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل إنسان. من سلك سبيلَ الرّشاد بلغ كُنه المراد. من لزمَ العافية

سلم. ومن قبل النصيحة غنم. قلبٌ تأثُّر من صادقٍ مؤثر. حدثنا الزكي أحمد ابن مسعود بن شدادٍ المقري الموصليُّ بالموصل، سنة إحدى وستمائة، وكان ثقةً، قال: حدثنا أبو جعفر بن القاضي، قال: حدثنا يوسف بن أبي القاسم الدِّيار بكري، حدثنا جمالُ الإسلام أبو الحسن عليُّ بن أحمد القرشيُّ الهكاري، حدثنا أبو الحسن الكرخيُّ، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الفضل النهاونديُّ، قال: سمعتُ شيخي محمد بن جعفرٍ الخلديَّ يقول: كنتُ مع الجنيد رحمه الله في طريق الحجاز، حتى صرنا إلى جبل طور سينا، فصعده الجنيدُ وصعدنا معه، فلما وقفنا في الموقف الذي وقف فيه موسى عليه الصلاة والسلام، وقعتْ علينا هيبةُ المكان، وكان قوّالٌ، فأشار إليه الجنيدُ أن يقول شيئاً فقال: (شعراً)

وبدا لهُ من بعدِ ما اندملَ[357] الهوى	**برقٌ تألّقَ موهناً لمعانهُ**
يبدو كحاشيةِ الرِّداء ودُونَه	**صعبُ الذرُّا متمنعاً أركانهُ**
فبدَا لينظرَ كيف لاحَ؟ فلم يُطقْ	**نظراً إليه وصده سبحانه**
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعُه	**والماءُ ما سمحتْ به أجعانهُ**

قال: فتواجدَ الجنيدُ وتواجدنا معه، فلم يدر أحد منا: أفي السماء نحن أم في الأرض، وكان بالقربِ منا ديرٌ فيه راهبٌ، فنادانا: يا أُمةَ محمدٍ، بالله أجيبوني، فلم يلتفت إليه أحد لطيْب الوقت، فنادانا الثانية: بدين الحنيفيةِ إلاّ أجبتموني، فلم يُجبه أحدٌ منا، فنادانا الثالثةَ، بمعبُودِكم ألا أجبتموني، فلم يردّ عليه أحدٌ جواباً، فلما فترنا من السماع وهمَّ الجنيدُ بالنزول، قلنا له: إن الراهب نادانا وأقسمَ علينا، ولم نردّ عليه، فقال الجنيد: إرجعوا بنا إليه، لعل الله أن يهديه إلى الإسلام، فناديناه فنزل إلينا وسلم علينا، أيّما منكم الأستاذ؟ فقال الجنيد: هؤلاء كلهم ساداتٌ وأستاذون، فقال: لا بدّ أن يكون واحدٌ هو أكبرُهم، فأشاروا إلى الجنيد، فقال: أخبرني عن هذا الذي فعلتموه، هل هو مخصوصٌ في دينكم، أو معموم؟ فقال: بل مخصوصٌ، فقال الراهب: لأقوامٍ مخصوصين، أم معمومين؟ فقال: بل لأقوامٍ مخصوصين، فقال: بأي نية تقومون؟ فقال: بنية الرجاء والفرح بالله تعالى، فقال: بأي نيةٍ تسمعون؟ فقال: بنيةِ السماع من الله تعالى، فقال: بأي نية تصيحون؟ فقال: بنية إجابة العبوديةِ للربوبية، لمّا قال الله تعالى للأرواح {**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا**}[358] قال: فما هذا الصوت؟ قال:

نداءٌ أزليٌ، قال: بأي نية تقعدون؟ قال: بنية الخوفِ من الله تعالى، قال: صدقتَ، ثم قال الراهب للجنيد: مُدّ يدك، أنا أشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، وأسلم الراهب وحسُن إسلامه، فقال له الجنيد: بمَ عرفتَ أني صادقٌ؟ قال: لأني قرأت في الإنجيل المُنزلِ على المسيح بن مريم خواصَّ أُمةِ محمد ﷺ: يلبسون الخرقة، ويأكلونَ الكِسرة، ويرضون بالبُلغة، ويقومون في صفاءِ أوقاتهم، بالله يفرحون، وإليه يشتاقون، وفيه يتواجدون، وإليه يرغبون، ومنه يرهبون، فبقي الراهب معنا ثلاثة أيام على الإسلام، ثم مات، رحمه الله تعالى.

وصية: خلال المكارم

سمعتُ محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميميَّ الغاسيَّ العدلَ، بمدينة فاس، أظنُّ في سنةِ أربعٍ وتسعين وخمسمائة يقول: تكلم أربعةٌ من الملوك بأربعِ كلماتٍ، كأنما رُميتْ عن قوسٍ واحدة، قال كسرى: أنا على رَدِّ ما لمْ أقُل أقوى مني على رَدّ ما قلتُ، وقال ملك الهند: إذا تكلمتُ بكلمةٍ ملكتني وإن كنت أملِكُها، وقال قيصر ملك الروم: لا أندمُ على ما لم أقلْ، وقد ندمت على ما قلت، وقال ملك الصين: عاقبةُ ما قد جرى به القول أشدُّ من الندمِ على تركِ القولِ. قال بعض الشعراء:

لعمرك ما شيءٌ علمتُ مكانه	**أحقَّ بسجنٍ من لسان مذلَّلِ**
على فيك مما ليس يعنيك قوله	**بقفلٍ شديدٍ حيثما كنتَ أقفِلِ**

وقالت عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها: خلالُ المكارم عشر، تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في العبد ولا تكون في سيّده: صِدق الحديث، وصِدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، والتذممُ للجار، ومراعاة حقِّ الصاحب، وصلة الرحم، وقِرَى الضيف، وأداء الأمانة، ورأسهن: الحياء، وقال بعضهم: كتمانك سرك يُعقبك السلامة، وإفشاؤك سرك يُعقبك الندامةَ، والصبر على كتمان أيسر من الندم على إفشائه.

وصية: حفظ السّر

وفي الحكمة ما أقبحَ بالإنسان أن يخاف على ما في يده فيخفيه من اللصوص، ويمكّن عدوه من نفسه بإظهاره ما في قلبه من سر نفسه، أو سرِّ أخيه.

جاوَرَ معي بمكة - أظنُّ سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائة - رجلٌ من أهل تونس يقال له: عبد السلام بن السّعدية، وكانت عنده جاريةٌ اشتراها بمصر في الشدة التي وقعت بمصرَ سنة سبعٍ وتسعين وخمسمائة، فقال لها: يا جارية أوصيك بأمرين: حفظ السر، والأمانة، فقالت الجارية: ما تحتاجُ، فإني أعلم أن الشخص إذا كان أمنياً شارك الناس في أموالهم، وإذا كان حافظاً للسر شاركهم في عقولهم، فاستحسن هذا الجواب منها، فسأل عنها فوجدها حُرّة قد بيعت في غلاء مصرَ، فأعتقها وسرّحها، فرجعت إلى أُمها وأخواتها، وقال معاوية: ما أفشيت سرّي إلى أحدٍ إلاّ أعقبني طولَ الندم، وشدّة الأسف، ولا أودعته جوانحَ صدري إلاّ أكسبني مجداً وذكراً وسناءً ورِفعة، فقيل له: ولا عمرو بن العاص فقال: ولا عمرو بن العاص لأن عمرو بن العاص كان صاحبَ رأي معاوية ومشيره ووزيره، وكان يقول: ما كنتَ كاتمه من عدوك فلا تُظهر عليه صديقك، يريد - والله أعلم - معاوية بهذا الكلام. وكان يُنشدنا في أكثر مجالسه أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي أُستاذي في القراءات بقوس الحنية من إشبيلية، رحمه الله يوصينا بذلك:

إحذر عدوّك مرةً	**واحذر صديقك ألف مرهْ**
فلربما هجرَ الصديق	**فـكانَ أعرفَ بالمضرهْ**

وكان عمي أخو والدي يُنشدني كثيراً للشميس:

زمانٌ يمرُّ وعيشٌ يمرُّ	**ودهرٌ يكرُّ بما لا يُسرُّ**
ونفسٌ تذوب وهمٌّ ينوب	**ودنياه تنادي بأن ليسَ حرُّ**

ومن كلام النبوة في الوصية: من كتم سرّه كانت الخيرة في يده، ومن عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن، وضعْ أمرَ أخيك على أحسنه، ولا تظننّ بكلمةٍ خرجت منه سوءاً، وما مكافأة من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيعَ الله عز وجل فيه، وعليك بإخوان الصدقِ، فإنهم زينةٌ عند الرخاء، وعصمة عند البلاء.

وصية: حكاية

حكاية تتضمن وصية في الثقة بالله بالمضمون: حدثني أبو القاسم البجايي بمراكش، عن أبي عبد الله الغزّالِ العارفِ ـ الذي كان بالمريَّة[359] من أقران أبي مدين- وأبي عبد الله الهواري بتنيس، وأبي يعزى، وأبي شعيب السارية، وأبي الفضل اليشكري، وأبي النجاءِ وتلك الطبقة، وقال أبو عبد الله الغزّال: كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس بن العريف الصنهاجيَّ رجلٌ لا يتكلم ولا يسأل، ولا يصحب واحداً من الجماعة، فإذا فرغ الشيخ من الكلام خرج، فلا تراه قط إلاّ في المجلس خاصةً، فوقع في نفسي منه شيءٌ، ووقعت منه عليّ هيبةٌ، وأحببت أن أتعرّف به وأعرف مكانه، فتبعته عشية يومٍ بعد انفصالنا من مجلس الشيخ، من حيث لا يشعر بي، فلما كان في بعض سكك المدينة، إذ بشخصٍ قد انقض عليه من الهواءِ برغيفٍ في يده، فناوله إياه وانصرف، فجذبته من خلفه، فقلت: السلام عليك، فعرفني، فرد علي السلام، فسألته عن ذلك الشخص الذي ناوله الرغيف، فتوقف، فلمّا علم مني أني لا أبرح دون أن يُعرفني، قال لي: هو مَلَك الأرزاق يأتي إليّ من عند الله كلّ يومٍ بما قُدر لي من الرزق حيث كنت من أرض ربي، ولقد لطف الله بي في بدء أمري ودخولي هذا الطريق، كنتُ إذا فرغتْ نفقتي وبقيت بلا شيء، سقط عليّ من الهواء بين يدي قدُر ما أشتري به ما أحتاج إليه من القوتِ، فأَنفق منه، فإذا فرغ جاءني في مثل ذلك من عند الله، لكني ما كنت أرى شخصاً، قال الله تعالى في حق مريم بنتِ عمران **{كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}**[360].

وصية: العطاء عن جودٍ والعطاء عن فقد

حكايةُ حُرمةٍ في سلبِ نعمةٍ: مرّ زياد ابن أبيه بالحيرة، فنظرَ إلى ديرٍ، فقال لخادمه: لمن هذا؟ قال: دير حرقةَ بنتِ النعمان بن المنذر، فقال، ميلوا بنا إليه لنسمع كلامها، فجاءت فوقفتْ خلفَ الباب، فكلمها الخادم فقال لها: كلمي الأمير، قالت: أُوجز أو أطيل؟ قال: بل أوجزي، قالت: كنا أهلَ بيتٍ طلعتِ الشمس علينا، وما على الأرض أحدٌ أعزّ منا، فما غربتْ تلك الشمس حتى رحمنا عدوُّنا، قال فأمرَ لها بأوساق من شعير، فقالت: أطعمتك يدٌ شبعاءُ جاعتْ، ولا أطعمتك يدٌ جوعاء شبعتْ، فسُرَّ زيادٌ بكلامها، فقال لشاعرٍ معه قيّد هذا الكلام، لا يُدرس، يعني: انظمه، فقال:

سلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قدماً ولا تسلْ فتىّ ذاقَ طعمَ الخيرِ مُنذ قريبِ

ونظمنا نحن في هذا المعنى:

سلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ إن كنتَ سائلاً ولا تسألِ المعروف من مُحدثِ المالِ

وإن اليدَ الجوعاء تبخل بالذي أصابته من خيرٍ على الكاسفِ البالي

فإن غلِطتْ جادت، وتمنُن بالذي تجود به يوماً على التِرب[361] الحالي

وإن اليدَ الشبعاءَ جادت بما تُجد على طيْبِ نفسٍ في سرورٍ وإقبالِ

وفي الحكمة ثواب الجود خلفٌ ومحبةٌ ومكافأة، وثواب البخل حرمانٌ وإتلافٌ ومذمةٌ، وكتب حكيمٌ إلى الإسكندر: اعلم أنّ الأيام تأتي على كلّ شيءٍ فتخلفه، وتميت الأفعال إلاّ ما رسخ في قلوب الناس، فأودْع قلوبهم محبةً أبديةً يبقى بها حسن ذكرك، وكريم فعالك، وشرف آثارك. ولقد وقد علينا باشبيلية شيخٌ شاعرٌ يُعرف بالسبتي من قرطبة رحمه الله، ولم يكن للسبتي موضعٌ ينزل فيه، فكتب إلى صاحب الديوان أبي عبد الله بن كعب:

أتحفل بالفرزدقِ والكميتِ وفي قيد الحيا شعر السُّبيتي؟

يروّعني بشعرهما أناسٌ وجهلاً رَوّعوا حيّاً بميتِ

لئن أسكنتني بيتاً رفيعاً لتسكن من ثنائي ألف بيتِ

فوقع له صاحب الديوان ببيتٍ نزل فيه، واعتذر إليه ووصله بنفقة.

قيل لبرزجمهر حينما قُدّم للقتل: تكلم بكلام تُذكر به، فقال: أيَّ شيء أقول؟ إن الكلام كثيرٌ ولكن إن أمكنك أن تكونَ حديثاً حسناً فافعل، ولنا:

إنما الناس كلامٌ بعدهم[362] فلتكن خيرَ حديثٍ يُسمع

خاتمة الباب:

ختامها مسك أذكار المسلم في أحواله وتقلباته، ما يقول: عند الكرب، عند دخول المسجد، عند الخلاء، عند الجماع، عند الطعام، عند العطاس، عند النوم، عند اليقظة من النوم، في النوم الموت ولقاء الله، عند الصباح، عند المساء، عند مفارقة المجالس...

وهو خاتمة الكتاب[363]. تعويذات مذكورة، وأدعية مشهورة. فمن ذلك ما يقال عند الكرب (لا إله إلاّ الله العظيم الحليم، لا إله إلاّ الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلاّ الله ربُّ السموات السبع والأرضِ ربُّ العرش الكريم) ويُقال عند دخول المسجد (اللهم افتح لنا أبوابَ رحمتك) ويُقال عند الخروج منه (اللهم إنا نسألك من فضلك) ويُقال عند دخول الخلاء (اللهم إني أعوذ بك من الخبيث والخبائث) وقد روينا أيضاً أنه يُقال (أعوذ بالله من الخبيثِ المخبث، والرَّجسِ والنَّجس الشيطانِ الرجيم) ويُقال عند الخروج من الخلاء (غفرانك) ويُقال عند الجماع (اللهم جنّبنا الشيطانَ، وجنّب الشيطان ما رزقتنا) ويُقال عند انقضاء الطعام (الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، غير مكفى[364] ولا مودّعٍ[365] ولا مستغنىّ عنه ربَّنا) ويُقال عند العطاس (الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، مباركاً عليه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى) ويُقال عند النوم إذا أخذ الإنسان مضجعه (اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبةً منك، ورغبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلاّ إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلتَ، اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت، سبحانك ربي، بك وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين). ويُقال عند الإستيقاظ من النوم (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) وإذا أردتَ النوم فانوِ أن تلقى ربك، ولتحبّ النوم لكون لقاء ربك فيه، كما تحبُّ الموت فإن فيه لقاء ربك، فإنه من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه، و **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً}**[366] فالنوم موتٌ أصغر، والذي ينتقل إليه بعد الموت هو الذي ينتقل إليه في النوم، واحدة، وهي: البرزخُ، والصورة واحدة، واليقظة مثل البعث يوم القيامة، وإنما جعل الله النوم في الدنيا لأهلها، وما نرى فيه من الرؤيا، وجَعل بعده اليقظة، كلُّ ذلك ضربُ مثالٍ للموت وما يشاهد فيه من الرؤيا والبعث لليقظة، فالقيام من المضاجع كالبعث من القبور سواء.

ويُقال عند الصباح (أصبحنا وأصبح الملك لله وحده، والحمد لله وحده، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده) ويُقال عند المساء (أمسينا وأمسى الملك لله وحده، والحمد لله وحده، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خيرَ هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شرها وشر ما بعدها) ويُقال عند القيام من كل مجلس (سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك) ويُقال عند خاتمة المجالس اللَّهُمَّ أسمعنا خيراً وأطعمنا[367] خيراً، ورزقنا الله العافية وأدامها لنا، وجمع الله قلوبنا على التقوى، ووفّقنا لما يحب ويرضى **{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}**[368].

هذا الدعاء سمعته من رسول الله ﷺ في المنام يدعو به بعد فراغ القارئ عليه من كتاب صحيح البخاري، وذلك سنةَ تسعٍ وتسعين وخمسمائة بمكة، بين باب الجزورة وباب أجياد، وكان يقرؤه الرجلُ الصالح محمد بن خالد الصدفي التلمساني، وهو الذي كان يقرأ عليَّ كتابَ الإحياء لأبي حامد الغزالي، وسألت رسول الله ﷺ في تلك الرؤيا عن المطلقة بالثلاث في لفظ واحد، وهو أن يقول لها: أنتِ طالقٌ ثلاثاً، فقال لي ﷺ: (هي ثلاثٌ كما قال، فلا تحل له حتى تنكحَ زوجاً غيره) فكنت أقول: يا رسول الله، يا رسول الله، إن قوماً من أهل العلم يجعلون ذلك طلقة واحدة، فقال ﷺ: (هؤلاء حكموا بما وصل إليهم، وأصابوا) ففهمت من هذا تقريرَ حكم: كلٌ مجتهد وأن كل مجتهد مصيبٌ، فكنت أقول له: يا رسول الله، فما أُريد في هذه المسألة إلاّ ما تحكم به أنت إذا استُفتيت، وما لو وقعَ منك ما كنت تصنع؟ فقال: (هي ثلاثٌ كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره) فرأيت شخصاً قد قام من آخر الناس ورفع صوته، وقال بسوء أدب يخاطب رسول الله ﷺ، يقول له: يا هذا (بهذا اللفظ) لا نحكّمُك بإمضاء الثلاث، ولا بتصويبك حكم أولئك الذين ردوها إلى واحدة - فاحمرَّ وجه رسول الله ﷺ غضباً على ذلك المتكلم - ورفع صوته يصيح (هي ثلاث كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، أتستحلّون الفروج)؟

فما زال رسول الله ﷺ يصيح بهذه الكلمات حتى أسمعَ من كان في الطواف من الناس، وذلك المتكلم يذوب ويضمحل حتى ما بقي منه على الأرض شيء، فكنت أسأل عنه، مَن هو هذا الذي أغضب رسول الله ﷺ؟ فيُقال لي: هو إبليس لعنه الله، واستيقظت، وكنت أراه ﷺ في تلك السنة في

النوم أيضاً، فكنت أقول له: يا رسول الله إن يقول كتابه العزيز: **{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}**[369] والقرءُ عند العرب: من الأضداد، يُطْلقونه ويريدون به الحيض، ويطلقونه ويريدون به الطهر، وأنت أعرفُ بما أنزلَ الله عليك، فما أراد الله به هنا: الحيضَ أو الطهر؟ فكان رسول الله ﷺ يقول لي في الجواب عن ذلك (إذا فَرغَ قُرؤها فأفْرِغوا عليها الماء، وكلوا مما رَزَقكم الله) فكنتُ أقولُ: يا رسول الله فإذا هو الحيضُ، يا رسول الله، فيقول لي (إذا فرغ قُرؤها فأفرغوا عليها الماء، وكلوا مما رزقكم الله) ثلاثَ مرات واستيقظتُ.

ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله من الدعاء: (اللهم اغفر لي خطايايَ، وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مني، اللهم اغفرْ لي جِدّي وهزلي وخطئي وعمدي، وكلَّ ذلك عندي، اللهم اغفرْ لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنت، وما أنتَ أعلمُ به مني، أنتَ المُقَدّم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير، اللهم أصلحْ لي ديني الذي هو عِصمة أمري، وأصلحْ لي دنيايَ التي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرتي التي إليها معادي واجعل الحياة زيادةً لي في كلِّ خير، واجعل الموت راحةً لي من كلِّ شرٍ، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفافَ والغنى، ومن العمل ما ترضى، اللهم آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنت خيرُ من زكّاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللهم إني أعوذُ بك من فتنةِ القبرِ وعذاب النار، ومن فتنة النار، وعذاب القبر، ومن شرِّ الغِنى، ومن شرِّ فتنة الفقر، وأعوذ بكَ من فتنة المسيح الدجال، اللهم أعوذ بك من العجْز والكسل، والجُبن والفزع، والهرم والبخل وأرذلِ العمر، ومن فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء وشماتة الأعداء، ودَرْك الشقاء، اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزَن، وضَلَع الدّين[370]، وغلبة الرجال.

اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقِلة والمذلة، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك، ومن جميع سخطك، اللهم إني أعوذ بك من الشِّقاق والنفاق، ومن سوء الأخلاق، اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئستِ البطانة.

اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيِّيء الأسقام، اللهم إني أعوذ بك من شرِّ القرين ما ظهر منه وما بطن، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، اللهم إن أعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لا إله إلاّ أنت أستغفرك اللهم ربنا وأتوب إليك، اللهم كلُّ ما سألتك فيه ومنه فإني أسألك ذلك كلَّه لي ولوالديّ، ولرحمي، وأهلي،

وقرابتي وجيراني، ومن حضرني من المسلمين، ومن عرفني، أو سمع فذكرني[371]، أو لم يعرفني ولوالديهم وأبنائهم، وإخوانهم، وأزواجهم، وعشيرتهم، وذوي رحمهم، وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، ومن ظنّ بي خيراً، أو لم يظنّ بي خيراً، إنك واهب الخيرات ودافع المضرات، وأنت على كلِّ شيء قدير، اللهم إني تصدقتُ بعِرضي ومالي وديني[372] على عبادك، فلا أطالبُهم بشيء من ذلك لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأنت الشاهدُ عليَّ بذلك، وصلِّ وسلم على محمد، وعلى آل محمّد، وبارك على محمّد، وعلى آل محمّد كما صليتَ وسلمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلفُ الميعاد، واجزه عنا وعن أُمته خيراً، فلقد بلّغ ونصح، وبذل جُهده في ذلك ما قصّر، ﷺ، ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً، وارزق أهله من الثمرات.

ربنا تقبلْ منّا إنك أنت السميع العليم، وتبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا واجعلنا مسلمَين لك ومن ذريتنا أُمةً مسلمة لك، وأرنا مناسكنا، ربنا وابعث فينا وارث رسولك منا، يتلو علينا آياتك، ويعلمنا الكتاب والحكمة يزكينا إنك أنت العزيز الحكيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار، ربنا أفرغ علينا صبراً وثبتْ أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، غفرانك ربنا وإليك المصير، ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحْمِل علينا إصراً كما حملتَه على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمَّلنا ما لا طاقةَ لنا به، واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدُنك رحمةً إنك أنت الوهاب، ربنا إنك جامعُ الناس ليوم لا ريبَ فيه، إن الله لا يُخلف الميعاد، ربنا ما وعدتنا بيسرٍ منك، في عافية، حسُبنا الله ونعم الوكيل، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقِنا عذابَ النار، ربنا إنك من تدخل النار أخزيته وما للظالمين من أنصار، فلا تجعلْنا منهم، ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا وصدّقنا وسمعنا وأطعنا بتوفيقِك، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنَّا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رُسلك ولا تُخْزنا يوم القيامة إنك لا تُخلف الميعاد، ربنا ظلمنا أنفُسنا وإن لم تغفر لنا وترحمْنا لنكونن من الخاسرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعلْ في قلوبنا غلَّا للذين آمنوا، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أنت وليُّنا فاغفرْ لنا وارحمنا وأنت خيرُ الغافرين، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنّا هُدْنا إليك، ربنا آمنّا بما أنزلت، واتبّعنا الرسول بالإيمان بما جاء به فاكتبنا مع الشاهدين.

ربّ اجعلْ هذا البلد آمناً، واجنُبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام، ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعلْ أفئدةً من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، الحمد لله. ربّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي، ربنا وتقبلْ دعاءنا، ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يومَ يقومُ الحساب، ربِّ ارحمْ والديّ كما ربياني صغيراً، رب إني وهن العظمُ مني، واشتعل الرأس شيباً، ولم أكن بدعائك ربِّ شقياً، ربِّ مسّني الضُّرُّ وأنت أرحم الراحمين، لا إله إلاّ أنتَ سبحانك، إني كنت من الظالمين، ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، ربِّ إني دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً، ربِّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً، وللمؤمنين والمؤمنات، اللهم خذ بأزمّة قلوبنا إليك، واجعلنا ممن توكلّ واعتمدَ في جميع أُموره عليك، وعمّنا بالرحمة التي لديك وفي يديك، واجعلنا مَهديين، غير ضالِّين ولا مضلين).

انتهى الباب[373]. بانتهاء الكتاب[374]. على أمكن ما يكون من الإيجاز والإختصار.

قال الشيخ: وهذا هو الأصل بخطي، فإني لا أعمل لتصنيف من تصانيفي مسودة أصلاً، وكان الفراغ من هذا الباب في شهر صفرَ سنةَ تسعٍ وستين وستمائة، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين آمين.

الحمد لله الذي قال في كتابه المنزلِ على نبيه المرسل {**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ**}[375]، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد الذي بلَّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصحَ الأُمة، وجاهد في الله حق جهاده، وبلّغ من الكمال منتهاه، وعلى آله وأصحابه المتأدبين بآدابه، المتمسكين بسنته، المقتدين بهداه، وعلى كلِّ سالك مسلكهم، وناهج منهجهم في ابتغاء مرضاة مولاه، وبعدُ فقد تم بعون الله وحسن توفيقه طبع آخر أبواب الفتوحات المكية، المحتوي على وصايا إلهية ونبوية، ونصائح حكَمية، ومواعظَ مؤثّرة مَرْضية، لمنبع الفيوضات الربانية والمعارف الصمدانية، صاحب الأحوال والمقامات العلية، والكشوفات الظاهرة الجلية، الشيخ الأكبر المربي، محي الملة والدين ابن عربي، قدس سره وأفيض بره.

خاتمة

(وفي ختام هذا الباب الذي هو آخر أبواب الكتاب نثبت للقراء الكرام عقيدة المؤلف العارف بالله تعالى، الشيخ محي الدين ابن عربي رضي الله تعالى عنه، التي ذكرها في الجزء الأول من كتابه ـ الفتوحات المكية ـ صحيفة36. طبع دار الكتب العربية الكبرى نذكرها للقارئ بالحرف).

(فيا إخوتي ويا أحبائي رضي الله عنكم، أشْهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى، في كل لحظة وطرفة، وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه، أشهدكم على نفسه، بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته، ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولاً وعقداً أن الله تعالى إله واحد، لا ثاني له في ألوهيته، منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، ملك لا وزير له، صانع لا مدير معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجود يوجده، بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده، فالعالم كله موجود به، وهو وحده متصف بالوجود لنفسه، لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه، بل وجود مطلق غير مقيد، قائم بنفسه، ليس بجوهر متحيز فيقدَر له المكان، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء، مقدس عن الجهات والأقطار، مرئي بالقلوب والأبصار إذا شاء، استوى على عرشه كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما سواه به استوى، وله الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول، ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان، ولا يُقِلُّه مكان، بل كان ولا مكان، وهو على ما عليه كان، خلق المتمكن والمكان، وأنشأ الزمان، وقال: أنا الواحد الحيُّ لا يؤوده[376] حفظ المخلوقات، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات، تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها، أو تكون بعده أو يكون قبلها، بل يُقال: كان ولا شيء معه، فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه، فهو القيوم الذي لا ينام، والقهار الذي لا يرام، ليس كمثله شيء، خلق العرش وجعله حدَّ الاستواء، وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرضَ

والسموات العلى، اخترع اللوحَ والقلمَ الأعلى، وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء، أبدع العالم كله على غير مثال سبق، وخلق الخلق، وأخلق الذي خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء، وسخر لنا ما في السموات وما الأرض جميعاً منه، فلا تتحرك ذرة إلاّ إليه وعنه، خلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه، لكن علمه سبق بأن يخلق ما خلق.

فهو الأول والآخر، والظاهر، والباطن، وهو على كل شيء قديرٌ، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كلَّ شيءٍ عدداً، يعلم السرّ وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه؟ **{أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}**[377] علم الأشياء منها قبل وجودها ثم أوجدها على حدّ ما علمها فلم يزل عالماً بالأشياء، لم يتجدد له علمٌ عند تجدد الإنشاء بعلمه، أتقن الأشياء وأحكمها، وبه حكم عليها من شاء وحكمها، علم الكليات على الإطلاق، كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر الصحيح واتفاقٍ، فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون، فعّال لما يريد، فهو المريدُ الكائنات في عالم الأرض والسموات، لم تتعلق قدرته بشيء حتى أراده، كما أنه لم يرده حتى علمه، إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم، أو يفعلَك المختارُ المتمكنُ من ترك ذلك الفعل ما لا يريد، كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي، كما يستحيل أن تقوم الصفاتُ بغير ذاتٍ موصوفةٍ بها، فما في الوجود طاعةٌ ولا عصيان، ولا ربحٍ ولا خسران، ولا عبدٌ ولا حر، ولا برد ولا حرٌّ، ولا حياة ولا موتٌ، ولا حصولٌ ولا فوت، ولا نهار ولا ليلٌ، ولا اعتدالٌ ولا ميلٌ، ولا بر ولا بحر، ولا شَفع ولا وتِر، ولا جوهر ولا عرَض، ولا صحة ولا مرض ولا فرح ولا ترَح، ولا روح ولا شبح، ولا ظلامٌ ولا ضياء، ولا أرضٌ ولا سماء، ولا تركيبٌ ولا تحليل، ولا كثيرٌ ولا قليل، ولا غداةٌ ولا أصيل، ولا بياضٌ ولا سواد، ولا رقادٌ ولا سهاد، ولا ظاهرٌ ولا باطن، ولا متحركٌ ولا ساكن، ولا يابسٌ ولا رطب، ولا قِشر ولا لب، ولا شيء من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات منها والمتماثلات إلاّ وهو مرادٌ للحق تعالى، وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده؟ فكيف يوجدُ المختارُ ما لا يريد؟ لا رادَّ لأمره، ولا مُعقَّب لحكمه، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعزُّ من يشاء، ويذل من يشاء، ويُضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ما يشاء كان، وما لم يشأ أن يكون لم يكن، لو اجتمع الخلائقُ كلهم على أن يريدوا شيئاً لم يرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه، أو يفعلوا شيئاً لم يرد الله تعالى إيجاده، وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه ولا استطاعوا على ذلك، ولا أقدرهم عليه، فالكفر والإيمان، والطاعةُ والعصيان من مشيئته وحُكمه

وإرادته، ولم يزل سبحانه موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً - والعالَم معدوم غيرُ موجود - وإن كان ثابتاً في العلم في عينه، ثم أوجد العالَم من غير تفكرٍ ولا تدبرٍ عن جهل أو عدم علم، فيعطيه التفكرُ والتدبُر علم ما جهل، جلّ وعلا عن ذلك، بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه، من زمان ومكان وأكوانٍ وألوان، فلا مريدَ في الوجود على الحقيقة سواه، إذ هو القائلُ سبحانه **{وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** 203. وإنه سبحانه كما علِم فأحكم وأرادَ فخصّص. وقدّر فأوجد، كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن، أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى، لا يحجُب سمعه البعدُ فهو القريب، ولا يحجُب بصره القربُ فهو البعيد، يسمع كلام النّفس في النفس، وصوتَ المماسّة الخفية عند اللمس، ويرى السواد في الظلمة، والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاجُ، ولا الظلماتُ ولا النور، وهو السميع البصير، تكلم سبحانه لا عن صمتٍ متقدم، ولا سكوتٍ متوهم، بكلام قديم أزلي كسائر صفاته، من علمه وإرادته وقدرته كلَّم به موسى عليه السلام. سماه التنزيلَ، والزبورَ والتواراة والإنجيلَ، من غير حروف ولا أصواتٍ ولا نغم ولا لغات، بل هو خالقُ الأصوات والحروف واللغاتِ، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسانٍ، كما أنَّ سمعه من غير أصْمخة ولا آذان، كما أن بصره من غير حدَقة ولا أجفان، كما أن إرادته في غير قلب ولا جنان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظرٍ في برهان، كما أن حياته من غير بخارٍ تجويف قلبٍ حدث عن امتزاج الأركان كما أن ذاته لا تقبل الزيادةَ والنقصان، فسبحانه سبحانه من بعيدٍ دانٍ عظيم السلطان، عميم الإحسان، جسيم الإمتنان، كلُّ ما سواه فهو عن جوده فائض، وفضلهُ وعدلهُ الباسط له والقابض، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه، لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه في ملكه إن أنعمَ فذلك فضله، وإن أبلى فعذَّب فذلك عدله، لم يتصرف في ملك غيره فينسبَ إلى الجور والحيف، ولا يتوجه عليه لسواه حكمٌ فيتصف بالجزع لذلك والخوف، كلُّ ما سواه تحت سلطان قهره، ومتصرف عن إرادته وأمره، فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء، والآخذُ بها من شاء، هنا وفي يوم النشور، لا يحكمُ عدلهُ في فضله ولا فضله في عدله، أخرج العالم قبضتين، وأوجد لهم منزلتين، فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي، ولم يعترض عليه معترض هناك، إذ لا موجود كان ثَمَّ سواه، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضة تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت أسماء آلائه، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان، أو شقياً لما كان من ذلك في شان، لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم، وقد قال تعالى في

الصلاة: هي خمس وهي خمسون، ما يُبدل القولُ لديَّ وما أنا بظلام للعبيد، لتصرُّفي في ملكي، وإنفاذ مشيئتي في مُلكي، وذلك لحقيقةٍ عميَت عنها الأبصارُ والبصائر، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر، إلاّ بوهب إلهي، وجود رحماني، لمن اعتنى الله به من عباده، وسبق له ذلك بحضرة إشهاده، فعلم حين أَعْلم أن الألوهة أعطت هذا التقسيم، وأنه من رقائق القديم، فسبحان من لا فاعل سواه، ولا موجود لنفسه إلاّ إياه **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}**[378] و**{لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}**[379] **{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}**[380].

الشهادة الثانية: وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيده، فكذلك أُشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه واختاره، واجتباه من وجوده، ذلك سيدنا محمد ﷺ، الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ ﷺ ما أنزل من ربه إليه، وأدى أمانته، ونصح أُمته، ووقف في حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه، فخطب وذكر، وخوّف وحذَّر، وبشر وأنذر، ووعد وأوعد، وأمطرَ وأرعد، وما خص بذلك التذكير أحداً من أحد، عن إذن الواحد الصمد، ثم قال: (ألا هل بلغت) فقالوا: بلغت يا رسول الله، فقال ﷺ (اللهم فاشهد) وإني مؤمن بكل ما جاء به ﷺ مما علمت وما لم أعلم، فمما جاء به: فقرر أن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر، فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك، كما آمنت وأقررت أن سؤال فتّاني القبر حق وعذاب القبر حق، وبعث الأجساد من القبور حق، والعرض على الله تعالى حق، والحوض حق، والميزان حق، وتطاير الصحف حقٌ، والصراط حق، والجنة حق، والنار حق، وفريقاً في الجنة وفريقاً في النار حق، وكرب ذلك اليوم حق على طائفةٍ، وطائفةٌ أُخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر، وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين، وإخراجَ أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم، ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق، والتأبيد للمؤمنين الموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق، والتأبيد لأهل النار في النار حق، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله عُلِمَ أو جُهِلَ حق.

فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كلِّ من وصلت إليه أن يؤديها إذا سئلها حيثما كان نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان، وثبتنا عليه عند الانتقال من هذا الدار إلى الحيوان، وأحلَّنا منها دار الكرامة والرِّضوان، وحال بيننا وبين دارٍ سَرابيلها من القَطِران، وجعلنا من العِصابة التي أخذت الكتبَ بالإيمان، وممن انقلب من الحوض وهو ريَّان، وثقل له الميزان، وثبتت له على الصراط القدمان،

إنه المُنعم المحسان، فالحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق) اهـ.

ملحق مختصر في بيان أدب المريد مع شيخه، وعمله على عدم تغير قلب شيخه عليه ـ من كتاب النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية. تأليف العالم الأُستاذ الشيخ مصطفى بن إسماعيل حبش المدني رضي الله تعالى عنه.

قال القطب العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في النفحات القدسية ما نصه: اعلم رحمك الله تعالى أن أحداً لم يبلغ قطُّ إلى حالة شرِيفة إلاّ بملاقاة المشايخ، ومعانقة الأدب معهم، وملازمة خدمتهم وذلك لأَن طريق غيب غير محسوسة، فلا يُسلك فيها إلاّ بالقلوب وانقيادها لمربيها، وقد ذكر الشيخ محي الدين رضي الله تعالى عنه في باب أسرار القوم من الفتوحات المكية أن المريد إذا صدق مع شيخه كان كلٌّ منهما تلميذاً لصاحبه من وجه، وشيخاً من وجه.

لأَن ما فُتح به على الشيخ إنما كان ببركة صدق المريد، وكلُّ ما جاء للعبد بواسطة فتلك الواسطة بمرتبة الشياخة.

قال الشيخ الأكبر قُدس سره الأنور: وللشيخ ـ إذا مات المريدُ دون وصوله إلى المقام الذي كان عليه ـ أن ينزل إلى مرتبة المريد ويعمل عليه حتى يصل، فإذا وصل خلع ذلك على المريد في قبره فيكمله بذلك ويُبعث كاملاً انتهى. ثم قال الشعراني: ومن صحب الأكابر على غير طريق الاحترام حُرم فوائدهم وبركات نظرهم، ثم لا يظهر عليه قطٌّ من آثارهم شيء ولو تكلف هو ذلك، فإن أفعاله تكذبه.

وفي كلام سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه أنه ما لم يكن المريد يعتقد في شيخه كلَّ الاعتقاد لا ينتفعُ به. وكان الإمام أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه يقول: من حُرم احترامَ الشيوخ ابتلاه الله تعالى بالمقت بين العباد، وفي رواية: كلُّ مريد جلس مع شيخه على غير الأدب نزع الله تعالى منه نور الإيمان. وكان أبو تراب النخشبيُّ رضي الله تعالى عنه يقول: إذا أَلِف القلبُ الإعراض عن الله تعالى صحِبته الوقيعة في أولياء الله تعالى. وكان الإمام أبو القاسم القشيري يقول: لو لم يكن للمريد من معرفة مقام الأدب مع الشيخ إلاّ قولُ موسى عليه السلام للخضر {هلْ أتّبعك

على أن تعلمنِ ممّا علمتَ رُشداً}؟ لكان في ذلك كفاية، فإن موسى لما أرادَ صحبة الخضر حفَظ شرط الأدب، فاستأذن أولاً في الصحبة، ثم شرط عليه الخضرُ أن لا يعارضه في شيء ولا يعترض عليه في حكمه، ثم لمّا خالفه موسى تجاوز عنه المرة الأولى والثانية، فلما صار إلى الثالثة التي هي آخر حدّ القلة، وأول حدّ الكثرة سئِمه فقال: {هذا فراقٌ بيني وبينك}. وكان أبو علي الدقاق يقول: من خالف شيخه في شيء خرج عن طريقه وانقطَعت الوصلة بينه وبينه ولو جمعتهما البقعة. وكان يقول: من صحب شيخاً من الشيوخ، ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة. على أن الشيوخ قالوا: عقوق الأستاذين لا توبة عنه. أي تكاد ألا تقبل لشدة قبحه. وكان أبو سهل الصعلوك يقول: من قال لأستاذه: لمَ لم يفلح. وكان بعضُ الأشياخ له مجلس في القرآن فأبدله بمجلس قوّال، ودام على ذلك، فقال مريدٌ بقلبه: كيف ترك تفسير القرآن وأبدله بكلام البشر؟ فناداه الشيخ: يا فلانْ: من قال لشيخه: لِمَ لم يفلح، فقال المريد: التوبة.

قلت: ويجاب عن أبي سهل بأنه عدل عن القرآن لعدم وجود الداعية إلى سماعه في ذلك الوقت فلذلك تنزل إلى سماع كلام الخلق إجلالاً لكلام الحق تبارك وتعالى والله أعلم، وكان أبو جعفر الخلدي يقول: من لم يحفظ قلوب المشايخ سلّط الله عليه الكلاب التي تؤذيه. وزار أبا يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه مرة سيدي شقيقٌ البلخي وأبو تراب النخشبي رضي الله تعالى عنهما، فقدّم إليهما السفرة، فقالا لخادمه: كُلْ معنا يا فتى، فقال: أنا صائم، فقال له سيدي أبو تراب: كلْ ولك أجر شهر فأبى، فقال له سيدي شقيق: كل ولك أجرُ صوم سنة، فأبى فقال سيدي أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله تعالى، فسرق ذلك الشاب بعد ذلك فقُطعت يده وسمعت الشيخ الصالح تقي الدين الأشمري يقول كلّ مريد لا يرى خطأ شيخه أحسن من صوابه هو لم ينتفع به، وكان سيدي سهل يقول: كان رجلاً مشهوراً بالولاية بالبصرة، وكان خبازاً فمضى إليه شخص من أصحابي فسافر إليه فوجده مستنقباً خوفاً من شرار النار، فقال في نفسه: لو كان هذا ولياً لله تعالى ما أحرقه شرار النار، فقال له الشيخ: يا ولدي إنك استصغرتني وما بقيت تنتفع بكلامي، وإلا كنت أفدتك فوائد. فرجع إلى سهل فذكر له القصة، فقال: ما استصغر أحدٌ فقيراً إلاّ حرم فوائده، إرجع إليه بالحرمة، فرجع إليه فانتفع بزيارته. وكان الأشياخ كلهم يقولون: جميع ما حلّ بالحلاج إنما كان من دعوى عمرو بن عثمان المكي عليه.

وكان أبو علي الدقاق يقول: لما نفى أهل بلخ محمدَ بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال: اللهم امنعهم الصدق في أحوالهم، فلم يخرج من بلخ بعده صادق، مع أنها كانت أكثر بلاد الله تعالى

صدقية. وكان أحمد بن يحيى الأبيوردي يقول: تغيُّر خاطر الشيخ على المريد يلحقه عقوبة ولو بعد موت الشيخ.

وكان الشيخ داود بن باخلا شيخ سيدي محمد وفا يقول: لا يصح من مريد أن يجازي أستاذه أبداً ما استفاده منه لا يقابل بالأعواض.

وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول: إياكم والاعتراضَ على الأشياخ، واصبروا تحت جفائهم لكم. وما قال شيخ لمريد قطُّ جاء يطلب الطريق: قف ساعة إلاّ لما رآه من قلة أدب المريد، ولو رأى عنده أدباً لبادر لأخذ العهد عليه، فإن المريد لو أتى الشيخ بهمة وهي متوقدة لم يجز له أن يقول له: قف ساعة، لأنه يطفىء نار عزمه.

وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يقول للمريد: يا ولدي ألق حبلك وأسبابك وكلَّ ما اعتمدت عليه من معمولاتك ومعلوماتك بين يدي شيخك، حتى يلقمها حمكه وحكمته، فلا يبقى لك عمدة إلاّ على حقه، ولا تتوصل إلى خير إلاّ بصدقه ليسري بك إلى حضرة ربك في حالة محو نفسك ليلاً، ويخرجك من مواطي تحكّم العدو إلى مقامات حكم المولى، وهناك لا تزلزلك الزلازل وإن اشتدت.

وكان يقول ملازمة الأُستاذ أفضل من سفر المريد إلى مكة، لأَن الأُستاذ إنما وُضع لترقية المريد إلى معرفة رب البيت قبل البيت، وكيف للمريد الاشتغال عن بيت وضعه الحق لنفسه ببيت وُضع للناس؟ فإن قلب الأُستاذ هو حضرة الحق التي احتوت على جملة أرواح أئمة الهدى، فإن الشيخ وارث علوم الأنبياء. وكان يقول: إياك أن تقيس حال أُستاذك على حالك فتهلك، لأَن الشيخ في أمان الله عز وجل، وإنما يبكي ويتضرع لأجل أتباعه: إما ليعلمهم كيف يعملون، وإما أنها شفاعة غيبية فيهم.

وكان يقول: من وجد من شيخه حرجاً ومشقة وجب عليه الرضا، فإن لم يقدر فالصبر، ويسأل كشف الحجب عنه حتى يطلعه الله على مراد شيخه له، فإنه إذا اطّلع عليه ذهب الضيق والحرج وبادر هو إلى ذلك الأمر. وكان يقول: ما دام معلمك يولّد عندك المعلومات بالتعليم فهو أبوك، فإذا تحققت روحُك بنوره وصار علمه يتجلى فيك بمعلومات بديهية فهو سيّدك، وإنما يوحي إليك حينئذ ربُّك في حجاب قلب شيخك فاعرف تغنم ا هـ.

الفهرس

Notes

[1←]
سورة الشورى: الآية 13.

[2←]
سورة غافر: الآيتان 59 - 60.

[3←]
سورة هود: الآية 114.

[4←]
سورة الواقعة: الآية 61.

[5←]
سورة الزمر: الآية 53 - 54.

[6←]
سورة المائدة: الآية 118.

[7←]
سورة البقرة: الآية 152.

[8←]
سورة الأحزاب: الآية 35.

[9←]
سورة ق: الآية 16.

[10←]
سورة يونس: الآية 26.

[11←]
سورة الإنفطار: الآية 10.

[12←]
سورة الإنعام: الآية 160.

[13←]
سورة الزمر: الآية 3.

[14←]
سورة التوبة: الآية 114.

[15←]
سورة المجادلة: الآية 22.

[16←]
سورة المجادلة: الآية 22.

[17←]
سورة الفتح: الآية 10.

[18←]
سورة الحديد: الآية 27.

[19←]
سورة ق: الآية 18.

[20←]
سورة الإنفطار: الآية 12.

[21←]
سورة البقرة: الآية 154.

[22←]
سورة آل العمران: الآية 169.

[23←]
سورة النساء: الآية 148.

[24←]
سورة النساء: الآية 114

[25←]
سورة فاطر: الآية 2.

[26←]
سورة الحديد: الآية 7.

[27←]
سورة الضحى: الآية 10.

[28←]
سورة الذاريات: الآية 55.

[29←]
سورة الشورى: الآية 11.

[30←]
سورة الأعراف: الآية 31.

[31←]
سورة الأعراف: الآية 32.

[32←]
سورة الملك: الآية 2.

[33←]
سورة الفتح: الآية 2.

[34←]
سورة الزمر: الآية 66.

[35←]
سورة سبأ: الآية 13.

[36←]
سورة النمل: الآية 25.

[37←]
سورة يس: الآية 82.

[38←]
سورة المزمل: الآية 20.

[39←]
سورة ص: الآية 75.

[40←]
صحيفة: 20.

[41←]
الفواق: ترجيح الشهقة العالية.

[42←]
سورة آل عمران: الآية 31.

[43←]
سورة الأحزاب: الآية 21.

[44←]
سورة إبراهيم: الآية 7.

[45←]
سورة آل عمران: الآية 31.

[46←]
سورة الأحزاب: الآية 21.

[47←]
سورة يوسف: الآية106.

[48←]
سورة الطلاق: الآية3.

[49←]
سورة الطلاق: الآية 3.

[50←]
سورة الحديد: الآية 4.

[51←]
سورة التوبة: الآية 40.

[52←]
سورة طه: الآية 46.

[53←]
سورة الحجرات: الآية 10.

[54←]
سورة الممتحنة: الآية 1.

[55←]
سورة النساء: الآية97.

[56←]
سورة الكهف: الآية 104.

[57←]
سورة آل عمران: الآية 101.

[58←]
سورة البقرة: الآية 156.

[59←]
الخانة: هي الزرع الذي على ساق واحد، فهو ضعيف لم يشتد. اهـ. الحفني على الجامع الصغير.

[60←]
سورة التوبة: الآيةك6.

[61←]
سورة الحجر: الآية 9.

[62←]
سورة المعارج: الآية 21.

[63←]
سورة الحشر: الآية 9.

[64←]
سورة التغابن: الآية 61.

[65←]
سورة التوبة: الآية 35.

[66←]
سورة التوبة: الآية 123.

[67←]
أخفره: نقض عهده وغدر، كما في مختار الصحاح.

[68←]
أي تتساوى في القصاص والديات. ا هـ النهاية لابن الأثير.

[69←]
سورة النساء: الآية 59.

[70←]
سورة النساء: الآية 136

[71←]
سورة العنكبوت: الآية 52.

[72←]
سورة الأعراف: الآية 172.

[73←]
سورة يوسف: الآية 106.

[74←]
في صحيفة - 37.

[75←]
الغر (بالكسرة): هو غير المجرب. ا هـ.

[76←]
الخب: (بالفتح والكسر) الرجل الخداع. اهـ.

[77←]
سورة فصلت: الآيتان 34،35.

[78←]
النغل: الإفساد بين القوم - النميمة. ا هـ.

[79←]
أي لم تبال بهم.

[80←]
سورة فصلت: الآيتان 34، 35.

[81←]
الإل: الربوبية. يعني: من صاحب ربوبيته.

[82←]
سورة البقرة: الآية 61.

[83←]
سورة محمد: الآية 7.

[84←]
الفرسن: طرف خف البعير.

[85←]
حرق النار: لهبها.

[86←]
سورة الصف: الآية 14.

[87←]
سورة إبراهيم: الآية 4.

[88←]
سورة البقرة: الآية 26.

[89←]
سورة البقرة: الآية 26.

[90←]
سورة البقرة: الآيةك179.

[91←]
سورة آل عمران: الآية 190.

[92←]
الرمض: (بفتحتين) شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، وفي الحديث (صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى) أي إذا وجد الفصيل حر الشمس من الرمضاءُ تكون صلاة الضحى.

والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه. والجمع فصال. ا هـ مختار الصحاح.

[93←]
سورة ص: الآية 18.

[94←]
سورة الأنعام: الآية90.

[95←]
الشجنة: (بكسر الشين وضمها) عروق الشجر المشتبكة.

[96←]
سورة الأنعام: الآية 68.

[97←]
سورة الأنبياء: الآية 2.

[98←]
سورة الحجر: الآية 9،

[99←]
سورة النور: الآية 27.

[100←]
سورة النور: الآية 28.

[101←]
سورة الأنعام: الآية 94.

[102←]
الجون: الأبيض والأسود.

[103←]
خول الرجل: حشمه. وهو إسم يقع على العبد والأمة. ا هـ مختار الصحاح.

[104←]
سورة النور: الآية 24.

[105←]
سورة الإسراء: الآية 36.

[106←]
سورة البقرة: الآية 73.

[107←]
سورة الأحزاب: الآية 35.

[108←]
سورة الأحزاب: الآية 41.

[109←]
سورة نوح: الآية 28.

[110←]
سورة إبراهيم: الآية 35.

[111←]
سورة إبراهيم: الآية 41،40.

[112←]
سورة الأنعام: الآية 90.

[113←]
سورة الروم: الآية41.

[114←]
سورة التوبة: الآية102.

[115←]
سورة التوبة: الآية 118.

[116←]

هو الترمذي مخرج الحديث السابق.

[117←]

سورة القلم: الآية 11.

[118←]

سورة البقرة: الآية 264.

[119←]

سورة الحجرات: الآية 17.

[120←]

سورة الواقعة: الآية 79.

[121←]

سورة الإسراء: الآية 24،23.

[122←]

سورة لقمان: الآية 15.

[123←]

سورة لقمان: الآية 14.

[124←]

سورة النجم: الآية 32.

[125←]

سورة الشمس: الآية 9.

[126←]

سورة الحشر: الآية 7.

[127←]

قال تعالى: (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه) أي من كان محرماً، ثم مرض، أو أصابه أذى برأسه فلبس ثيابه (ففدية من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين (أو نسك) وهو ذبح شاة (فإذا أمنتم، فمن تمتع بالعمرة إلى الحج، فما استيسر من الهدى، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) سورة البقرة، آية 196.

[128←]
أي التقاطع - وفي الحديث (لا تدابروا) أي: لا تقاطعوا. ا هـ مختار الصحاح.

[129←]
النجش: أن تزيد في البيع ليقع غيرك وليس من حاجتك - وفي الحديث (لا تناجشوا) ا هـ مختار الصحاح.

[130←]
الهمز: كاللمز وزناً ومعنى - والهامز والهماز: العياب. ا هـ مختار الصحاح.

[131←]
سورة البينة: الآية 5.

[132←]
سورة الأعراف: الآية 156.

[133←]
يعني كتاب الفتوحات.

[134←]
سورة الحج: الآية 25.

[135←]
سورة الحشر: الآية 9.

[136←]
سرر الشهر - بفتحتين - آخر ليلة منه وكذا سراره بالفتح والكسر ا هـ مختار الصحاح.

[137←]
النصف: بالكسر: الإنتصاف ا هـ نهاية.

[138←]
سورة طه: الآية 131،

[139←]
سورة آل عمران: الآية 138.

[140←]
سورة آل العمران: الآية 200.

[141←]
سورة البقرة: الآية 153.

[142←]
سورة الأعراف: الآية 128.

[143←]
سورة الفاتحة: الآية 4.

[144←]
سورة آل العمران: الآية 200.

[145←]
سورة البقرة: الآية 13.

[146←]
سورة البقرة: الآية 13.

[147←]
سورة فصلت: الآية 33.

[148←]
سورة البقرة: الآية 9.

[149←]
سورة العنكبوت: الآية 52.

[150←]
سورة البقرة: الآية 9.

[151←]
هكذا في الأصل ـ ولم نجد لهذا الفعل أصلاً في اللغة ـ ولعله يريد: إنفتحت.

[152←]
سورة المطففين: الآية 34.

[153←]
سورة المطففين: الآية 29.

[154←]
سورة الأنعام: الآية 108.

[155←]
العتمة: وقت صلاة العشاء. ا هـ مختار الصحاح.

[156←]
هي البقعة بقدر الكف.

[157←]
سورة البقرة: الآية 44.

[158←]
سورة هود: الآية 18.

[159←]
سورة آل عمران: الآية 61.

[160←]
سورة النساء: الآية 114.

[161←]
يعني به كتاب الفتوحات.

[162←]
التهجير، والتهجر: السير في الهاجرة - والهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر - ا هـ مختار الصحاح.

[163←]
أخفره: نقض عهده وغدر - والاسم الخفيرة - بالضم - وهي الذمة - ا هـ مختار الصحاح.

[164←]
سورة البقرة: الآية 280.

[165←]
سورة النور: الآية 33.

[166←]
خب - خباً، وخباً - بالفتح والكسر - صار خداعاً - وخببه: خدعه وأفسده - يقال: خبب على فلان صديقه - أي أفسده عليه - والخباب: الخداع، ا هـ منجد.

[167←]

وفي نسخة أُخرى: جمر جهنم.

[168←]

النرد: كلمة فارسية، جوالق واسع الأسفل، مخروط الأعلى، يتخذ من خوص النخل - لعبة وضعها أحد ملوك الفرس، وتعرفها العامة - يلعب الطاولة - ا هـ. منجد.

[169←]

الشطرنج: لعبة مشهورة، معربة شترنك - بالفارسية - أي: ستة ألوان، وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التي يلعب بها فيه. ا هـ منجد.

[170←]

الدندنة: أن تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم ما يقول. وفي الحديث «حولها ندندن» ا هـ مختار الصحاح.

[171←]

الغب: بالكسر. وغب كل شيء: عاقبته. وفي الحديث «أغبوا في عيادة المريض وأربعوا» يقول: عد يوماً، ودع يوماً، أودع يومين وعد اليوم الثالث. ا هـ مختار

الصحاح. وكذلك يقال في ترجيل الشعر. وترجيل الشعر: تجعيده، أو إرساله بمشط. ا هـ مختار الصحاح.

[172←]

سورة الحج: الآية 78.

[173←]

وشم يده - من باب وعد - إذا غرزها بإبرة ثم ذر عليها النور - وهو النيلج - وفين الحديث «لعن الله الواشمة والمستوشمة» ا هـ مختار الصحاح.

[174←]

الفلج: في الإسنان - بفتحتين - تباعد ما بين الثنايا والرباعيات. ا هـ مختار الصحاح.

[175←]

الأهل المعتر: رفع صوته بالتلبية - وأهل بالتسمية على الذبيحة - رفع صوته بها، وقوله تعالى (وما أهل به لغير الله) أي نودي عليه بغير إسم الله تعالى - وأصله: رفع الصوت. ا هـ مختار الصحاح.

[176←]

سورة فتح: الآية 2.

[177←]

التنطع في الكلام: التعمق - وتنطع في الكلام: تفصح فيه وتعمق ورمى بلسانه إلى نطع الفم. والنطع: ما ظهر في داخل الفم من الغار الأعلى، فيه آثار كلاتحزيز ا هـ. منجد.

[178←]

للحبير الحظ والشعر وغيرهما: تحسينه. ا هـ مختار الصحاح.

[179←]

الرقية: معروفة - والجمع: رقى، واسترقاه، يرقيه (بالضم) فهو راق ا هـ مختار الصحاح.

[180←]

إجتز الصوف أو العشب أو النخل، فطعه ا هـ منجد.

[181←]

أي استعمل الحناء لشعرك.

[182←]

سورة هود: الآية 7.

[183←]

حيث يقول سبحان: {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} الآية. سورة التحريم: الآية 4.

[184←]

سورة النحل: الآية 4.

[185←]

سورة فاطر: الآية 8.

[186←]

ينبه - ﷺ - العبد أنه لا يزال حاضراً مع الله أبداً، فهو أولى به. وفي نسخة أُخرى كذا وكذا.

[187←]

استفزه الخوف: استخفه، وقعد مستفزاً: أي غير مطمئن. ا هـ مختار الصحاح.

[188←]

سورة آل عمران: الآية 131.

[189←]

سورة سبأ: الآيةك39.

[190←]
سورة غافر: الآية 7.

[191←]
سورة الأنفال: الآية 29.

[192←]
سورة الحشر: الآيات 22، 23 24

[193←]
سورة البقرة: الآية 255.

[194←]
قال أبو عبيد: اشتمال الصماء: أن يجلل جسده بثوبه نحو شملة الأعراب بأكسيتهم، وهو: أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر، ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً. وذكر أبو عبيد أن الفقهاء يقولون: هو أنْ يشتمل بثوب واحد ليس غيره، ثم يرفعه م أحد جانبيه فيضعه على منكبه فيبدو منه فرجه. ا هـ مختار الصحاح.

[195←]
دبج الرجل تدبيجاً: إذا بسط ظهره وطأطأ رأسه، فيكون رأسه أشد إنحطاطاً من أليتيه. وفي الحديث: (أنه نهى أن يدبج الرجل في الركوع كما يدبج الحمار) ا هـ مختار الصحاح.

[196←]
أغل الرجل: خان. وفي الحديث (لا إغلال ولا إسلال) أي: لا خيانة ولا سرقة، وقيل: لا رشوة ا هـ مختار الصحاح.

[197←]
سورة البقرة: الآية 284.

[198←]
سورة الحديد: الآية 2.

[199←]
سورة الحشر: الآية 22.

[200←]
سورة البقرة: الآية 186.

[201←]
وفي نسخة أُخرى: فإن اختلفتم.

[202←]
لعل صوابه رأيت.

[203←]
وفي نسخة أُخرى: حين.

[204←]
سورة الليل: الآيتان 5،6.

[205←]
وفي نسخة أُخرى: فإنها.

[206←]
حقب: كفرح، والحاقب: من تعسر عليها البول ا هـ مختار الصحاح.

[207←]
استوفز في قعدته، إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن. ا هـ مختار الصحاح.

[208←]
لقس، لقساً، ولقست نفسه من الشيء: غثت وخبثت، فهي لقسة، ولقست نفس فلان إلى الشيء: نازعته إليه، وتلقست نفسه من الشيء: ضاقت. واللقس: الشره النفس، الحريص على كل شيء، من لا يسقيم على وجه. ا هـ منجد.

[209←]
الحبلة - بالضم - الكرم أو أصل من أصوله - ويحرك - والحبل - محركة - شجر العنب، وربما سكن. ا هـ قاموم.

[210←]
صرى الشاة تصرية: إذا لم يحلبها أياماً حتى يجتمع اللبن في ضرعها. ا هـ مختار الصحاح.

[211←]
سورة النحل: الآية 43.

[212←]
سورة آل العمران: الآية 178.

[213←]
وفي نسخة أُخرى: أيلة.

[214←]
سورة التغابن: الآية 16.

[215←]
ولغ الكلب في الإناء - يلغ - بفتح اللام فيهما - من باب نفع: إذا شرب ما فيه بأطراف لسانه. ا هـ مختار الصحاح.

[216←]
السدر: شجر النبق ا هـ مختار الصحاح.

[217←]
أي من فوق ا هـ منجد.

[218←]
وفي نسخة أُخرى: توقفها.

[219←]
التعريس: نزول القوم في السفر من آخر الليل، يقعون فيه للاستراحة ثم يرتحلون. والموضع: بالتشديد. ا هـ مختار الصحاح.

[220←]
سورة الأنفال: الآية 63.

[221←]
سورة الأنفال: الآية 25.

[222←]
فحمة العشاء:ظلمته. ا هـ مختار الصحاح.

[223←]
وفي نسخة أُخرى (ملكك).

[224←]
وفي نسخة أُخرى ولا حسن.

[225←]
الصلف: مجاوزة قدر الظرف، والإدعاء فوق ذلك تكبراً. والظرف: والكياسة ا هـ مختار الصحاح.

[226←]
وفي نسخة أُخرى الحرق.

[227←]

تمام الآية: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} ا هـ. سورة الإسراء، الآيتان: 45، 46

[228←]
عانه: من باب باع - أصابه بعينه، فهو عائن. ا هـ مختار الصحاح.

[229←]
الجذام: داء، والإجذام: المقطوع اليد، ا هـ مختار الصحاح.

[230←]
سورة آل عمران: الآية 17.

[231←]
الغي: الضلال والخيبة، وقد غوي فهو غاو - أي ضال ا هـ مختار الصحاح.

[232←]
النفر - بفتحتين: عدة رجال، من ثلاثة إلى عشرة. ا هـ مختار الصحاح.

[233←]
أردفه، أركبه خلفه، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه. ا هـ مختار الصحاح.

[234←]
الخيل: بسكون الباء: الفساد، وبفتحها: الجن. ا هـ مختار الصحاح.

[235←]
عاين الشيء معاينه: رآه بعينه: ا هـ مختار الصحاح.

[236←]
أقرن له: أطاقه وقوي عليه، قال الله تعالى {وما كنا له مقرنين} أي مطيقين ا هـ مختار الصحاح.

[237←]
وفي نسخة أُخرى عبدي هذا.

[238←]
الفرات: الماء العذب. وماء أجاج مر. ا هـ مختار الصحاح.

[239←]
جعلت فلاناً عرضة لكذا: أي نصبه له، وقوله تعالى {ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم} أي نصباً، ا هـ مختار الصحاح.

[240←]
لج لجاجة، عند في الخصومة تمادى في العناد إلى الفعل الزجور عنه ا هـ منجد.

[241←]
سورة البقرة: الآية 37.

[242←]
حرج عليه: ضيق عليه - وفي الحديث: فليخرج عليها: هو أن يقول لها: أنت في حرج - أي ضيق إن عدت إلينا، فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتتبع والطرد والقتل ا هـ نهاية.

[243←]
أي أجراً يتقدمها حتى يردا عليها. ا هـ مختار الصحاح.

[244←]
السمت: الطريق وهو أيضاً: هيئة أهل الخير. والمحجة: بفتحتين: جادة الطريق. ا هـ مختار الصحاح.

[245←]
تملق له: أي تودد إليه وتلطف له، ورجل ملق: يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. ا هـ مختار الصحاح.

[246←]
الدغل: بفتحتين: الفساد.

[247←]
ختله: خدعه - من باب ضرب. ا هـ مختار الصحاح.

[248←]
سورة البقرة: الآية 44.

[249←]
سورة الواقعة: الآية 62.

[250←]
سورة الواقعة: الآية 61.

[251←]
سورة العنكبوت: الآية 20.

[252←]
سورة النساء: الآية 4.

[253←]
الحشفة: التمرة اليابسة. وفي المختار: الحشف: أردأ التمر.

[254←]
سورة النحل: الآية 120،

[255←]
صفق الثوب: بضم العين - كتف نسخة - ا هـ منجد.

[256←]
فمجترمي عظيم.

[257←]
أي لعمر بن عبد العزير رضي الله تعالى عنه.

[258←]
القائل الفضل بن الربيع.

[259←]
سوؤة الذاريات: الآية 58.

[260←]
تخصبوا - نسخة.

[261←]
أحزكم - نسخة.

[262←]
سورة الحج: الآية 25.

[263←]
أي الرعاية للأقوام.

[264←]
واقمعها. نسخة.

[265←]
أي ولا استثناء. والثنيا: ما استثنيته. منجد.

[266←]
الحنادس، جمع حندس بكسر الحاء والدال: الليل الشديد الظلمة - مختار الصحاح.

[267←]
البت: القطع، أ تقطع قواها. مختار الصحاح.

[268←]
الخفير: المجيز، تقول: خفر الرجل أي أجاره وكان خفيراً يمنعه. مختار الصحاح.

[269←]
فلان يعلل نفسه بالشيء: أي يلهي نفسه به. ا هـ مختار الصحاح.

[270←]
تفطر الشيء: تشقق. مختار الصحاح.

[271←]
الصفيق: الوقح، يقال: وجه صفيق: أي لا حياء له. منجد.

[272←]
أعون - نسخة.

[273←]
وفي نسخة أُخرى ومن صغا صغي له - نسخة.

[274←]
من القبط - نسخة.

[275←]
تابعة لمصر - قريبة من السودان.

[276←]
المتقربين - نسخة.

[277←]
سورة البقرة: الآيات 11، 13، 21، 22، 24، 25، 40، 41، 45، 48، 54، 57، 58، 60، 63، 83، 84، 91، 93، 106، 104، 109، 110، 125، 132.

[278←]

سورة البقرة: 136، 144، 148، 150، 152، 168، 180،170، 185، 186، 187، 188، 189، 190،189، 191، 194، 195، 196، 197، 198، 199.

[279←]
سورة البقرة: 191، 200، 203، 208، 221، 222، 223، 224، 229، 231، 232، 233، 235 -236، 237، 238، 254، 264، 267، 278، 281.

[280←]
سورة البقرة: الآيات 281، 282، 283.

[281←]
سورة البقرة: الآيات 4، 5

[282←]
سورة البقرة: الآية 29.

[283←]
سورة البقرة: الآية 45.

[284←]
سورة البقرة: الآية 63.

[285←]
سورة البقرة: الآية 75.

[286←]
سورة البقرة: الآية 75.

[287←]
سورة البقرة: الآية 84.

[288←]
سورة البقرة: الآية86.

[289←]
سورة النساء: الآية 150.

[290←]
سورة البقرة: الآية 175.

[291←]
سورة النمل: الآية 14.

[292←]
سورة البقرة: الآية176.

[293←]
سورة البقرة: الآية109.

[294←]
سورة البقرة: الآية 178.

[295←]
سورة الشورى: الآية 41.

[296←]
سورة البقرة: الآية 178.

[297←]
سورة آل عمران: الآية 15.

[298←]
سورة آل عمران: الآية 17.

[299←]
في الأصل: ينجيهم - وهو خطأ.

[300←]
سورة آل عمران: الآية 32.

[301←]
أي خفيف الظهر - مختار الصحاح.

[302←]
جمع ترقوة: وهي العظام المكتفة لثغرة النحر يميناً وشمالاً، ولكل إنسان ترقوتان. ا هـ. صاوي على الجلالين.

[303←]
أصل الرهص: أن يصيب باطن حافر الدابة شيء يوهنه، أو ينزل فيه الماء من الإعياء، وأصل الرهص: شدة العصر، ومنه الحديث: فرمينا الصيد حتى رهصناه أي: أوهناه. ا هـ نهاية ابن الأثير.

[304←]
سورة طه: الآية 115.

[305←]
الماء القراح، بالفتح: الذي لا يشوبه شيء مختار. الصحاح.

[306←]
سورة البقرة: الآية 157.

[307←]
سورة الأعراف: الآية 34.

[308←]
سورة الشعراء: الآيتان 79،90.

[309←]
سورة يوسف: الآية 85.

[310←]
سورة القصص: الآية 16.

[311←]
سورة يوسف: الآية 54.

[312←]
سورة ص: الآية 35.

[313←]
سورة المائدة: الآية 119.

[314←]
سورة البقرة: الآية 286.

[315←]
سورة آل عمران: الآيتان 9، 10.

[316←]
قال: جيرانك نسخة.

[317←]
تكدرت النجوم: أسرعت وانقضت، مختار الصحاح.

[318←]
جمع سلب: وهو ما سلب.

[319←]
الصدع: الشق. مختار الصحاح.

[320←]
سورة إبراهيم: الآية 14.

[321←]
القائل هو الشيخ الأكبر: مؤلف هذا الكتاب - رضي الله تعالى عنه وقدس سره.

[322←]
الأخبات: الخشوع - يقال: أخبت لله تعالى: أي خشع له سبحانه ا هـ مختار الصحاح.

[323←]
قوله بذج: (محركة) ولد الضأن ت ا هـ.

[324←]
سورة الكهف: الآية 110.

[325←]
الأوصال: المفاصل - مختار الصحاح.

[326←]
الورك: ما فوق الفخد - وهي مؤنثة - مختار الصحاح.

[327←]
اللحمان: جمع لحم - بالضم.

[328←]
أشلاء الإنسان: إعضاؤه بعد البلى والتفرق. مختار الصحاح.

[329←]
غب كل شيء - بالكسرة: عاقبته. مختار الصحاح.

[330←]
الفود: جانب الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام، والشعر الذي عليه، يقال: بدا الشعر بفوديه.

[331←]
هي: مجمع الحجارة، وأراد هنا: القبور.

[332←]
أي الأشخاص - وقصد بذلك الجناس.

[333←]
سورة لقمان: الآية 34.

[334←]
سورة الحشر: الآية16.

[335←]
نسخة البيان.

[336←]
سورة الشورى: الآية 40.

[337←]
صر الرجل الناقة: ربط ضرعها لئلا يشرب ولدها لبنها.

[338←]
احتقب: جمع.

[339←]
الأحلاس: - جـ حلس، وحلس البيت: كساء يبسط تحت حر الثياب. مختار الصحاح.

[340←]
الكظم: مخرج النفس.

[341←]
الرضف: الحجر المحمى عليه.

[342←]
الختر: الغدر يقال: ختره - فهو ختار - أي خدعه. مختار الصحاح.

[343←]
الوهن، والموهن: نحو من نصف الليل، قال الأصمعي: هو حين يدبر الليل مختار الصحاح.

[344←]
الغارب: ما بين السنام إلى العتق، ومنه قولهم: حبلك على غاربك، أي: اذهبي حيث شئت، وأصله: أن الناقة إذا رعت وعليها الخطام، ألقي على غاربها، لأنها إذا رأته لم يهنئها شيء. مختار الصحاح.

[345←]
تفعل، نسخة.

[346←]
الهيتمة: الصوت الخفي. مختار الصحاح.

[347←]
الجدث: بفتحتين - القبر. والجندل: الحجارة. مختار الصحاح.

[348←]
الشاكري: الأجير والمستخدم. ا هـ قاموس.

[349←]
زادان: نسخة.

[350←]
الأبلة: بالبصرة. إحدى متنزهات الأرض الأربع.

[351←]
القلية: الصومعة.

[352←]
الشعانين: أصلها السعانين، عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع يخرجون فيه بصلبانهم: قاموس.

[353←]
زجى: كفى، وتزجى بكذا: اكتفى به. مختار الصحاح.

[354←]
الغر: الشاب الذي لا يخدع غيره.

[355←]
الخب: بالفتح، والكسر - الرجل الخداع. مختار الصحاح.

[356←]
الخطل: المنطق الفاسد الضطرب. مختار الصحاح.

[357←]
إندمل الجرح: نمائل وتراجع إلى البرء. مختار الصحاح.

[358←]
سورة الأعراف: الآية 171.

[359←]
المرية: في الأندلس.

[360←]
سورة آل عمران: الآية 37.

[361←]
الترب: الفقير.

[362←]
كلهم، نسخة.

[363←]
يعني به كتاب الفتوحات المكية.

[364←]
الذي في نهاية ابن اوثير: غير كفور.

[365←]
أي: غير متروك الطاعة.

[366←]
سورة الزمر: الآية 42.

[367←]
وأطلعنا، نسخة.

[368←]
سورة البقرة: الآية 286.

[369←]
سورة البقرة: الآية 228.

[370←]
أي ثقل الدين.

[371←]
بذكري، نسخة.

[372←]
ودمي، نسخة.

[373←]
وهو الباب ستون وخمسمئة، ويعني بالباب: كتابه هذا الوصايا رضي الله تعالى عنه.

[374←]
يعني به كتاب الفتوحات المكية.

[375←]
سورة النساء: الآية 131.

[376←]
آده الحمل: أثقله.

[377←]
سورة الملك: الآية 14.

[378←]
سورة الصافات: الآية 96.

[379←]
سورة الأنبياء: الآية23.

[380←]
سورة الأنعام: الآية 149.